الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة

والحضارة الإسلامية

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

شعبة الفلسفة الإسلامية

عنوان المذكرة :

فلسفة تقويم الإنسان عند علي شريعتي

–دراسة تحليلية –

– مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير –

إعداد الطالب :

عبد الجليل خليفة

إشراف الدكتور:

د/عبد الوهاب فرحات

لجنة المناقشة:

الإسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
بشير كردوسي	أ محاضر	الأمير ع القادر	رئيسا
ع الوهاب فرحات	أ محاضر	الأمير ع القادر	مقررا
صالح نعمان	أ محاضر	الأمير ع القادر	عضوا
عمار طسطاس	أ محاضر	الأمير ع القادر	عضوا

الموسم الجامعي : 2007/ 2008م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع ، إلى الوالدين الكريمين عرفانا لهما بما قدّماه لي منذ أن جئت الوجود من رعاية وعطف وحنان،فيا رب اغفر لهما وارحمهما كما ربياني صغيرا، ويا رب وفّقني لنيل هذه الشهادة التي كانت رغبة كبيرة عند والدي، فهما اللذان طلبا مني إتمام دراستي و شجعاني على ذلك، وانتظرا بفارغ الصبر اليوم الذي يرياني فيه متحصلا على شهادة الماجستير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

من لم يشكر الناس لم يشكر الله.

إن من أولى الناس الذين يجب علي أن أشكرهم وأعترف بفضلهم علي، أستاذي الدكتور عبد الوهاب فرحات الذي لم يألُ جهدا في سبيل إتمامي لهذا العمل، ولم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه وكتبه. فالله أسأل أن يبارك له في عمره وسائر أيامه ، وأن يزيده علما وتقى، كما أتقدم بخالص شكري وتقديري لمخبر العقيدة وعلى رأسهم الدكتور مولود سعادة والدكتور كمال جحيش، والدكتور صالح نعمان على مجهوداتهم التي يبذلونها في المخبر، وعلى ما وفروه لي ولسائر الطلبة من كتب ومراجع نفيسة.

وفي الأخير، أتقدم بالشكر لكل إخواني و أصدقائي الذين وقفوا معي طيلة سنوات الدراسة ، ولم يبخلوا علي بنصائحهم، وعلى تمنياتهم لي الخالصة بالتوفيق والسداد، فيا رب وفقهم جميعا لمرضاتك وطاعتك.

آمين

* المقدمة

يعد موضوع الإنسان ، من أهم المواضيع التي تناولها البحث الفلسفي والفكري على مر الأزمان والعصور، وذلك لما يثيره هذا الموضوع من تساؤلات حول ماهية الإنسان ، وسر وجوده على ظهر الأرض ، وعن قيمته وموقعه في هذا الكون ، وعلاقته بخالقه .

والواقع أن من مقومات الموجود البشري ، أنه الكائن الذي لا يستطيع أن يتقبل وجوده كمحض واقعة ، فهو بالتالي يساءل نفسه عن نفسه ، ويضع وجوده موضع البحث ويجعل من نفسه مشكلة ، وكيف لا يكون الإنسان مشكلة وهوالكائن الذي يشيع في الوجود الاضطراب والانقسام والقلق والعدم و البحث و المعرفة ...

لقد قيل عن الإنسان ، أنه الموجود المشكل بأعلى درجات الإشكال، فليس غريب إذ ذاك ، أن يتواصل البحث في هذا الموضوع إلى وقتنا الحاضر، وأن ينال اهتمام المفكرين والفلاسفة ، مؤديا بذلك إلى ظهور فلسفات ونظريات اختلفت في نظرتها لمشكلة الإنسان ، وكيفية تقويم هذا الموجود لكي يؤدي دوره الحقيقي الذي وجد من أجله .

والمتأمل في الواقع المعيش ، يستطيع أن يحدد فشل أغلب تلك الفلسفات فما يحدث اليوم في العالم من هرج ومرج ، ما هو في حقيقة الأمر إلا تعبير عن فشل تلك النظريات الفلسفية ، في إعطاء تقويم للإنسان يتوافق مع ماهيته وسر وجوده .

ويعد علي شريعتي ، من المفكرين المسلمين الذين اهتموا بهذه المشكلة وكان لهم موقف فلسفي على درجة كبيرة من النضج والوعي ، خاصة في هذا المجال "فلسفة تقويم الإنسان " فهو الذي درس الفلسفات الغربية دراسة متعمقة

ليكشف عن فشلها في إعطاء تقويم فكري للإنسان ، يتناسب مع طبيعته ومسؤوليته وغاية وجوده التي خلق من أجلها ، والتي حددها له خالقه سبحانه وتعالى من خلال وحيه وأنبيائه.

* الإشكالية :

لاشك أن تحديد إشكالية الموضوع من الأهمية بمكان ، فهي حجر الأساس في كل بحث علمي ، وتحديدها بصورة علمية دقيقة ، كفيل بوضع البحث في إطاره المنهجي الصحيح .

لقد تنوعت النظريات الفلسفية وتعددت الإتجاهات في النظرة إلى الإنسان خاصة في هذا العصر الذي يعاني فيه الإنسان من عدة أزمات ، فما هو موقع فلسفة شريعتي للإنسان من تلك الفلسفات ؟ و ما هو الجديد الذي جاء به فيما يخص فلسفة الإنسان ؟.

* أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب خاصة و عامة ، دفعتني لاختيار هذا الموضوع أما الخاصة فهي :

- إعجابي بشخصية علي شريعتي وبفكره.

- المساهمة في بناء نظرية إسلامية متكاملة ، حول الإنسان دون إقصاء أي طرف من الأطراف المؤسسة للوعي الإسلامي.

أما الأسباب العامة : فإن المشهد العالمي المعاصر بكل تناقضاته واضطراباته ما هو إلا انعكاس للنظرة المادية للإنسان.

وعلى هذا الأساس فإنه يتحتم علينا تقديم النظرة الإسلامية البديل حول الإنسان.

* أهداف الموضوع:

أهدف من خلال هذا الموضوع ، إلى تقديم رؤية علي شريعتي الخاصة حول مشكلة الإنسان، وكيف أنه توصل إلى طرح نظرية العودة إلى الذات ، كما أهدف إلى إبراز قضية فكرية هامة ، وهي أن الفكر الإسلامي لن يرقى إلى مرتبة التحدي إلا إذا اهتم بجميع ينابيعه على اختلافها دون إقصاء لأي منها وأن الأجدر بنا هو الدراسة والتقييم لا النبذ والتهميش.

وقد حددت أهداف موضوعي هذا في النقاط التالية :

1- تحديد موقف علي شريعتي من الفلسفات الغربية التي تناولت مشكلة الإنسان.

2-تحليل نظرية العودة إلى الذات ، كما قدمها علي شريعتي في إنتاجه الفكري والفلسفي .

3- إبراز الجوانب المضيئة في فكر علي شريعتي بما يخدم الواقع المعاصر.

4- المساهمة في خلق وحدة فكرية للمسلمين ، وذلك بإعطاء الإهتمام لكل الإنتاج الفكري والفلسفي دون خلفية أيديولوجية أو دعوة حزبية ضيقة .

5-المساهمة في مقاومة الغزو الفكري ، الذي أصبح يشكك الإنسان المسلم في عقيدته محاولا بذلك جرجرته إلى اعتناق النظرة المادية للكون والحياة.

* الدراسات السابقة:

علي شريعتي ، من المفكرين الذين حظي نتاجهم الفكري بالدراسة والتحليل ، خاصة وأن له تلاميذ كثر ،اهتموا بفكره فعملوا على نشره وتوزيعه وترجمته إلى مختلف اللغات.

ونجد من بين الدراسات التي تناولت ، فكر علي شريعتي بالدراسة والتحليل ، كتاب فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، إلا أنه دراسة موجزة تطرقت لقضايا كثيرة ولكن باختصار شديد .

ونجد كذلك عبد الرزاق الجبران ، بكتابه علي شريعتي وتجديد التفكير الديني ، الذي كانت دراسته دراسة منهجية ، بحيث تناولت منهج شريعتي الفكري والفلسفي .

والشيء الملاحظ على هذه الدراسات ، أنها تناولت فكر علي شريعتي بصفة عامة ، ولم تهتم بدراسة كل قضية من القضايا التي اهتم بها ، كلا على حدة ، وعلى حسب اطلاعي لا توجد دراسة خصصت لتناول ، موضوع الإنسان في فكر علي شريعتي .

* منهج البحث وخطته :

إن دراستي هذه دراسة تحليلية ، ومن ثمة فإن المنهج الذي اعتمدته هو المنهج التحليلي في الأغلب الأعم من المذكرة .

إلا أنني اعتمدت كذلك على المنهج التاريخي في الفصل التمهيدي الذي تناولت فيه عصر و حياة علي شريعتي .

و كذلك المنهج النقدي ، عندما تناولت موقف شريعتي من المدارس الغربية ، حيث أنه وجه لها عدة انتقادات .

و قد قسمت مذكرتي هذه ، إلى ثلاثة فصول ، مع فصل تمهيدي تناولت فيه عصر علي شريعتي وحياته .

أما الفصل الأول ، فقد تكلمت فيه عن عوامل مسخ الإنسان ، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث ، المبحث الأول تكلمت فيه عن فطرة الإنسان التي جبل عليها وتكلمت في المبحث الثاني عن عوامل مسخ الإنسان الذاتية والميتافيزيقية وتناولت في المبحث الثالث المدارس الفلسفية الغربية وجنايتها على إنسانية الإنسان .

أما الفصل الثاني ، فقد خصصته لتناول قضية مركزية في فكر علي شريعتي ، وهي النباهة والإستحمار ، وهو مقسم كذلك إلى ثلاثة مباحث تكلمت في المبحث الأول عن النباهة الفردية و النباهة الإجتماعية ، وأبعدهما الإنسانية والحضارية ، أما المبحث الثاني ، فقد تناولت فيه مقولة الإستحمار ، بحيث عرضت فيه لأنواع الإستحمار وأساليبه . أما المبحث الثالث فتناولت فيه قضية المثقف وموقعه بين النباهة والإستحمار .

أما الفصل الثالث ، فقد خصصته لتناول ، أهم قضية طرحها علي شريعتي ، وهي قضية العودة إلى الذات ، وهو مقسم كذلك إلى ثلاثة مباحث المبحث الأول بعنوان ، لماذا العودة إلى الذات ؟ ، تكلمت فيه عن دواعي ومبررات العودة إلى الذات ، والمبحث الثاني ، إلى أي ذات نعود ؟ تطرقت فيه إلى الذات التي يريد شريعتي العودة إليها ؟ هل هي الذات التاريخية ، أم هي الذات الدينية ؟ . والمبحث الثالث الذي تكلمت فيه عن النظرة الكونية و بناء الأيديولوجيا .

* الصعوبات :

لا يخلو أي بحث من صعوبات ، تواجه الباحث مهما كان الموضوع الذي يدرسه ، وعليه فقد واجهت في عملي هذا عدة صعوبات وعراقيل ، من بينها ندرة كتب علي شريعتي ، فقد حصلت على بعضها بعد جهد كبير ، وبعد مضي زمن لا يستهان به .

وكذلك ضعف ترجمة بعض كتب شريعتي ، و التي وصلت في بعض الأحيان إلى تشويه النص الأصلي .

وفي الأخير ،أقول برغم المجهودات التي بذلتها في دراسة هذا الموضوع إلا أنني متأكد تماما بأن فيه نقائص كبيرة تحتاج إلى ضبط ومراجعة ، فالله أسأل أن يوفقنا إلى الصواب في القول والعمل .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فصل تمهيدي: حيـــاة وعصر علـــي شريعتي .

تمهيـــــد :

-المبحث الأول : عصره .

-المبحث الثاني : حياته .

خاتمة الفصل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

إن التطرق إلى عصر وحياة المفكر، ضرورية في مثل هذه الدراسات ، و ذلك لأن تأثير البيئة بجميع أنواعها على المفكر كبيرة ، فالبيئة الجغرافية لها تأثيراتها، والبيئة الأسرية - أي الجو داخل الأسرة - لها تأثيراتها كذلك ، وما إلى ذ لك من بيئة سياسية و بيئة إقتصادية وبيئة دينية فكلها لها تأثيراتها المتنوعة في توجيه مسار الإنسان ، الفكري والعقائدي، وعليه تكون أي دراسة بعيدة عن معرفة هذه العوامل الخارجية دراسة ناقصة ، ومنه ارتأيت أن أخصص فصلا تمهيديا أعرج فيه على ذكر هذه الجوانب التي يجب معرفتها ، لكي تساعدنا على فهم أفكار و أطروحات علي شريعتي .

المبحث الأول : عصره .

أولا : الحالة السياسية :

رزحت إيران لقرون طويلة تحت حكم السلالة الصفوية ، التي كرست التخلف و التبعية للغرب من جهة ، و الإستبداد و الديكتاتورية من جهة أخرى ، انتهت بسقوطها أمام هجوم الأفغان عام (1722م) عاشت بعدها إيران في ظل الفوضى و الحروب المحلية « لتنشأ بعد ذلك في أواخر القرن الثامن عشر الدولة القاجارية (1925،1795م) التي ورثت جميع مساوىء الدولة الصفوية - التبعية للغرب ، التعصب المذهبي ، الإستبداد الداخلي ، و مواصلة المعارك مع الدول الإسلامية الأخرى ... - و في عهدهم ازداد التغلغل الإستعماري ، وخسرت إيران المزيد من ثرواتها و أراضيها ، حيث باع الملوك القاجاريون مصالح البلاد لقاء أثمان بخسة يواصلون بها حياة البلاط المتفسخة » .[1]

ونتيجة لهذه الأوضاع السيّئة ، التي كرّستها الدولة القاجارية ظهرت على الساحة معارضة قوية أدّت إلى قيام انقلاب عسكري حيث :« نجح رضا خان ، بمساعدة بعض القوى الداخلية والخارجية ، في قيادة انقلاب عسكري ناجح ، ضد العرش القاجاري في :21 فبراير 1921 م وإذا كانت القوى التي دعّمت انقلاب رضا خان، تختلف في أهدافها ودوافعها لمساعد ته في

1- فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ط1، دار الكلمة ، بيروت (1982) ص ، 36 .

الانقضاض على السلطة ، فإنهم جميعا اتفقوا على هدف إزاحة السلطة القاجارية و بلا عودة من إيران » .[1]

كان الإيرانيون يعقدون آمالا كبيرة ، على النظام البهلوي بأن يخلصهم من مساوىء الحكم القاجاري ، المتمثلة في التبعية للغرب ، و الإستبداد و الطبقية إلا أن آمالهم قد خابت ، و ذلك لأن النظام البهلوي لم يختلف كثيرا عن النظام القاجاري ، فعلى صعيد العلاقات الخارجية واصل الشاه منح الإمتيازات للدول الأجنبية ، و على رأسها بريطانيا أما على الصعيد الداخلي فقد كان يكرّس الإستبداد « اعتمد الشاه ، على فرض الضرائب المتنوعة في تمويل خزانة الدولة ، حتى وصلت إلى 11 بالمائة من دخل الحكومة عام (1936 م) . و كانت في الغالب تفرض على المواد الإستهلاكية الضرورية لعامة السكان ، و على رأسها الطعام فارتفعت تكاليف المعيشة » .[2]

وقد قام الشاه رضا بهلوي بإصدار قوانين جديدة ، و إصلاحات كبيرة كان يهدف من ورائها إلى تقليد الغرب ، و القضاء على سلطة رجال الدين الذين اشتد سخطهم عليه « كما كان للقوانين الجديدة سواء المدنية أو الشخصية ، أثرها الكبير في إشاعة الغضب على الشاه من قبل المؤسسة الدينية ، التي لم تغفر له سفور المرأة و تعليمها ، ثم سحب بساط القضاء من يدها ومصادرة الأوقاف لمصلحة الدولة دونها ، فأثاروا القلاقل و شحنوا عواطف العامة ، ضد القوانين السابقة ، وساعدهم في ذلك زيادة حجم الضرائب المتنوعة و القسر في جمعها » .[3]

ولم تكن إيران بعيدة عن أطماع الدول الإستعمارية ، نتيجة لموقعها الجغرافي ، و لتمتعها بثروات باطنية كبيرة « مارست بريطانيا ضغوطا على إيران ، استهدفت من ورائها وضع الساسة الإيرانيين في موقف يضطرون معه للإنصياع لمخططها في المنطقة ، لا سيما أن إيران كجغرافية بذاتها كانت أحد مرتكزات بريطانيا ، حينئذ للعمل على تحجيم الشيوعية في حدود روسيا السوفيتية ، ومن ثمة كانت بريطانيا على حد تعبير صحيفة لندن تايمز تعتبر نفسها

1- آمال السبكي ، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين " 1906 ، 1989 " ، ط1 ، عالم المعرفة ، الكويت ، (1420، 1999) ص 46 .
2- المرجع نفسه ، ص 89 .
3- المرجع نفسه ، ص 86 .

الأخت الكبرى لإيران » .[1]

« في عام (1941 م) هاجمت القوات الروسية إيران من الشمال الغربي ، و دخلت القوات البريطانية إيران من ناحية الحدود العراقية ، كما أنزلت قوات على رأس الخليج الفارسي و قامت القوات البحرية البريطانية ، بهجوم مباشر على البحرية الإيرانية في خرمشهر فأغرقت جميع السفن الإيرانية ، و أحدثت خسائر فادحة في الأرواح و أبدى الجيش الإيراني مقاومة واهية انتهت بعد ثلاثة أيام » .[2]

عانت إيران كثيرا بسبب هذا الإحتلال ، و بسبب الحرب العالمية الثانية التي دارت كثير من معاركها على أراضيها ، فعمّ الفقر وانتشرت الأمراض و الآفات « ثم اشتدت أزمة الطعام و الضروريات اليومية إبّان الحرب العالمية الثانية ، و بدأت السلع تختفي من الأسواق بعد أن فرضت الدولة تصدير كثير من المنتجات الزراعية للخارج ، و بخاصة الإتحاد السوفياتي ... و كثرت حوادث النصب و الإحتيال، و تهريب السلع داخل و خارج إيران، كما أدّى تفسخ الجهاز الإداري و الرقابي ، لمزيد من الفساد ، فلم يعد بمقدور الدولة وقف نزيف التهريب بعد أن أصبحت الرشوة الوسيلة المثلى لتحقيق مصالح المواطنين » .[3]

ونتيجة لهذه الأوضاع فقدت الدولة هيبتها ، و اقتنع رضا بهلوي بفشله في سياسة البلاد و أصبح يفكر في الهروب ، خاصة بعدما أصبحت الحكومة البريطانية تسعى لإفقاده هيبته أمام الإيرانيين ، و أمام الرأي العام الدولي « و نتيجة للضغوط الدولية على إيران ، فقدت الحكومة الإيرانية هيبتها أمام الرأي العام الإيراني ، و أصبح الشاه يفكر في الهروب سرا رغم إعلانه حالة الطوارىء ، ومنع التجوال في المساء » .[4]

1- سعيد الصباغ ، تاريخ إيران السياسي ، ط1 ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، (1421، 2000) ، ص 71 ،72 .
2- دونالد ولبر ، إيران ماضيها و حاضرها ، ترجمة ، عبد المنعم محمد حسنين ، ط2 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة (1405 ، 1985) ، ص 121 ، 122 .
3- آمال السبكي ، تاريخ إيران السياسي ، ص 89 .
4- المرجع نفسه ، ص 133 .

« كما عمدت القوات البريطانية ، إلى إفقاد الشاه هيبته أمام الإيرانيين ، و الأجانب على حد سواء ، باستمرار قذف المدن الكبرى ، رغم توقف المقاومة الإيرانية العسكرية ، و تمّ إجبار رضا بهلوي على التنازل عن العرش لابنه محمد في 19 سبتمبر (1941 م) ، حيث ترك طهران و استقر لفترة في أصفهان لتصفية ممتلكاته بها ، قبل مغادرة و طنه نهائيا » . [1]

تدهورت أوضاع إيران الإقتصادية كثيرا، بسبب الإحتلال البريطاني و الروسي ، اللذان ضيّقا عليها الخناق، ومنعاها من استغلال ثرواتها والتمتع بخيرات بلادها « وبرز تدهور أوضاع الشمال الإيراني الإقتصادية بصورة أكثر بشاعة ، إذ حرمت القوات السوفياتية الحكومة الإيرانية ، من الحصول على الموارد المالية المقررة عن استغلال بترول " باكو و باكوم " الواقعة في تلك المناطق ، كما رفضت وصول المؤن ، والمواد الغذائية الإعتيادية إلى العاصمة و استولت عليها » . [2]

وبعد هذه الأزمة استطاعت إيران ، أن تبرم اتفاقية مع بريطانيا وروسيا تحفظ بعض أمنها الغذائي « أمضيت معاهدة التحالف الثلاثي عام (1942 م) بين إيران وبريطانيا العظمى وروسيا السوفياتية ، وتعهدت بريطانيا وروسيا ، باحترام سيادة إيران واستقلالها السياسي والمحافظة على حدودها ، كما وافقت الحليفتان على بذل المحاولات اللازمة لتأمين الكيان الإقتصادي للشعب الإيراني ، لحفظه من الفاقة والصعوبات التي تكون نتيجة للحرب».[3]

سعى الشاه محمد رضا بهلوي ، إلى إقامة حكم ديكتاتوري منذ توليه الحكم مكان والده رضا بهلوي، معتمدا في ذلك على سلطة الحزب الواحد « كانت في إيران أحزاب متعددة توالى ظهورها بعد قيام الحياة النيابية ، و كثرة ارتفاع الأصوات المطالبة بجعل النظام الديمقراطي هو النظام السائد في هذه البلاد ، غيرأن الشاه أصدر أمرا بتوحيد الأحزاب الإيرانية القائمة في حزب واحد أطلق عليه اسم " حزب نهضة إيران " و أصبح هذا الحزب الجديد ، حزب الشاه الذي يأتمر بأوامره ، بينما أوقف الشاه نشاط الأحزاب المعادية له ، بحجة توحيد القوى السياسية و توجيهها إلى اتجاه واحد ، وهي فكرة مستوحاة من النظم الإشتراكية » . [4]

1- المرجع نفسه ، ص 144 .
2- المرجع نفسه ، ص 145 .
3- دونالد ولبر ، إيران ماضيها و حاضرها ، ص 122 .
4- المرجع نفسه ، ص 11 .

أدّى هذا إلى ظهور جذور الثورة و المعارضة ،التي قادتها الطبقة المثقفة الدينية منها و التغريبية على حد سواء « بدأت جذور الثورة الإسلامية تنبت تدريجيا منذ عام (1949 م) عندما فكّر محمد رضا بهلوي ، في إنشاء دولة أوتوقراطية تحت حكمه الفردي المباشر، تقوم أعمدتها الأولى على سحق المعارضة بكل أجنحتها ، سواء الأرستقراطية أو البورجوازية أو الدينية ... بحيث يصبح المجتمع كله خاضع لإرادته المباشرة ، خصوصا و أن ذكريات الماضي القريب و منذ توليته في عام (1941 م) قد أشعرته بالخطر » . [1]

إلا أن الشاه كان يعتقد أن عليه أن يربح الإتجاه الديني ، وأن يجعله في صفه لأنه يحظى بشعبية كبيرة « وفي الوقت ذاته فقد سعى الشاه ، أكثرمن مرة إلى التودد للمؤسسة الدينية ، فإنه ظل يقوم بمحاولات متصلة ، ليضفي مظهرا دينيا على شخصه ، و على نظام حكمه ، و هو ما انعكس على زيارته للأماكن المقدسة في إيران - خاصة قبر الإمام الرضا في مشهد - و على رعايته لمجموعة قليلة من العلماء » . [2]

« لم ينجح نظام الحزب الواحد ، فأخذت ريح التغيير تهب في الميدان السياسي و ظهرت حركة انشقاق في صفوف الحزب نفسه ، و يبدو أن الشاه قد اختلف مع قادة حزب نهضة إيران ، فسمح للصحف بانتقاد تصرفات الحزب والمطالبة بتأليف أحزاب أخرى معارضة ، ولاحت في الأفق السياسي في إيران ، ملامح تحول إيران من نظام الحزب الواحد إلى نظام تعدد الأحزاب مرة أخرى » . [3]

« مع مطلع عام (1950م) لقيت الجبهة الوطنية ، تأييدا كبيرا من مختلف طبقات الشعب الإيراني سواء من الطلبة ، أو المدرسين ، أو رجال الفكر ، أو المهنيين ، ومن طلائع الطبقة المتوسطة و صغار التجار و أصحاب الورش و العمال و رجال العلم ، و بذلك تكون قد ضمّت إلى صفوفها شرائح عديدة من المجتمع الإيراني ، و أصبحت المنبر الأساسي المعبّر عن أهدافهم ، كما نظمت الجبهة الوطنية مظاهرات شعبية ضخمة جابت شوارع طهران » . [4]

1- آمال السبكي ، تاريخ إيران السياسي ، ص 168 .
2- فهمي هويدي ، إيران من الداخل ، ط ٤ ، مركز الأهرام ، القاهرة ، (1412 ، 1991) ص 26 .
3- دونالد ولبر ، إيران ماضيها و حاضرها ، ص 12 .
4- آمال السبكي ، تاريخ إيران السياسي ، ص 169 .

ما كان من الشاه ، تجاه تفاقم الأوضاع و بروز التيارات المناهضة لحكمه ، إلا أن اتخذ في سبيل إخمادها سياسة قمعية « اتجه الشاه إلى سياسة تصفية العناصر ، و التيارات السياسية التي عارضته ووقفت إلى جوار الدكتور محمد مصدق (1) في مواجهته الشهيرة للشاه و أسرته عام (1952 م) ، و تلك كانت المهمة الأساسية ، التي أنيطت بجهاز الشرطة السرية "الساواك " الذي أنشأه الشاه فور عودته إلى طهران عام (1953 م) . الكلمة اختصار لعبارة "سازمان اطلاعات و أمنيت كشور" أي منظمة المخابرات و أمن الدولة » . (2)

وبفضل هذه السياسة القمعية الصارمة ، نجح الشاه في إخماد نار المعارضة ، مؤقتا « هكذا و بفضل القوات المسلحة الإيرانية الضخمة ، و الشرطة السرية اليقظة ، أصبح محمد رضا قادرا على كبح جماح المعارضة ، و تمزيق المنظمات المناوئة لسلطاته ، منذ سنة (1953 م) فبدأ بحل الجبهة الوطنية ، و ألقى القبض على معظم زعمائها ، و على رأسهم مصدق » . (3)

ثم سعى الشاه محمد رضا بهلوي ، إلى تغريب المجتمع الإيراني بكل الطرق ، مما أثار حفيظة رجال الدين « كانت مرحلة الإنفتاح على الغرب ، التي بدأها نظام الشاه عام (1960م) مصدرا إضافيا لاستفزاز المشاعر الإسلامية، إذ لم تتوقف خطى الإلتحاق بالغرب ،عند حدود شراء المعدات العسكرية ، والمصانع واستقدام أفواج المستشارين الأجانب العسكريين وغيرهم ، فضلا عن مختلف الممارسات ، والطموحات الأرستقراطية الإيرانية التي كان التغريب محورها ، لكن الخطى تواصلت في اتجاه تكريس نمط الحياة الغربية ، بأسوأ ما فيها » . (4)

1- محمد مصدق : (1880 ، 1967) هو أحد قادة إيران السياسيين ، الذي أمم عددا كبيرا من شركات النفط البريطانية في إيران ، و نجح إلى حد ما في خلع الشاه ، عندما كان رئيسا للوزراء في فترة (1951 م، 1953م) و استمرارا لمسيرة الصراع من أجل تطوير الحكومة الإيرانية ، حاول الشاه صرف مصدق من عمله رئيسا للوزراء عام (1953م) ، فخرجت الجماهير الشعبية المؤيدة لمصدق إلى الشوارع مدافعة عنه ، ومجبرة الشاه على مغادرة البلاد ليعود بعد أيام قليلة ، بدعم من الولايات المتحدة إلى البلاد ، و حكم على مصدق بالسجن ثلاث سنوات بتهمة الخيانة و بعد انتهاء المدة فرضت الإقامة الجبرية عليه إلى أن توفي عام (1967 م) . أنظر : www.aljazeera.net
2- فهمي هويدي ، إيران من الداخل ، ص 28 .
3- آمال السبكي ، تاريخ إيران السياسي ، ص 173 .
4- فهمي هويدي ، إيران من الداخل ، ص30، 31 .

« و قد استمر الشاه في سياسته القمعية حتى عام (1963 م)، عندما أعلن عن الثورة البيضاء حيث هدّد كبار الملاك الزراعيين بنزع ملكياتهم ، كما أنذر رجال الدين بسحب الأراضي التي بحوزاتهم ، ومنح المرأة حق الإنتخاب ، ولكن إصلاحات الشاه قوبلت بمعارضة من قبل رجال الدين ، و بدأت المعارضة تشمل الشباب والطلاب ورجال الدين ، و العاملين في المهن التجارية و الجمعيات الإجتماعية ، بفضل دعاية رجال الدين ضده ، في كل قطاع من تلك القطاعات الكبيرة » .[1]

بعد نجاح الشاه في إضعاف المعارضة ، و من بينها الجبهة الوطنية ، ظهرت حركة أخرى معارضة تتبنى أفكارها ومبادئها « و بناء على ضعف الجبهة الوطنية ، ظهرت جماعة مهنية في أحشائها في عام (1961 م)، تنادي بإدخال الإصلاحات الإجتماعية وبإعطاء الدين الإهتمام الكافي ، وأطلقوا على أنفسهم حركة تحرير إيران ، بقيادة كل من آية الله محمود طالقاني (2) ومهدي بازرجان (3) و كان الأول من كبار رجال الدين ، في حين كان الثاني مشتغلا بالهندسة كما كان من ضمن قيادات الجبهة الوطنية قبل حلها » .[4]

ثم توالت الحركات المعارضة لنظام الشاه في الظهور، ومن بينها الجماعات المسلحةالتي اختارت طريق القوة والعنف ، من أجل التعبير عن رفضها للسياسة الشاهنشاهية « أما التنظيمات المسلحة التي عرفتها إيران، داعية إلى الثورةعلى النظام والإطاحة به فقد برزت في

1- آمال السبكي ، تاريخ ايران السياسي ، ص 174 .

2- محمود طالقاني : (1910، 1980م) تلقى العلوم الإسلامية في المدرسة الرضوية بقم ، قدم عام 1938 ، إلى طهران لتدريس و تبليغ المعارف الإسلامية ، اعتقل عام 1939م بتهمة معارضة النظام البهلوي ، ثم أطلق سراحه ليعتقل بعد ذلك عام 1964م بتهمة دعم الإمام الخميني ، بعد خروجه من السجن واصل جهاده حيث كان يقود المظاهرات ميدانيا ، بعد نجاح الإمام الخميني في ثورته عينه أول إمام جمعة لمدينة طهران ، خلف آثارا عديدة على صعيد تفسير القرآن و المعارف الإسلامية ، و القضايا الإجتماعية و السياسية . أنظر : هامش كتاب ، علي شريعتي النباهة و الإستحمار ، ص 15و 16 .

3- مهدي بازرجان : ولد عام (1905م) في طهران لأسرة تعمل بالتجارة ، درس في مدارس طهران إلى أن أتم الدراسة الثانوية ، و أتم دراسته في فرنسا ، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في هندسة الآلات الحرارية ، انضم إلى الجبهة الوطنية و كان من أقرب المقربين إلى الدكتور مصدق ، و في عام 1953م انضم بعد سقوط مصدق إلى حركة المقاومة الوطنية السرية ، في عام 1961م ، انسحب من الجبهة الوطنية و أسس حركة التحرير الإيرانية و في عام 1979م ، عينه الإمام الخميني رئيسا للحكومة الموقتة له العديد من الكتب و المقالات حول الدين و السياسة و العلم . أنظر : www.moqatel.com.

4- آمال السبكي ، تاريخ ايران السياسي ، ص 173 .

الستينات(1969م،1971م) وأهمها فدائيو خلق و مجاهدو خلق، و مجموعة المجاهدين الماركسيين التي عرفت لاحقا باسم " بيكار " » .[1]

إلا أن هذه التنظيمات قد فشلت في الإطاحة بنظام الشاه ، بفضل الشرطة و جهاز المخابرات « وبالرغم من نجاح الشاه في الحفاظ على عرشه ، فإن رجال الدين وأهل الفكر بدؤوا في البحث عن وسيلة أخرى للإطاحة بعرشه ، واضعين في الحسبان قدرة البوليس والمخابرات ».[2]

وبرز في ساحة المعارضة الخميني ، الذي جاهر بمعارضة الشاه و نظامه ، و بضرورة تغيير هذا النظام « كان الخميني [3] قد تبنى الدعوة إلى الثورة على الشاه ، و بات يصوّب سهام نقده الصريح والجارح إلى رأس النظام مباشرة ، فتجاوز بذلك كل الأطروحات المعروضة في المسرح السياسي الإيراني ، تجاوزموقف الحوزة ، وكل التيارات السياسية القائمة ، اليسار قبل اليمين » .[4]

لقي الخميني دعما واسعا وحازشعبية كبيرة ، مكنته من الإطاحة بنظام الشاه سنة 1979م ، لتبدأ إيران معه عهدا جديدا .

1- فهمي هويدي ، إيران من الداخل ، ص 52 .
2- آمال السبكي ، تاريخ إيران السياسي ، ص 175 .
3- الخميني : ولد الإمام الخميني ، في عام (1320 ه) في مدينة خمين ، في أسرة عرفت بالعلم و الجهاد ، التحق بالحوزة العلمية و نال درجة الإجتهاد و هو لم يجاوز الخامسة و العشرين ، بدأ صرخته التاريخية عام 1961 م ، ضد النظام الشاهنشاهي ، ورغم النفي و الإعتقال الذي تعرض له ، إلا أنه واصل عزمه على تغيير نظام الشاه ، ليحقق النصر عام 1978م ، توفي عام 1989 م ، من كتبه تحرير الوسيلة ، الجهاد الأكبر ، الحكومة الإسلامية .
أنظر : www.fadak.org
4- فهمي هويدي ، إيران من الداخل ، ص 52 .

ثانيا : الحالة الإقتصادية :

كان إقتصاد إيران متذبذب جدا في عهد علي شريعتي ، و ذلك بسبب فشل سياسة الشاه الإصلاحية من جهة والفساد الإداري من جهة أخرى ، و كذلك هيمنة الدول العظمى الإستعمارية على مصادر الثروة ، بسبب الإمتيازات الكبيرة التي منحها لها الشاه « ظلت القوى الأجنبية ، تغرق السوق الإيرانية بالبضائع الإستهلاكية ، كالنسيج و السكر و الشاي و الحلويات وجميعها بأسعار لا تقبل المنافسة ، و بدلا من زيادة الدخل القومي و الفردي من المصنوعات المحلية ، التي دعمها الشاه رضا بهلوي ، فقد وصل العجز في ميزانية الدولة عام (1936 م) إلى عشرة ملايين جنيه إسترليني ، غطته بالكاد شركة النفط الأنجلوإيرانية وانخفضت قيمة العملة في الوقت نفسه إلى الثلث تقريبا ، مما أشعل الأسعار في السوق المحلي و انخفض على إثره دخل الأفراد » . [1]

أولى الشاه رضا بهلوي قطاع الزراعة اهتماما كبيرا ، بحيث قام بجهود كبيرة من أجل تطوير هذا القطاع « سعى رضا بهلوي لرفع إنتاجية المحاصيل الزراعية ، سواء با ستقدام خبراء زراعيين من الخارج أو استيراد البذور عالية الجودة ، كما تمّ إدخال محاصيل جديدة كالشاي و القطن و التبغ ، فضلا عن إعفاء بعض المنتجات من الضرائب ، كما أسس كلية الزراعة على بعد خمسين ميلا من طهران ، و أنشأ عددا من المدارس الزراعية في القرى الكبيرة وأرسل بعثات علمية لدراسة الزراعة و الري في الخارج لإعداد كوادر عالية ، من خبراء الزراعة الإيرانيين ، بالإضافة إلى تشكيل المجلس الأعلى للزراعة » . [2]

هذا وقد أولى الشاه قطاع الصناعة أهمية بالغة « أولى رضا بهلوي جل اهتمامه للصناعة و الجيش ، و لهذا حظيت الزراعة بالمرتبة الثالثة في سلم اهتماماته ، و انطلق يدعّم الصناعة اليدوية التراثية ، في إيران بعد إهمال طويل ، بإعفاء المواد الأولية والآلات المطلوبة لتطويره من الضرائب و الجمارك ، و فرض على المصرف الوطني في طهران ، مهمة إقراض المؤسسات الصناعية الصغيرة بالمال » . [3]

1- آمال السبكي ، تاريخ إيران السياسي ، ص 73 .
2- المرجع نفسه ، ص 70 .
3- المرجع نفسه ، ص 71 .

ورغم كل المجهودات الجبارة ، التي بذلها الشاه من أجل تأسيس دعائم صناعة محلية قوية ، إلا أنها لم تؤت أكلها المرجو منها ، بسبب المنافسة الأجنبية من جهة ، و بسبب صعوبة الطرق و المواصلات من جهة أخرى « بالرّغم من الجهود المضنية لإقامة ركائز صناعية إيرانية خالصة ، فإن بطء الإدارة و ضيق أفق المسؤولين،وقلة خبرة المديرين عوّقت النهضة المرجوة للصناعات المحلية ، بالإضافة إلى ارتفاع أسعار المنتج المحلي في مواجهة المنتج المستورد الأكثر جودة ، حتى البعثات الصناعية للخارج و البعثات التأهيلية للإداريين لم تفرز إلا جيلا من الخبراء الإيرانيين العائدين بوجهة نظر صناعية و تسويقية ، لم يستوعبها أو يفهمها المشتري كما لايمكن إغفال صعوبة المواصلات ، و سوء أحوال الطرق ، مما عوّق دون شك ازدهار الصناعة المحلية بين الأقاليم الإيرانية ، باعتبارها سوقا استهلاكية كان بمقدورها استيعاب جزء كبير من المنتجات الوطنية » .[1]

ثالثا : الحالة الإجتماعية :

أول ما يلاحظ على المجتمع الإيراني ، في عصرعلي شريعتي ، انقسام المجتمع إلى ثلاث طبقات ، فقد كانت الطبقية ظاهرة بارزة للعيان « ... بحيث شكّلت الطبقة الأرستقراطية أعلى قمّة الهرم السكاني ، وتضمنت كبار ملاك الأراضي الزراعية ، و سلالة الحكام القاجاريين والأمراء الملكيين ورجال البلاط وأصحاب الإقطاعيات الواسعة والوزراء الملكيين ومعهم حكام الأقاليم ، وموظفو الدولة ذوو الألقاب المعروفة ... وجميع تلك الفئات تمثل النخبة المركزية من الطبقة الأرستقراطية الإيرانية » .[2]

« و يشكل تجار المدن ، و ملاك الأراضي الصغار، و أصحاب حوانيت البازار والمشاغل الحرفية ، أهم ركائز الطبقة الوسطى الإيرانية ، التالية للأرستقراطية في الأهمية الإجتماعية و الإقتصادية ، حيث تعد الطبقة الوسطى مصدر التمويل الأساسي للمؤسسة الدينية الشيعية سواء جاء على شكل مرتبات رجال الدين أو جوامع البازار أو المدارس الدينية ، و كذا التكايا و الأوقاف ، لتستمر في نشاطها التعليمي ، لهذا ارتبطت الطبقة الوسطى برجال الدين ووعاظ

1- المرجع السابق نفسه ، ص 73
2- المرجع نفسه ، ص 8 .

ووعاظ المساجد و مدرسي القرآن و طلاب المعاهد الدينية ورجال الدين صغارا و كبارا حيث صار من العسير اجتماعيا فصل البازار عن المسجد ، خصوصا أن زكاة الخمس تسلم مباشرة لرجل الدين دون تدخل نهائي من السلطة الحاكمة » .[1]

« وتضمنت الطبقة الثالثة ، في السلم الإجتماعي الإيراني ، كسبة المدن عامة ، من الحرفيين و أجراء و عمال اليومية ، و عمال البناء و عمال المصانع والحمالين والوسطاء و السماسرة و كذا الخدم في المنازل و الحوانيت ، و جميعهم يمتلكون مصادر دخل مستمرة تقريبا ، و لهذا فهم أعلى دخلا من غالبية سكان الريف ، وجماهير القبائل و المعدمين من الفلاحين ومن البدو الرحل المتنقلين ، وهم يعدون الطبقة الدنيا والأخيرة في نسيج المجتمع الإيراني » .[2]

بالرغم من أن المجتمع الإيراني ، مجتمع مسلم متشبث بتعاليم دينه وأخلاقياته ، إلا أنه ظهرت فيه بعض مظاهر التفسخ و الإنحلال ، و ذلك بسبب الغزو الفكري من جهة ، و بسبب السياسة التغريبية التي تبناها النظام الشاهنشاهي « و طبقا للإحصائيات التي عرفت بعد الثورة ، فقد كان في طهران 86 ناديا للإجتماعات الرخيصة ، و 8 صالونات لعرض البرامج الخليعة ، و 7 مدارس لتعليم الرقص ، و بلغ عدد الحانات في العاصمة و حدها 2075 حانة تبيع الخمور المحلية العادية ، فضلا عن 82 متجرا لبيع الخمور الأجنبية الراقية » .[3]

« وطبقا لسجلات الشرطة ، فإن محاضر فتح محلات النساء ، و إدارة بيوت الدعارة غير المرخصة - أي خارج حيّز الدعارة الرسمي في العاصمة - وصلت إلى (1876م) حالة في السنوات الخمس التي سبقت الثورة ، أما عدد مدمني الأفيون في إيران ، فقد وصل إلى مليون شخص في سنة (1972م) علما أن الشخصية التي كانت تدير تجارة الأفيون في إيران كانت شقيقة الشاه » .[4]

ورغم قوة المؤسسة الدينية، التي كانت تحرس على تقاليد المجتمع الإيراني المتماشية في نظرها مع الدين الإسلامي ، إلا أن الشاه قام بتغيرات جديدة ، يهدف من خلالها إلى تغريب

1- المرجع السابق نفسه ، ص 9 .
2- المرجع نفسه و الصفحة نفسها .
3- فهمي هويدي ، ايران من الداخل ، ص 31 .
4- المرجع نفسه و الصفحة نفسها .

المجتمع الإيراني « لم يكن بمقدور رضا بهلوي أن يغيّر الحياة الإجتماعية ، دون التصادم المباشر مع المؤسسة الدينية ، وبدأ التصادم عندما افتتح الشاه مدارس للإناث ، وسمح بخلع الحجاب والتجوال من دونه ، بالرغم من اعتراضات رجل الشارع الإيراني على سفور الإيرانيات » . (1)

وبسبب تعليم المرأة، و دخولها المدرجات الجامعية ، ظهر في إيران نسوة مثقفات يحملن الفكر الغربي ، قمن بتأسيس جمعيات تنادي بحقوق المرأة و بتحريرها و مساواتها بالرجل « ساهم افتتاح جامعة طهران (1934م) في زيادة عدد الطلاب ، و كذا الطالبات بعد أن سمحت لهن الجامعة بالإلتحاق ، و بالتالي أسست بعض الجمعيات النسائية المنادية بحقوق الإناث ، و المطالبة بمشاركتهن في الحياة العامة ، خصوصا بعد أن فرض رضا على كبار رجال الدولة و موظفيها ، اصطحاب نسائهم إلى السينما و المسارح و الكازينوهات و الفنادق العامة ، ثم أصدر قانونا بمنع الحجاب » . (2)

رابعا : الحالة الدينية :

كان رجال الدين في عهد علي شريعتي، يسيطرون على الحياة الدينية في إيران، وكان الناس يرجعون إليهم في شؤون دينهم و دنياهم «... أدّى ذلك إلى التفاف عامة الشيعة حول المراجع الذين كانوا موزعين تقليديا بين النجف في العراق وقم في إيران، وقد سبقت الإشارة إلا أنّه كان للشيعة مرجع أوحد ، حتى وفاة آية الله السيد البرجودي في عام (1961م) وبعده تعددت المراجع ، وتكرست أوضاعهم ، حتى استقر الأمر على ذلك النحو» . (3)

ويحظى المراجع الشيعة بشعبية كبيرة جدا ، حيث يصل عدد مقلدي المرجع الواحد إلى الملايين ، في إيران وفي غيرها من المناطق التي يوجد فيها الشيعة « مقلدو كل مرجع بالملايين في إيران و في غيرها من الدول الآسيوية والعربية والأفريقية ، و هؤلاء يرجعون إلى المرجع فيما يستعصي عليهم من أمور فقهية ، في الزواج و الطلاق و الميراث و النفقة و ما إلى ذلك ، وعند المرجع تصب أموال الزكاة والخمس التي يخرجها المقلد » . (4)

1- آمال السبكي ، إيران من الداخل ، ص 80.
2- المرجع نفسه ، ص 82 .
3- فهمي هويدي ، إيران من الداخل ، ص 128 .
4- المرجع نفسه ، ص 131 .

وكان كل مرجع مستقل عن المراجع الآخرين ، و لا تربطه كذلك أيّة علاقة بالدولة و كذلك له موارده الخاصة « و المرجع يشكل كيانا ماديا و معنويا مستقلا ، لا علاقة له بالدولة و لا بالمراجع الآخرين ، لكل واحد مملكته العريضة التي تتجاوز أحجام بعض الدول و له موارده الوفيرة ، التي يفترض أن ينفق منها على مريديه و مقلديه و تلاميذه و على مختلف النشاطات الأخرى مثل عمارة المساجد » . (1)

تعد مسألة ولاية الفقيه ، من المسائل التي اختلف علماء الشيعة ومراجعهم في تفسيرها « أول ما تشم في قم ، رائحة الخلاف بين المراجع الكبار، حول مسألة ولاية الفقيه ليس في مبدأ الولاية - فثمة شبه إجماع حولها - و لكن في مدى و نطاق الولاية و هل تشمل الحكم و إقامة الدولة ، باعتبار أن تلك المهمة منوطة بالإمام الغائب ، أمّا هم - الفقهاء - فإن الآراء تتعدد في حدود ممارستهم ، التي تتراوح بين ولاية الفتوى و القضاء و مباشرة الأوقاف العامة وإقامة الشعائر ، و ما إلى ذلك من الإشراف على مطابقة القوانين السارية للشريعة الإسلامية على النحو الذي قرّره دستور (1906م) » . (2)

وقد تحول هذا الخلاف إلى صراع بين رجال الدين ، عندما ظهر إلى الساحة الإمام الخميني الذي استطاع أن يحقق شعبية كبيرة ، بسبب النشاط المكثف الذي يقوم به ، من دروس في المساجد و محاضرات و خطب شعبية ، و مجاهرة بمعارضة النظام الحاكم « أمّا المؤسسة الدينية ، فقد استمر الصراع فيها بين اتجاهات مختلفة ، كان أهمها اتجاهان : أحدهما يقوده الخميني ، و يدعو لتثوير المؤسسة الدينية ولتصدرها الكفاح الوطني المناهض للإستعمار ويؤمن بأن الإسلام هو رسالة دائمة و ثورة دائمة ، وهو دين كله سياسة ، وأن الكفاح السياسي هو من صلب واجبات المسلمين - و من باب أولى علماء الدين - أمّا الإتجاه الآخر فقد مثّله بعض مراجع التقليد ، و كان يدعو إلى الحفاظ على قدسية المؤسسة الدينية وكرامتها وذلك بعدم توريطها في نزاعات الدنيا وفي الصراعات السياسية » . (3)

1- المرجع السابق نفسه ، ص 131 .
2- المرجع نفسه ، ص 141 .
3- المرجع نفسه ، ص 25 .

المبحث الثاني: حياة علي شريعتي .

أولا : المولد و المسيرة العلمية :

« ولد الفيلسوف الدكتور علي شريعتي ، في عام (1933 م) في فترة ماجت بإرهاصات لحركات وطنية عدّة ، كانت عبارة عن تداعيات لخط ثوري سالف - في العالم الثالث عموما - و بداية بزوغ وعي جديد ، يحمله رجال مصلحون هنا و هناك أججته - ذلك الوعي - عوامل عدّة سواء بما أثاره المستعمر في كيانها ، بالإحساس بالهوية من جهة ، و من جهة أخرى ظهور حشد من الأيديولوجيات تحمل عبوات التحرر » . (1)

« ولد هذا العبقري على تراب قرية " مازينان " وهي من قرى " سبزوار " في مدينة مشهد إحدى مدن إقليم خراسان ، في شرق إيران المجاورة إلى أفغنستان و الإتحاد السوفياتي سابقا تقع هذه القرية على حافة الصحراء الكبرى المعروفة باسم " دشت كوير " » . (2)

تلقى تعليمه الأول و أخلاقه و فضائله ، على والده السيد محمد تقي شريعتي ، الذي عرف بالعلم و الجهاد « فالسيد محمد تقي شريعتي ، أستاذ و مجاهد كبير ، مؤسس مركز نشر الحقائق الإسلامية في مشهد ، وواحد من بناة الحركة الفكرية الإسلامية في إيران ، وقدّم على مدى أربعين عاما خدمات جليلة في الدعوة والإرشاد المنطقي والعلمي للدين ، بشكل يواكب التقدم العصري ، وكان في مقدمة صفوف الذين دأبوا على توعية الشباب الخريجين الجدد للعدول عن المفاهيم الغربية الخاوية والجوفاء والمادية، والتمسك بالإسلام الذي يضمن نور الحياة » . (3)

وندع شريعتي يحدثنا عن والده بنفسه ، و عن تأثره به ، و كيف أن والده هو الذي وجّهه إلى طريق العلم والإيمان « أبي أوّل معلم واجهته في حياتي بعد أن فطمتني أمي عن الرضاع وأوّل إنسان علمني التفكير و هداني إلى الإنسانية ، وجعلني أتذوق الحرية و الشرف و المناعة و العفاف و الإستقامة و الإستقلال ، و عرّفني على مكتبه ومكتبته التي تحتوي على إرث أجدادنا السابقين ، الذين كانوا صفوة بررة وحماة الفضيلة و الكرامة، من رجال العلم

1-عبد الرزاق الجبران ، علي شريعتي و تجديد التفكير الديني ، ط1، دار الأمير، لبنان(1422،2002) ص 89، 90
2- المرجع نفسه ، ص 91 .
3- غلام توسلي ، مقدمة كتاب علي شريعتي ، مسؤولية المثقف ، تر ، ابراهيم الدسوقي شتا ، ط1،دار الأمير، لبنان (1422،2002) ، ص 14 .

والإيمان والطهارة، منسلخين عن حب المال والإطراء ، فلم تنثن رقابهم أمام زخارف الدنيا ومن الأبطال الأحرار، فلم يهدروا كرامة أنفسهم في الثناء و الإطراء على أحد » .[1]

« كان أبي أول من وضع لبنات الآفاق القويمة لروحي، إنّه علّمني منذ البداية فن التفكير و فن الإنسانية ـ أي كيف أكون إنسانا ـ طعم الحرية و الشرف العفة عفة الروح ، الإباء ثبات الإيمان ، إستقلالية القلب وعدم التردد ، كما علمني كيف آنس بقراءة كتبه ، لقد كبرت نشأة ترعرعت منذ السنين الأولى للطفولة والصبا بين كتب والدي وأصدقائه ، واكتسبت تربيتي بهذا النحو » .[2]

« بعد إتمامه للدراسة الثانوية، دخل معهد المعلمين ، و ذلك لشغفه بمهنة التعليم ... وقد بدأ خلال تلك الفترة كتابة مؤلفات عديدة مثل : " المذهب الوسيط في فلسفة التاريخ " ، و أخذ بإلقاء الخطب في مركز " نشر الحقائق الإسلامية " في مدينة مشهد ، كان لمركز نشر الحقائق الإسلامية ، في مدينة مشهد دورا زاخرا بالنشاط على طول السنوات الثلاثين ، و مؤثرا في حياة الملتزمين والمثقفين ، لتلك المدينة و كان له دور كبير جدا بالمقابل في توسيع نشاطات ذلك المركز، عن طريق إلقاء المحاضرات و الخطب و الرّد على الأسئلة » .[3]

« كان لإتقانه اللغة العربية والفرنسية ، قبل دخوله الجامعة ، أثرا بالغا حيث مكّناه من ترجمة بعض الكتب، من هاتين اللغتين إلى الغة الفارسية و من هذه الكتب " أبي ذر الغفاري " من اللغة العربية ، و " الدعاء " من اللغة الفرنسية ، إضافة إلى المقدمات القيّمة و البليغة التي وضعها لترجمتيه تلك ، مما يبين صراحة فكره الإسلامي و صدقه » .[4]

« وعندما تأسست كلية الآداب والعلوم الإنسانية عام (1956م)، في جامعة مشهد تمكّن شريعتي من الإنضمام إليها، والإستمرار بتحصيل العلم إلى جانب عمله التعليمي ، وكثيرا ما كان يبحث في القضايا ويناقش أساتذته في مجالات الفكر المتعددة ، فاكتسب تجربة شق بواسطتها طريقه في النهج الفكري، وتابعه أكثر فأكثر، وحتّى في الدروس التي كان يحضرها

1- علي شريعتي ، كوير ، نقلا عن ، عبد الرزاق الجبران ، علي شريعتي و تجديد التفكير الديني، ص 92 .
2- علي شريعتي ، كوير ، نقلا عن ، غلام عباس توسلي ، مقدمة كتاب علي شريعتي ، مسؤولية المثقف ، ص 16.
3- غلام عباس توسلي ، مقدمة ، مسؤولية المثقف ، ص 19 ، 20 .
4- المصدر نفسه ، ص 20 .

كطالب ، لم يكن يقتنع أن يمضي الدرس دون اشتراكه في نقاشات موضوعية ، تهديه و الآخرين سواء السبيل » .[1]

ذاق شريعتي طعم السجن ، وهو لا يزال شابًا غضا طريا ، لم يكمل دراسته الجامعية بعد « سجن عام (1958م) لمدّة ست أشهر، و لم يكن حينها قد تخرج من الجامعة ، وبعد أن ضربت المقاومة الوطنية بعنف من قبل السلطة و تم تشتيتها » .[2]

بعد أن أتم دراسته الجامعية بتفوق ، حصل على منحة دراسية في الخارج ، على الرّغم من أنّها لم تكن تعط إلا لأولاد المسؤولين و كبار الأثرياء « في فرنسا درس شريعتي في جامعة السوربون ، علم الأديان و علم الإجتماع والأدب ، وتخصص في علم لإجتماع الديني منطلقا من الحاجة التاريخية للشرق الإسلامي ، ومنطلقات شكوكه المنهجية لآفاق دينه التي أراد غربلتها فكان أرقى غربال هي تلك العلوم الإنسانية ، لذا نال دكتوراه في علم الإجتماع الديني ، إضافة إلى دكتوراه ثانية في تاريخ الإسلام ، وهذان العلمان بالتأكيد معروف ترابطهما المنهجي » .[3]

وتتلمذ هناك عند كبار الفلاسفة و المفكرين و علماء الإجتماع ، و ناقشهم في بعض القضايا و المسائل ، كما أنه كان يلقي المحاضرات « لم يكن شريعتي في دراسته لآثار وأفكار الباحثين والكتّاب الملتزمين الأجانب في أوروبا ، واتّصاله الشخصي مع بعض أولئك ليتأثر بأفكارهم السلبية - كما حصل لبعض المفكرين - بل خلص إلى أفكار جديدة ، خلاقة وأصيلة أخذ يعرضها على الناس » .[4]

في منتصف الستينات ، قرر العودة إلى إيران ، إلا أنه اعتقل على الحدود ثم أطلق سراحه بعد فترة ، وعيّن مدرسا في جامعة مشهد « وعندها نذر نفسه لتعليم وإرشاد الشباب وأصبح الطلبة الذين تتلمذوا على يديه فخورين به ، وتهافت الكثير على سماع خطبه ومحاضراته بشكل أقلق مسؤولي الجامعة ، وبسبب ضيق أفق وتعنّت وحقد المسؤولين

1- المصدر السابق نفسه ، ص 21 .
2- عبد الرزاق الجبران ، علي شريعتي و تجديد التفكير الديني ، ص 93 .
3- المرجع نفسه ، ص 94 .
4- غلام توسلي ، مقدمة ، مسؤولية المثقف ، ص 29 .

حالوا دون قيامه بإلقاء المحاضرات ، فلم يعد مسؤولوا الجامعة يتحملون خطبه ومحاضراته ممَا حدا بشريعتي أن يرجع إلى التدريس بشكل حر ، لأنه لم يجد ثمَة تفاوت بين الحرية و المعرفة على أي حال نال فخر التقاعد الإجباري » .[1]

لقد منحه التقاعد من التدريس ، في جامعة مشهد ، فرصة لتأليف الكتب وإلقاء المحاضرات التي لاقت تطلعات وآمال الجيل الجديد ، بحيث تلقفها بلهفة شديدة ، فما كان من السلطة إلا أن جازته بالسجن « اعتقل شريعتي ووالده وبقي في السجن 18 شهرا ، ثم أطلق سراحه بعد أن تدخل من أجله المسؤولون الجزائريون ، أثناء زيارة الشاه للجزائر عام 1975 لكنه وضع تحت المراقبة، ومنع من أيَة نشاطات علنية . في عام (1977 م) غادر طهران متوجها إلى لندن فقتل هناك بعد شهر واحد » .[2]

ثانيا : نشاطاته و نضاله :

كان شريعتي في قمّة النشاط والحيوية ، فلم يكن من أولئك المفكرين الذين يعزلون أنفسهم عن مجتمعاتهم ، و يتيهون بين أكوام الكتب ، وإنما كان مفكرا مسؤولا ، ناضل على عدّة مستويات إجتماعية وسياسية ودينية ، كما ساند حركات التحرر ، في العالم الثالث « بدأ شريعتي نشاطه السياسي وهو لم يزل بعد طالبا في المدرسة الثانوية ، حيث انضم إلى جناح الشباب في الجبهة الوطنية في تيار الدكتور مصدق ، ثم بعد سقوط مصدق عام (1954 م) انضمّ لحركة المقاومة الإسلامية » .[3]

وعندما انتقل إلى الجامعة، أنشأ مع بعض الشباب حلقات دراسية لمناقشة قضايا الإسلام مرتكزا في ذلك على ما تلقاه عن والده ومطالعاته الخاصة للكتب ، وعندما سافر إلى فرنسا قام بمجهودات جبّارة من أجل تنظيم الحركة الإسلامية في الخارج « استمر شريعتي ، مناضلا من أجل تنظيم الحركة الإسلامية في الخارج ، ولعب دورا كبيرا في تكوين النواة الأولى للجمعيات الإسلامية للطلبة الإيرانيين في الخارج ، بل الإسلاميين عموما ، ثم نشاطه البارز في دعم

1- المرجع السابق نفسه ، ص 34 .
2- علي شريعتي ، العودة إلى الذات، ط1 ،الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ،(1406،1986) ص16 ، 17 .
3- عبد الرزاق الجبران ، علي شريعتي و تجديد التفكير الديني ، ص 92 .

الثورة الجزائرية ، وتنظيم التظاهرات التضامنية معها ، ووضع قدراته الفكرية والأدبية في خدمة حركة التحرير الجزائرية ، وحركات عالمية أخرى ، وهناك تعرّف على مناضلي العالم الثالث » . (1)

« كما تعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية ، من خلال نشاطاته الثقافية و السياسية خارج إيران وداخلها ، إضافة إلى منظمات وحركات تحرر عالمية أخرى، وهذا ما يبرز أن شريعتي كان مفكرا ومناضلا عالميا ، و لم يكن " يقومن" من ـ القومية ـ نفسه على بلد معين » . (2)

أمّا داخل إيران ، فقد كان شريعتي ، من المعارضين لسياسة الشاه الديكتاتورية ، فكان يندد بسياسة الشاه التغريبية ، ويبرز أخطار تلك السياسة من عدّة نواح « لم يستطلع أن يغض النظر أو أن يختار الصمت القاتل مقابل الإجراءات التعسفية التي اتّخذها الحكام الجائرون في إيران ، فقام بمحاربتها و النضال ضدها ، على الصعيدين الإجتماعي والسياسي ، إذ سلك طريق توعية الجماهير وتبيين الحق عن الباطل وتعبئتها بهذه المواجهة وذلك عبر خطبه وكتاباته و نشاطاته الأخرى » . (3)

على الصعيد الفكري ، كان يناضل على جبهتين : ضد التقوقع والجمود والتقليد وضد التغرب ونكران الذات « كان يحارب على جبهتين في آن واحد ، الأولى : ضد المتقوقعين والتقليديين من المسلمين الذين انزووا في زاوية من زوايا المسجد ، وعزلوا الإسلام عن المجتمع وأبدوا ردود فعلهم السلبية إزاء أي حركة فكرية حرّة تبرز في المجتمع ، و ذلك لكونهم قد أسدلوا ستارا مظلما على وجه الإسلام المشرق ، واختاروا لأنفسهم مخبئا خلف ذلك الستار » . (4)

« أمّا الجبهة الثانية التي كان يحاربها شريعتي ، فهي التي يشكّلها المثقفون الذين اغتربوا عن ذواتهم ، فقلّدوا من سبقوهم ممن تمسّكوا بالنزعة العلمية الجديدة ـ العلمانية ـ فاستبدلوا

1- المرجع السابق نفسه ، ص 96 .
2- المرجع نفسه ، ص 97 .
3- غلام عباس توسلي ، مقدمة مسؤولية المثقف ، ص 22 .
4- المرجع نفسه ، ص 2 ، 23

خندقهم الأصلي بذلك الموضع ، وكانوا يبدون تواضعهم أمام تباهي العصر، الذي ملأ فسادا وغرورا و عنجهية » . (1)

« لقد منح كل وقته ، للجهاد والنضال والإرشاد ، على أمل أن يحرر هذا الجيل المنسي واللاواعي من الحيرة والهذيان الذي يرفل فيه ، فعلى الرّغم من وجود العقبات والمشكلات وعلى الرّغم من المساعي الكبيرة التي بذلت لمصادرة جهوده و آثاره ، من قبل العناصر الفاسدة و الوضيعة استطاع أن يترك الأثر الذي أراده للمجتمع الإيراني ، بفضل منطقه القوي ومنهجه العقلاني في فضح مرامي أعداء الشعب ، فوجّه ضربات ماحقة لمواقع الأيديولوجية الرجعية والأمبريالية الأجنبية ، وأضحت آثاره المتعددة مشعلا ينير الدرب للجيل الجديد » . (2)

ثالثا : مؤلفاته :

ترك شريعتي ، مؤلفات كثيرة رغم قصر عمره ، تنوعت مواضيعها بين فلسفية وفكرية دينية واجتماعية وتاريخية ، وقد لاقت مؤلفاته قبولا كبيرا ، حيث طبعت عدّة مرات وترجمت إلى عدة لغات ، وفي ما يلي بعضها أو أشهرها :

1- الإنسان و الإسلام . 2- الإنسان الغريب عن نفسه . 3- الإنسان و التاريخ .
5- العودة إلى الذات . 5 - النباهة والإستحمار . 6 - مسؤولية المثقف .
7 - بناء الذات الثورية . 8 - دين ضد الدين . 9- مسؤولية المرأة .
10- الحجاب . 11- الحج . 12- الدعاء. 13 - تاريخ الحضارة .
14- محمد خاتم النبيين . 15- الحسين وارث لآدم . 16 – الإمام السجاد أجمل روح عابدة . 17- الذكر و الذاكرون . 18- الشهادة . 19- التشيع مسؤولية .20 - الدين التهمة .
21- الإنتظار مذهب الإعتراض . 22- العلم و المدارس الجديدة . 23- الحضارة و التجديد
24- علم الإجتماع حول الشرك . 25 . الوجودية و الفراغ الفكري .

1- المرجع السابق نفسه ، ص23 .
2- المرجع نفسه ، ص 34 ، 35 .

رابعا : علي شريعتي في آراء المفكرين :

تباينت الآراء ، و تعدّدت و تناقضت حول علي شريعتي وفكره ، فالشيعة يعتبرونه سنّيا وهابيا والسنّة يعتبرونه شيعيا إثنا عشريا ، ومنهم من قال بأنّه من دعاة التغريب ، فهو الذي درس في أوروبا وتعرض لعملية غسيل مخ ، وآخر قال بأنه رجعي متحجر ، متقوقع على ذاته وفيما يلي بعض شهادات علماء الشيعة ومفكريهم :

1 - الإمام الخميني :

« لقد أثارت أفكار الدكتور شريعتي ، الخلاف والجدل أحيانا بين العلماء لكنّه في نفس الوقت لعب دورا كبيرا في هداية الشباب إلى الإسلام » . [1]

2- علي خامنئي [2] :

« في الحقيقة كان الدكتور شريعتي مواليا ، صلب العقيدة وعاشقا لكل ما هو مقدس في الإسلام وذلك ما لمسته منه عن قرب ، وليس من خلال ما أشيع عنه أو ما قالته التيارات الفكرية في حقه ، وهنا يمكن أن نستند في تقييمنا للدكتور شريعتي على نقطة مهمة ، وهي من خلال مواجهته للتيارات الفكرية الأخرى في ساحتنا ، وكانت هذه التيارات قد بدأت عملها من خلال ثلاث محاور وهي : مواجهة الحس الوطني ، ومواجهة كل ما هو إسلامي ، ومحاولة تفتيت الأمة ، وكانت تلك التيارات تتقدم بحسب اتجاهاتها ، ولكن الدكتور شريعتي لما ظهر على ساحة الفكر الملتزم : اختلف مع تلك التيارات في عمله بمقدار 180 درجة ، مما يعني أن الدكتور شريعتي كان له ارتباط قوي بالإسلام ، وأنّه كان على طرفي نقيض مع حثالة المستغربين ، والتابعين للأجنبي ، ولكل ما يأتي من الخارج ، حيث كانت علاقته بالأمة قويّة » . [3]

1- مقدمة كتاب علي شريعتي ، دين ضد الدين ، ط1، تر، حيدر مجيد ، دار الأمير ، لبنان ،(1423،2003) ص 7.

2- علي الخامنئي : هو علي بن السيد جواد الحسيني الخامنئي ، ولد عام 1939 م في مدينة مشهد المقدسة ، شرع في دراسة العلوم الدينية عند كبار العلماء ، انضم عام 1962 م إلى تيار النهضة الإسلامية ، التي فجرها الخميني و ساهم في نشر الأفكار الثورية في الأوساط الشعبية و الحوزية ، اعتقل عدة مرات ، و بعد انتصار الثورة انتخب رئيسا للجمهورية الإسلامية الإيرانية عام 1981 م من مؤلفاته : المستقبل في إطار الإسلام ، الحياة السياسية للإمام الصادق ، من أعماق الصلاة ، الفهم الصحيح للإسلام . أنظر : www.fadk.org.

3- مقدمة كتاب ، علي شريعتي ، دين ضد الدين ،ص 8 ، 9.

3- موسى الصدر[1] :

« أديب شامخ ، فكره إسلامي نضالي منفتح ، إسلاميته ، وطبقيته ، وموقف رجال الدين لم تجعل من دعوة الدكتور شريعتي ، دعوة محافظة ، رجعية يمينية كما هو التقليد ، لأن الدعوة الإسلامية تعتبر في كثير من الأوساط ، دعوة محافظة على الأقل ، لكن دعوة الدكتور شريعتي للإسلام دعوة تقدمية ثورية نضالية ، أو ما نسميه نحن دائما في اجتماعياتنا دعوة حركية وليس دعوة مؤسساتية ، يعني ليس الإسلام دكانا يجب أن نحتفظ بمكاسبه ، ونسخّر الناس لخدمته كما حصل للمؤسسات الدينية ... الدكتور شريعتي من خسائر الفكر الإسلامي والفكر الحركي ، الفكر النضالي المعتمد على الإيمان بالله سبحانه » . [2]

4- هاشمي رفسنجاني [3] :

« الدكتور شريعتي ، كان من الذين خدموا هذه النهضة حقيقة ، وقد تركت نشاطاته خلال السنوات الأخيرة ، تأثيرها على طبقة واسعة ، لم نكن نحن على تواصل معها ، وقد اجتذبهم نحو الساحة ، خاصة أنه كان صاحب تجربة ، أي أنه كان معلما من ناحية ، وذهب إلى الخارج أيضا ، ثمّ إنّه كان مطلعا على العلوم الإجتماعية ، لذلك استطاع أن يؤثر في المجتمع ويوجد موجة قوية » . [4]

1- موسى الصدر : ولد في مدينة قم سنة 1928 م حيث درس العلوم الدينية ، تحصل على شهادة في علم الشريعة الإسلامية و شهادة في العلوم السياسية ، من جامعة طهران . في عام 1960 م ، توجه للإقامة في صور اللبنانية من أهم أعماله تأسيس المقاومة اللبنانية المعروفة بحركة أمل في 1974 م .في سنة 1978 م اختفى في ليبيا في ظروف غامضة و تكتم من ليبيا ، و قد ذهب إلى هناك في جولة يدعو فيها إلى عقد قمة عربية لإنهاء الأزمة اللبنانية .
من مؤلفاته : الإسلام و ثقافة القرن 20 ، معالم التربية القرآنية ، المذهب الإقتصادي في الإسلام www.wikipedia.org

2- مقدمة كتاب علي شريعتي ،دين ضد الدين ، ص 8،9 .

3- هاشمي رفسنجاني : علي أكبر هاشمي رفسنجاني ، قائد ديني و سياسي ورئيس جمهورية إيران في الفترة من (1989،1997 م)، تتلمذ على يد الخميني ، و سار على خطى أستاذه ، في معارضة محمد رضا شاه بهلوي ، اعتقل عدة مرات ، و بعد نجاح الثورة عين في مجلس الثورة . أنظر : www.aljazeera.net

4- مقدمة كتاب علي شريعتي ، النباهة و الإستحمار ، تر ، هادي السيد ياسين ، ط1 ،دار الأمير ، لبنان ، (1425،2004) ص 13 ، 14 .

الفصل الأول

عوامل مسخ الإنسان عن فطرته الإنسانية

تمهيد

المبحث الأول : الإنسان كما فطره الله

المبحث الثاني : عوامل مسخ الإنسان :

الذاتية و الميتافيزيقية

المبحث الثالث : المدارس الفلسفية الغربية

ومسخها لإنسانية الإنسان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

أخذت قضية الإنسان ، جانبا كبيرا من اهتمام علي شريعتي ، الفكري والفلسفي ، وذلك لأنّه كان يعتقد أنّ كل فكر ، و كل فلسفة و كل أيديولوجية ، تطرح قضايا بعيدة عن واقع الإنسان و قيمه و آلامه و آماله ، و ذاته و مجتمعه ، فهي بمثابة ترف فكري ولذلك « فقد ركز علي شريعتي على ثلاثة قضايا أساسية : تعريف الإنسان ، واجبات البشر على الأرض ، جدلية العلاقة بين الخالق والإنسان و الكون » . [1]

وعليه تناولت في هذا الفصل ، قضية ذات أهمية بالغة ، أثارها شريعتي في كتبه ومقالاته ومحاضراته ، وهي عوامل مسخ الإنسان عن فطرته الإنسانية ، حيث يرى أنّه وجدت عوامل كثيرة كانت سببا في مسخ الإنسان عن فطرته .

فما هي هذه العوامل ؟ و كيف يستطيع الإنسان أن ينجو من سطوتها ؟ .

المبحث الأول: الإنسان كما فطره الله:

لقد خصّصت هذا المبحث من الفصل الأول ، للتكلم عن فطرة الإنسان التي جبل عليها حتّى إذا تكلمت عن عوامل مسخ الإنسان ، وعن مظاهر ذلك المسخ وتجلياته في حياة الإنسان كان الأمر أكثر تجليا ووضوحا .

يرتكز شريعتي في تحليله لهذه المسألة على الإسلام ، فهو ينطلق من القرآن الكريم و يعتبره قد وضع الإنسان في مكانة لم تستطع، أيّة فلسفة وأيّة عقيدة بشرية أن تمنحها للإنسان.

أولا : الدلالة اللغوية و الإصطلاحية لكلمتي الإنسان والفطرة .

أ- الدلالة اللغوية لكلمة الإنسان :

أنس : « الهمزة و النون و السين أصل واحد ، وهو ظهور الشيء ، وكل شيء خالف طريقة التوحش ، قالوا : الإنس خلاف الجن ، وسمّوا لظهورهم ، و يقال أنست الشيء إذا سمعته .

1- ريهام محروس ، بصائر المعرفة ، العدد ، 2 ، سبتمبر 1999 م ، مركز الدراسات المعرفية ، القاهرة ، ص ، 25 .

والأنس : أنس الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه ، و العرب تقول : كيف ابن إنسك ؟ إذا سأله عن نفسه ، و يقال : إنسان إنسانان ، و أناسي » .[1]

- الأنس : « خلاف الوحشة و هو مصدر قولك أنست به .

- و الإنسي : منسوب إلى الإنس ، كقولك جني و جن .

- و الإنس : البشر ، الواحد إنسي و أنسي .

- أنس الشيء : أحسه وآنس الشخص و استأنسه ، رآه و أبصره .

- وأصل الإنس والأنس والإنسان من الإيناس والإبصار ويقال: آنسته وأنسته أي أبصرته ».[2]

وعليه تدور معاني كلمة إنسان اللغوية حول الأنس الذي هو نقيض التوحش، و إنس بمعنى الظهور و خلاف الجن الذي يعني التستر. و الأنس(بفتح الهمزة) و الأنس (بضمها) خلاف النفور و آنسه ضد أوحشه، فالناس يأنس بعضهم ببعض.

ب- **دلالة كلمة الإنسان الإصطلاحية** :

عرفه الجرجاني بقوله : « الإنسان هو الحيوان الناطق ».[3]

وعرّفه الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين بقوله :« الإنسان على رتبة بين البهائم والملائكة فالإنسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ، ومن حيث يحس ويتحرك بالإختيار فحيوان ، ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط ، و إنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء » .[4]

فخاصية الإنسان التي تميزه عن باقي المخلوقات ، هي المعرفة التي خص بها .

1- أبي الحسين أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق، عبد السلام محمد هارون ، د ط ، دار الفكر، (1399، 1979) ج 1 ، ص 145 .

2- ابن منظور، لسان لعرب ، د ط ، دار المعارف ، القاهرة ، د ت ، ج 1 ، ص 147 ، 150 . ومحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، ضبط و تحقيق ، أحمد شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (1994، 1415) ص،42. و الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، راجعه محمد خليل عياتي ، ط4 ، دار المعرفة ، بيروت (1426،2005) ، ص38 .و : محمد علي الفاروقي التهانوي،تح ، لطفي عبد البديع ، دط ، المؤسسة المصرية العامة ، مصر ، (1963 ، 1382) ص 108 .

3- الشريف علي بن محمد الجرجاني ، التعريفات ،ط3، دار الكتب العلمية لبنان ، (1988، 1408) ص 38 .

4- أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دط،دار المعرفة بيروت ، دت ، ج3 ، ص 12 ،13 .

2- الدلالة اللغوية و الإصطلاحية لكلمة الفطرة .

أ – الدلالة اللغوية لكلمة الفطرة :

فطر : ‹‹ بالفتح أي الشَق ، وهو الأصل في المعنى ، و جمعه فطور، أي شقوق ›› .[1]

ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم : قوله تعالى:

{ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ} . الشورى / 5 .

و قوله تعالى : {إذا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ }. الإنفطار / 1 .

وقد جاء في الحديث الصحيح ، أن النبي صلى الله عليه و سلم « كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه » .[2] أي : تتشقق .

« و يأتي الفطر بمعنى الإبتداء و الإختراع والخلق والإيجاد والإنشاء » .[3] و من شواهد هذا المعنى في القرآن الكريم قوله تعالى: { الحَمْدُ للهِ فاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ }. فاطر /1 .

و قوله : { إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ } . هود /51 .

- « و أطلق العرب " الفطرة " أيضا على الشيء الحديث ، الذي لم يمر على حدوثه زمن حتى يتأثر، أو يتغير بل هو باق على أصله » .[4]

ب – الدلالة الإصطلاحية لكلمة الفطرة :

عرّفها الجرجاني في كتابه التعريفات بقوله : ‹‹ الفطرة : الجبلة المتهيئة لقبول الدين›› .[5]

وعرّفها ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل بقوله : « إنّ معرفة الله فطرية ، إن كل إنسان يولد على صفة تقتضي إقراره بأنّ له خالقا مدبرا، وتستوجب معرفته إياه و تألهه له وهذه الصفة ذاتها هي القوة المغروزة في الإنسان ، التي تقتضي اعتقاده للحق دون الباطل وإرادته للنافع دون الضـــار، وإذا كان قد علم بالبراهين اليقينية القاطعة فإنّه يتعين بذلك

1- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج 4 ، ص 510 .
2- أورده البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب قيام النبي صلى حتى تتورّم قدماه ، ج 2، ص 44 .
3 - ابن منظور ، لسان العرب ، ج 2 ، ص 55 ، 58 .
4- المصدر نفسه ، ص 59 . و: الراغب الأصفهاني المفردات في غريب القرآن ، ص 384 .
5- الجرجاني ، التعريفات ، ص 168 .

ان يكون في الفطرة ما يقتضي معرفة الصانع و الإيمان به » .[1]

وعرّفها محمد الطاهر بن عاشور، تعريفا بليغا في تفسيره التحرير والتنوير بقوله « الفطرة هي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق ، والفطرة التي تخص نوع الإنسان ، هي ما خلقه الله عليه جسدا وعقلا ، فمشي الإنسان برجليه فطرة جسدية ، ومحاولته أن يتناول الأشياء برجليه خلاف الفطرة الجسدية ، واستنتاج المسببات من أسبابها خلاف الفطرة العقلية وهو المسمى في علم الإستدلال بفساد الوضع ، وجزمنا بأن ما نبصره من الأشياء هو حقائق ثابتة في الوجود ونفس الأمر فطرة عقلية ، وإنكار السفسطائية ثبوت المحسوسات في نفس الأمر خلاف الفطرة العقلية » .[2]

في هذا التعريف نجد أن محمد الطاهر بن عاشور، يقسّم الفطرة ، إلى فطرة عقلية وفطرة جسدية ، وفي كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية ، نجده يضيف نوعا آخر وهو الفطرة النفسية ويعرّفها بقوله : « الفطرة النفسية للإنسان ، هي الحالة التي خلق الله عليها عقل النوع الإنساني سالما من الإختلال والرعونات والعادات الفاسدة ، فهي المراد من قوله تعالى : {فطرة الله التي فطر الناس عليها } ، وهي صالحة لصدور الفضائل عنها كما شهد به قوله تعالى : { لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات} ، فلا شك أن المراد بالتقويم في الآية تقويم العقل الذي هو مصدر العقائد الحقة والأعمال الصالحة ، وأن المراد بردّه أسفل سافلين ، انتقال الناس إلى اكتساب الرذائل بالعقائد الباطلة والأعمال الذميمة ، وليس المراد تقويم الصورة ،لأن صورة الناس لم تتغير إلى ما هو أسفل ولأن الإستثناء بقوله {إلا الذين ءامنوا } ، يمنع أن يكون المستثنى منه صورا ظاهرة إذ ليس للمؤمنين الصالحين اختصاص بالصور الجميلة ، فالأصول الفطرية التي خلق الله عليها الإنسان المخلوق لعمران العالم ،وهي إذا الصالحة لانتظام هذا العالم على أكمل وجه ، وهي إذا ما يحتوي عليه الإسلام الذي أراده الله لإصلاح العالم بعد اختلاله » .[3]

---

1 - أبي العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية ، درء تعارض العقل و النقل ، تحقيق ، محمد رشاد سالم ، ط2 ، دار المسلم الرياض ، (1411، 1991) ج 2 ، ص 458 .

2- محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، دط ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ج 20 ، (1984) ص 90 .

3- محمد الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، دط ، الدار التونسية ، تونس ، (1978) ص 57 ، 58 .

ثانيا : الإنسان كائن ذو بعدين :

عرّف القرآن الكريم الإنسان بنفسه وبقيمته ، ودوره في هذا الكون ، وذلك لكي يكون سعيه فيه عن بيّنة « هكذا بدأ القرآن ، قبل كل شيء ، وحسب أسبقية كل من الترتيب الكتابي والنزول الزمني بتعريف الإنسان ،على ذاته وتبصيره بأصله وخصائصه ، ومدى أهمّيته وخطورته في هذا الكون الذي يعيش فيه ، وذلك لأنّه من أهم العناصر الحضارية وأخطرها ولأنّه المحور الذي تدور عليه حركة معظم الموجودات المتماوجة من حوله ، ولأنّه هو الذي سيكلف بتسييرها وتسخيرها نحو هدف عظيم وخطير » . (1)

« يريد القرآن أن يقول : إنّ الإنسان موجود ذو اتجاهين ، موجود ثنوي ، بخلاف سائر الموجودات ذات البعد الواحد ، موجود بعد منه يميل إلى التراب و الإنحطاط وينشد إلى الترسب في الأرض والجمود والتثاقل والتوقف ، مثل الطين الذي يترسب في قاع البحار والأنهار ومن جانب آخر فإنّ بعده الثاني أي روح الله ـ بتعبير القرآن ـ يميل إلى التعالي بعكس البعد الأول، يتّجه إلى أعلى قمّة في الوجود يمكن تصورها أي الله » . (2)

وهذا هو المنطلق الأساسي لعلي شريعتي في فلسفته للإنسان ، فهو يرجع إلى القرآن الكريم وإلى قصة خلق الإنسان ، التي يبين فيها سبحانه أنّه خلق الإنسان ، من صلصال من حمإ مسنون ، ثمّ إنّه نفخ فيه من روحه ، ليصل شريعتي إلى أنّ الإنسان بسبب انعكاس هذه الخلقة الإزدواجية عليه يميل إلى الأدنى حتى يصل إلى أسفل سافلين ، كما أنّه يستطيع الإرتقاء إلى الأعلى ليحقق إنسانيته و عبوديته لله .

«... الإنسان في تكوينه ، استجمع من عناصر التكوين ما تفرق في الكون منها ، بحيث انفرد بهذا الإستجماع عن كل ما سواه من الموجودات ، فالعناصر الموجودة في الكون ترجع إلى عنصرين أساسيين روحي و مادي ، و الإنسان قد استقل بالجمع بينهما ». (3)

يرى شريعتي أنّ هذه الحقيقة ،هي سر عظمة الإنسان فيقول :« إذا فالإنسان مخلوق من قطبين متناقضين، واحد : الطين والآخر: روح الله ، وهذا هو سر عظمة الإنسان ، إنّه كائن ذو بعدين ، وموجود ذو قطبين متناقضين ، ومن ثمّة وبفضل إرادته ، يتمكن من أن يتّجه إمّا

1- محمد سعيد رمضان البوطي ، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ، ط ، دار الفكر ، دمشق ، (1982) ص 46 .
2- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ، ترجمة ، عباس الترجمان، ط ، دار الروضة ، لبنان ، (1412 ، 1992) ص 15 .
3- عبد المجيد النجار ، قيمة الإنسان ، ط ، دار الزيتونة للنشر ، الرباط ، (1417 ، 1996) ص 13.

إلى بعده الأرضي وينشد إلى قطب التراب والترسب ، أو ينطلق من بعده السماوي ويصعد في قطب السمو الإلهي والروح الإلهية ، يبدأ هذا الصراع والتجاذب بين هذين القطبين داخل الإنسان ، حتى يختار الإنسان أحدهما ويقرر مصيره » . (1)

« الإنسان في نظر الإسلام ، كائن لا هو بالملاك ولا هو بالشيطان ، وإن كان قادرا في بعض حالات الهبوط ، أن يصل إلى درجة الشيطان من الشر وفي بعض حالات الإرتفاع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر، ولكنّه في حالته الطبيعية شيء بين هذا وذاك مشتمل على الخير ، كما هو مشتمل على الشر، وليس أي العنصرين غريبا عن طبيعته ، ولا مفروضا عليه من خارج نفسه » . (2)

يعتبر شريعتي ، هذا الفهم متطابق تماما مع القرآن الكريم « ومنطلق القرآن الكريم في فهم الإنسان متفق تماما مع هذا التفسير، يقول تعالى : { لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين } التين / 4،5 . أي : إنّنا خلقنا الإنسان بالنسبة لاستعداده وإمكانيات تكامله في أعلى مرتبة علمية ، ثم رددناه بعد ذلك إلى أدنى الدرجات » . (3)

هذه الإزدواجية في التركيبة الإنسانية ، جعلت الإنسان يعيش حالة تضاد و تجاذب « فالإنسان- بالمنظار القرآني - قائم على التناقض ، قوّتان متضادتان تتجاذبان باتجاهين مختلفين ، إحداهما نحو القعر الرسوبي للحياة ، والأخرى نحو القمّة التي سجدت له فيها الملائكة أجمعون ، المهمّ أن الإنسان الواقع تحت تأثير هاتين القوتين ، والمواجه أبدا لمفترق طريقين ، قادر على الإختيار بانتخاب أحد الطريقين ، ومن هنا تنبثق المسؤولية ، وعلى رأس هذا المفترق يقف إبليس بكامل قواه حذرا يقضا لا يغفل عن صاحبه طرفة عين » . (4)

« و إذا كان للإنسان وجودان : وجود حي ووجود روحي ، فله على هذا مجالان يسعى فيهما بمواهبه ، مجال حي يسعى فيه بمواهب عقله الطبيعي هو عالم الطبيعة ، و مجال روحي يسعى فيه بمواهب عقله الروحي ، هو أفق ما وراء الطبيعة ، أفق الدلالة الروحية على صفات الخالق سبحانه ». (5)

1- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ، ص 15 .
2- محمد قطب ، الإنسان بين المادية و الإسلام ، ط، ، المكتبة العصرية ، القاهرة ، (1976) ص 80.
3- علي شريعتي ، بناء الذات الثورية ، ترجمة ، إبراهيم الدسوقي شتا ،ط، دار الأمير، لبنان،(1425، 2005) ص19، 20
4- علي شريعتي ، معرفة الإسلام ، ترجمة ، حيدر مجيد ، ط، ، دار الأمير ، بيروت ، (1424 ، 2004) ص 215.
5- البهي الخولي ، آدم عليه السلام ، ط، ، دار التراث ، القاهرة ، (1976) ص 54 .

وسر هذا التناقض والتجاذب هو: «..ذلك بأن الإنسان ، بانتمائه إلى عالمين متباعدين - عالم النور وعالم الطين - يتأرجح دائما بين هذين العالمين ويتقلب فيهما ... فهو حينا يرتفع ويتسامى ، فإذا هو في الملإ الأعلى ، ثمّ هو حينا ينزل ويسفل ، فإذا هو في الوحل والطين وبين هاتين المنزلتين منازل كثيرة ،لا يحصرها العدّ يتقلب فيها الناس بين علو وإسفاف وبين صعود وانحدار » . (1)

ومن هذا المنطلق القرآني ، يستنتج شريعتي عدّة نقاط من فلسفة خلقة الإنسان فيقول « و في ضوء ذلك ، لنستوحي من فلسفة خلق الإنسان ، على ما ورد في القرآن النقاط التالية :

أولا : أنّ طبيعة الإنسان مكوّنة من عنصر قذر مهين ، من طينة نتنة رسوبية ، مكونة من الشوائب المترسبة في قعر نهر جار - صلصال من الفخار من حمإ مسنون - فهو إذا حقير بالطبع ، وميّال إلى الرسوب والتخلف والإنحدار إلى القعر .

ثانيا : بالرّغم من هذه الطبيعة المنحطة ، لهيكل الإنسان فهو يشتمل في باطنه ، على جوهر خالص هو روح الله التي نفخت فيه ، وخليفة الله في الأرض ، وقد علمه من الأسرار ما عجز عنه الملائكة .

ثالثا : إنّه مختار، قادر على تمييز الخير من الشر، والخدمة من الخيانة والصلاح من الفساد واختيار الأصلح بين الإثنين ، وهو الموجود الوحيد - ممّا سوى الله - لديه إرادة وبالتالي مسؤولية و التزام » . (2)

ثالثا : الإنسان و مهمة الإستخلاف:

« لا أخطر على الإنسان من أن يعيش حياته ولا يدرك الغاية منها ، إذ يكون في حاله هذا قد انحط من مستوى العقلاء الذين يدركون غاية حياتهم ، إلى مستوى العجماوات التي لا تدرك من حياتها سوى إشباع غرائزها وشهواتها ، إنّ الذي يرضى لنفسه أن يكون في عماية عن إدراك غاية حياته ، وهو قادر على الوصول إليها بما وهبه الله تعالى من نعمة العقل والفكر والإدراك ، ويخلد إلى العيش في غفلة إشباع الغرائز والشهوات ، ويعطل عقله وفكره عن الحصول على أغلى ما في وجوده ألا وهو معرفة غاية حياته » . (3)

1- عبد الكريم الخطيب ، الله و الإنسان ، دط ، دار الفكر العربي ، دت ، ص 15.

2- علي شريعتي ، معرفة الإسلام ، ص 214 ، 215 .

3- خالد عبد الرحمان العك ، غاية حياة الإنسان كما يصورها الدين و العلم ، ط ١ ، دار الألباب ، دمشق ، سوريا (1412 ، 1991) ص 10 .

يعتقد شريعتي ، أن مهمة الإنسان في هذه الدنيا ، هي الإستخلاف عن الله ، وذلك لقوله تعالى : { إنّي جاعل في الأرض خليفة } البقرة /30 . يقول : « في البدء يقول الله عز و جل لملائكته { إنّي جاعل في الأرض خليفة }. لاحظوا بدقة مكانة الإنسان في الإسلام ، كم هي عظيمة ... فا لله سبحانه الذي هو في العقيدة الإسلامية ، و في اعتقاد كل مؤمن ، هو أكبر وأعظم من أي شيء ، و هو خالق آدم والمهيمن على خلقه ، يخاطب الملائكة بأنه يريد أن يجعل الإنسان خليفته في الأرض ، بمعنى أنّ رسالة الإنسان في الإسلام ، تتضح بالخطاب الأول لله سبحانه وتعالى ، أي أنّ الرسالة التي حدّدها الله سبحانه للكائنات يضطلع الإنسان بمسؤولية أدائها ، باعتباره خليفة الله في الأرض » . (1)

« و الإستخلاف يعني التكليف بتنفيذ الأوامر، كما بيّنه ابن عاشور في قوله : " فالخليفة آدم و خلفيته قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض " وعلى هذا المعنى تكون غاية الحياة الإنسانية في نطاق عقيدة الخلافة ، هي أن يقوم الإنسان بحركة تعمير في الأرض، وفق أوامر الله ونواهيه ، بحيث يكون في كل منشط مادي أو معنوي ، متجها إلى الله تعالى يستجلي مراده ويتحراه ، يبتغي مرضاته ويجدّ في الفوز بها ، وتبعا لذلك تكون حركته التعميرية في الأرض ، في كل اتجاهاتها الفردية و الإجتماعية والمادية والمعنوية حركة عبادة لله تعالى». (2)

إذا كانت مهمة الإنسان في هذه الأرض ، هي الخلافة فإن الله سبحانه قد زوّده بما يحقق له ذلك ، من خصائص وصفات تسهّل عليه سعيه ، من أجل تحقيق هذا الغرض « خصائص الإنسان وطاقاته واستعداداته ، كلها ملحوظة فيها وظيفة الخلافة في الأرض ، ومقدرة بقدرها محدودة بمقتضياتها ، ومن ثمّة وهب له من هذه الخصائص والإستعدادات والطاقات عن سعة وبذل له فيها فيض من العون والرعاية ، وزويت عنه الجوانب التي لا تخص تلك الوظيفة فالغيب محجوب عنه والساعة مجهولة الموعد ، والعوالم الأخرى معلومة له بالقدر الضروري والعلم اليقين لا يجيئه في هذه لأمور إلا من عند الله » . (3)

وعليه فإنّ إنسانية الإنسان ، تكمن في استخدامه لتلك الخصائص والصفات التي زوّد بها والوصول إلى مهمته التي كلف بها ، من قبل خالقه « وإنّما الإنسانية فيه ارتقاء إلى الدرجة

1- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ، ص 15 .
2- عبد المجيد النجار ، الإستخلاف في فقه التحضر الإسلامي ، مجلة التجديد ، العدد الأول ، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ، (1417 ، 1997) ص 9.
3- سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي ، ط ، دار الشروق ، القاهرة ، (1408 ،1988) ص 368 .

التي تؤهله للخلافة في الأرض ، و احتمال تبعات التكليف ، وأمانة الإنسان لأنه المختص بالعلم والبيان و العقل و التمييز » . [1]

ومن الخصائص ، التي زوّد بها الإنسان ليستطيع أداء مهمة الإستخلاف ما يلي :

1- العلم و المعرفة :

إنّ الإنسان كائن مكرم ، مفضل في هذا الكون عن سائر الموجودات ، ولا شك في أنّ شعور الإنسان بأنّه كائن مكرم له دور كبير في دفعه وترقيته إلى المقام المطلوب « وهو كائن كريم على الله ، ذو مركز عظيم في تصميم الوجود ، على الرغم من كل ما في طبيعته من استعداد للضعف والخطأ والقصور والتردي ، ولكن استعداده للمعرفة الصاعدة ولحمل أمانة الإهتداء والتبعة ، يجعله كائنا فريدا يستحق تكريم الله له ، واختصاصه بمقام الخلافة في الأرض عنه سبحانه ، و قبول توبته كما يستحق ، تلك العناية الإلهية به بإرسال رسله ورسالاته ... و هو أكرم من كل ما هو مادي ، لأنّ كل ما هو مادي مخلوق له » . [2]

نال الإنسان هذا التكريم بما أعطاه الله من علم ، هذا ما لاحظه علي شريعتي ، فهو يرجع إلى قصة خلق آدم ، التي وردت في القرآن الكريم ، ليستنتج منها سر تفضيل الإنسان وتكريمه فيقول :« ... ثم تسأل الملائكة : إنّنا مخلوقون من نور ، وهذا الإنسان من الطين المترسب فكيف تفضله علينا ، ونحن نسبّح ونقدس لك ، فيقول : { إنّي أعلم ما لا تعلمون } ويقول لهم : " اسجدوا لآدم " ... فهل يمكن أن نعرف عظمة الإنسان إلى هذا الحدّ؟ إلى درجة أنّ الملائكة التي يتفوق عنصرها على آدم - لأنها مخلوقة من نور، وآدم مخلوق من تراب - و تتميز ذاتيا عليه ومع ذلك فهي تسجد له » . [3]

« ولأنهم سألوا الله عن سبب تفضيل آدم عليهم ، فقد أراد سبحانه وتعالى أن يبيّن لهم سر عظمة الإنسان ، وسبب تفوقه عليهم ، فامتحنهم الله وسألهم عن تلك الأسماء ، وإذا بهم لا يعرفونها {فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (31) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنّك أنت العليم الحكيم (32) }. البقرة /31، 32. في حين أنّ آدم كان يعرف

1- عائشة عبد الرحمان، مقال في الإنسان، دط، دار المعارف، مصر، (1969) ص 15.
2- سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، ص 362.
3- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ، ص 19 ، 20 .

تلك الأسماء ؛ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم هؤلاء فلما أنبأهم}. البقرة /33. تبين فضل آدم وسر تفوقه على الملائكة » .[1]

2- الحرية و الإرادة :

من مقتضيات خلافة الإنسان ، في هذه الأرض ، أن يكون حرا، و من ثمة فهو مسؤول وهذه المسؤولية تنفي الإدّعاء القائل بأنّ الإنسان خلق عبثا ، أو أنّه مسلوب الإرادة « فالفضيلة الوحيدة التي يتميّز بها الإنسان ،عن جميع الموجودات في العالم ، هي إرادته أي أنّه الموجود الوحيد الذي يتمكن من العمل حتى بخلاف طبيعته ، و ضد غريزته ، في حين أنّ كلا من الحيوان أو النبات لا يتمكن من التصرف خلافا لطبيعته أو خلافا لغريزته » .[2]

الإنسان هو المخلوق الوحيد ، الذي يملك القدرة على مخالفة غرائزه وطبيعتـــــه ويستطيع أن يسلك طريق الخير أو طريق الشر « الإنسان هو الكائن الوحيد ، الذي يتمكن أن يتمرد على الصورة التي خلق عليها ، وحتى على احتياجاته المادية والمعنوية وغرائزه الجسدية يتمكن من عمل الخير وعمل الشر، يتمكن أن يعمل بعقله أو بخلافه ، وهو حر أن يكون خيّرا أو شريرا - أن يصير ترابيا أو ربانيا - و هكذا فالإرادة من أعظم خصائص الإنسان » .[3]

3 - الإستعداد للترقي و التزكية :

من بين الصفات التي زوّد بها الإنسان ، والتي تسهل عليه العملية الإستخلافية ، أنّه كائن قادر على تطوير قدراته ومهاراته الإبداعية « من مقتضيات الخلافة في الأرض، أن يجاهد الإنسان في سبيل ترقية ذاته الإنسانية ، وذلك بتنمية قدراته الذاتية تنمية مستمرة ... وترقية هذه القدرات إنّما تكون ترقية استخلاف إذا كانت موجهة في وجهة العبودية لله ، وإلا فإنّها لا تعد ترقية بميزان الخلافة ، وعلى هذا الإعتبار فإنّ إقدار العقل على الوصول إلى الحق في مجال المادة على سبيل المثال ، إنّما يكون ترقية استخلاف ، إذا كان مندرجا في إطار تسخير القوانين التي يكتشفها ، للتعمير في الأرض وتحقيق الخير للناس، ولا تكون ترقية استخلاف لو كان مندرجا في إطار البحث عن قانون طبيعي ، لصناعة وسائل الدمار الشامل التي تخرب الأرض » .[4]

1- المصدر السابق نفسه ، ص 20

2- المصدر نفسه ، ص 22

3- المصدر نفسه ، ص 23

4- عبد المجيد النجار ، الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي ، ص 95 ، 96 .

يقوم هذا الإستعداد أساسا على العلم الذي علمه الله لآدم ، فقد علم الله آدم الأسماء كلها « بناء على هذا فالإنسان في نظر الإسلام ، كائن مسؤول عن مصيره ، بل ليس مسؤولا عن مصيره فقط وإنما هو مسؤول عن أداء رسالة اللّه في العالم ، و هو حامل الأمانة في الكون والطبيعة فهو قد تعلم الأسماء ، والأسماء معناها الصحيح في رأيي الحقائق العلمية المختلفة لأنَ الإسم علامة كل شيء ، أي الوجه المشخص لكل مفهوم ، وعليه فإنَ تعليم الأسماء لآدم - من قبل الله - يعني إدراك وفهم الحقائق العلمية ، والقابلية التامَة لفهم المعاني الموجودة في العالم » .[1]

وعلى هذا الأساس ، فالإنسان مسؤول مسؤولية مطلقة عن تقرير مصيره ، واختيار طريقه لأنه مكلف من قبل خالقه ، ومن ثمَة فهو يتمتع بالحرية الكافية لتحمل تبعة هذا التكليف « بناء على هذا فالإنسان وبفضل تعليمه الأول من قبل الله ، يتمكن من إدراك واستيعاب جميع حقائق الطبيعة والكون وهذه مسؤولية أخرى ، وهي مسؤولية كبيرة ، مصير الإنسان يجب أن يصنعه الإنسان بنفسه ، المجتمع الإنساني مسؤول عن تقرير مصيره بنفسه ، وكذلك الفرد الإنساني أيضا مسؤول عن تقرير مصيره بنفسه ».[2]

رابعا : وسائل المحافظة على فطرة الإنسان :

يعتقد شريعتي ، أنَه توجد ثلاثة وسائل تمكّن الإنسان من الحفاظ على إنسانيته ، إذا استخدمها على وجهها الصحيح ، وهذه الوسائل هي : العبادة والعمل والنضال الإجتماعي .

1 - العبادة :

لا يقصد شريعتي بالعبادة ، أداء مجموعة من الألفاظ والدعوات ، وبعض الوظائف وإنَما يعتبرها بناء للذات حيث يقول: « من نافلة القول أنَ العبادة ليست بمعنى أداء الوظائف التقليدية والأوراد اللفظية - كما هو رائج ومعروف الآن بين المذاهب التقليدية - .... ومن هنا ندرك أنَ العبادة مسألة رئيسية وهي أساسا بمعنى بناء الذات ، إنَ الوجود الإنساني الذي فرض علينا بما فيه من أغراض وميول وعبادات منحرفة، يفرض علينا بالتالي مزالق و جواذب معوجّـــــة ومنحرفة عن الطريق وأنانية » .[3]

1- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ، ص 25 .
2- المصدر نفسه ، ص 25.
3- علي شريعتي ، بناء الذات الثورية ، ص 43.

هذه الأنانية والمزالق التي يتحدث عنها شريعتي ، التي أصبحت تسيطر على الوجود الإنساني ، يتمكّن الإنسان من النجاة منها حسب رأي شريعتي بالإخلاص ، الذي يمثل الإيمان الصافي ، والإستعداد لتسليم النفس لبارئها فيقول : « يستطيع أن يصفى وينقى و يزكىّ تحت إشراف الوعي والإرادة الإنسانية وبنظام قاس ، يحدّ من انطلاقه ، فيصل إلى الإخـــلاص والإخلاص هو تفرّد الوجود الإنساني في طريق الإيمان ، في طريق القيم الإنسانية السامية في طريق تسليم الذات كلية لله » . (1)

يعتبر شريعتي الصلاة والصوم ، وباقي العبادات من الأشياء التي تمنح الإنسان قوة كبيرة لمواجهة شهواته ، ورغباته الغريزية التي قد تقوده إلى الإنحراف ، وذلك لأنّ العبادات تجعل الإنسان دائم الصلة بربه « ... والصوم أيضا نظام آخر ، نظام يمنح الإنسان القوة في مواجهة مع أشدّ الميول الغريزية ، والفردية في نفسه وتجعله مسيطرا عليها ، في طريق الإيمان ولا شك أنّ الإنسان الذي يريد أن يهب نفسه لمثل عليا إنسانية ، ينبغي أن يتحرر من استحواذ الفردية عليه » . (2)

لا يقبل شريعتي الفهم الذي أصبح سائدا للعبادة ، والذي يحصرها في أنها ترك الدنيا وما فيها واعتزال الناس والحياة الإجتماعية ، بزعم الفوز بالآخرة ، ويعتبره فهما خاطئا ، ولا يمتّ إلى الإسلام بصلة « يعارض كذلك شريعتي الغرق في الرياضة الروحية ، وترك الدنيا بأمل الآخرة فهو يعتقد بحديث الرسول صلى الله عليه و سلم ، إنّ الدنيا هي مزرعة الآخرة تجني هناك ما تزرع هنا . إنّ فكرة الآخرة لدى شريعتي ، تعني ضمان رقابة على السلوك في الحياة ، إنّه يقول: بأنّ الطبقات الحاكمة شجّعت الناس على ترك الدنيا ، واعدة إيّاهم بالتعويض عن حرمانهم ومعاناتهم في الآخرة ، بينما يحتّم الإسلام الحقيقي على النّاس أن يناضلوا في دنياهم من أجل إحقاق الحق وتطبيق العدل ، والإنسان يحمل في هذا المجال رسالة إلهية » . (3)

ويؤكّد شريعتي أنّ التوحيد ، هو أكبر مظاهر العبادة ، الذي يعطي لحياة الإنسان هدفا ومعنى فيقول : « والتوحيد هو الشكل الوحيد من أشكال العبادة ، القادرة على أن تمنح العبـــد

1- المصدر السابق نفسه ، ص 43 ،44.
2- المصدر نفسه ، ص 44 .
3- فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ص 36 .

يقينا وطمأنينة ، وأملا والتزاما ، وتعطي الوجود هدفية ومعنى ، وبعبارة أخرى التوحيد يستبطن في ذاته كل الآثار التي يخلفها الإعتقاد الديني في حياة الإنسان ، ببعديها المـــادي والمعنوي، إنّ الأزمات العقائدية الحادّة ، التي عانت منها الأمم المعاصرة للإسلام ، وكانت تعتنق الديانة الزرادشتية أو المسيحية ، والتي أسفرت عن تعرّض تلك الأمم للإضطرابـــات والإنشقاقات العميقة ، وظهور العداوات المستحكمة بين طوائفها المختلفة ، هذه العداوات تبيّن مدى حاجة الشعوب في تلك الحقبة التاريخية ، إلى دين جديد ومبدأ عقائدي سليم ، وقد جاء الإسلام حينها ليمثّل استجابة حقه ، وتلبية مناسبة لإشباع تلك الحاجة الفطرية والعقلية » . [1]

وعليه فإنّ العبادة من الأشياء التي توصل الإنسان لمرتبة الإستخلاف الحقيقي « و ليست الخلافة قائمة على التعبد بمعناه الخاص ، و المتمثّل في الشعائر المعروفة وإنّما هي قائمة على التعبّد بمعناه العام ، الذي تصير به كل حركة الإنسان المادية والمعنوية عبادة لله تعالى فإنّ مهمّة الخلافة بذلك تعني أوّل ما تعني ، ترقية الذات الإنسانية من خلال جهاد مع النّفس وجهاد مع البيئة الكونية ، يهدف إلى تحقيق السمو الفردي » . [2]

2- العمل :

لا يفرّق شريعتي بين العمل الدنيوي والعمل الأخروي ، لأنّ الإسلام في نظره يعتبر أن كل عمل صالح عبادة ، بغضّ النظر عن كونه عملا دنيويا أوعملا أخرويا « بيّن القرآن الكريم والسنّة النبوية ، ونمط الحياة التي عاشها صحابة رسول الله وربائب ثورته ، إلى أي مدى استند الإسلام على العمل ... والعمل الصالح في الإسلام على خلاف التصور الديني الذي نفهم به هذا المصطلح اليوم ، فهو ليس العمل الديني فحسب ، بل هو في نفس الوقت العمل المادي والعمل الإنتاجي » . [3]

العمل في نظر شريعتي يمثّل تجلي الإرادة والرّغبة الإنسانية « ... لكنّ العمل عبارة عن تجلي التحقيق العيني للإرادة والرّغبة والقيم الخاصة بالإنسان، والإنسان يولد في العمل وتتبدل أفكاره الذهنية إلى واقعية عينية ، وفي نفس الوقت يصقل جوهره الوجودي الحقيقي » . [4]

1- علي شريعتي ، معرفة الإسلام ، ص 161 .
2- عبد المجيد النجار ، الإستخلاف في فقه التحضر الإسلامي ، ص 93 .
3- علي شريعتي ، بناء الذات الثورية ، ص 51 .
4- المصدر نفسه ، ص53،54.

ولاشك أن العمل ما لم يكن موجها نحو غاية سليمة ، وهدف صحيح ، فسوف يكون عاملا من عوامل مسخ فطرة الإنسان ، أمّا إذا كان عمل الإنسان منطلق من عقيدة صحيحة ، ورؤية كونية منسجمة مع وظيفته وغاية وجوده ، فسوف يكون موصلا إلى تلك الغاية وتلك الوظيفة وهي الإستخلاف .

3- النضال الإجتماعي :

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه لا يستطيع العيش بمفرده ، ولا يستطيع تحقيق ذاته وسرَ وجوده لوحده ، فعليه أن يندمج في جماعة ويعيش آلامها وآمالها ، وعليه يركّز شريعتي كثيرا على البعد الإجتماعي للإنسان ، و يرى أنَ الإنسان لا يستطيع تحقيق إنسانيته دون النضال الإجتماعي « إنّه يجعل هدفه ذلك الإنسان الذي يندمج في الجماعة ، ويرتبط بها دون أن يذوب فيها أو ينفصل عنها ، إنّه إنسان جماعي إجتماعي بالفطرة ، يهدف إلى تطوير الحياة الإنسانية وسمو الإنسان ، إنّه إنسان يعيش على هذه الأرض ويناضل ضمن الواقع المعاش » . [1]

ينطلق شريعتي من قول أفلاطون [2] " الإنسان حيوان سياسي " وينتقد الذين ترجموا هذا القول بحيوان اجتماعي ، لأنَ صفة الإجتماعية في نظره ليست خاصة بالإنسان فقط لأنَ كثيرا من الحيوانات أكثر إجتماعية منه ، مثل نحل العسل فيقول : « إنّ كون الإنسان سياسيا هو خاصيته ، والمقصود بصفة السياسة الرؤية والميل الذي يربط الفرد بمصير المجتمع الذي يعيش فيه ، وهذه الصفة هي موضع تجلي الإرادة والوعي والإختيار لدى الإنسان ، بحيث يحس بأنَ وضعه الاجتماعي مثل وضعه الطبيعي ، أي أن يحس بموقعه في الطبيعة أو المجتمع ويعيه ويتدخل فيه مؤيدا أو معارضا أو مغيرا لبنيته » . [3]

يصل شريعتي من خلال هذا أنَ الإنسان غير السياسي ، قد أبطل وعطل أعلى وأسمى تجلَ لاستعداده الإنساني ، خاصة إذا كان هذا الإنسان ينتمي إلى طبقة المفكرين ، فهو يرى أنَ النضال السياسي ضروري بالنسبة للإنسان المفكر ، ففيه يتعرّف على ذاته أكثر ، ويزداد كذلك معرفة بالواقع ، ويستطيع تقييم أفكاره وقيمه و إيمانه وإخلاصه « لكنّه بالنسبة للمفكر ، يقـــدّم

1- فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ص 36 .
2- أفلاطون : ولد حوالي 427 ، و توفي حوالي 347 ق م ، في أثينا و عاش فيها أغلب أيام حياته التي بلغت الثمانين ، ومع أنه اشتهر في البدء بالسياسة بفضل أسرته و اهتماماته معا فقد كرّس في الواقع معظم حياته للدرس و النظر و التعليم ، و كل مؤلفاته ماعدا واحدا محاورات ، أنظر : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مجموعة من العلماء ، ترجمة ، فؤاد كامل ، د ط دار القلم ، بيروت ، دت ، ص 53 ، 55 .
3- علي شريعتي ، بناء الذات الثورية ، ص 75 .

عملا ويبني ذاتا ويعدّ النضال الإجتماعي ، أعظم العوامل التي تكوّن الوعي الذاتي لدى المفكر والمفكر الذي يعتبر نفسه ثوريا ، وهو جالس إلى مكتبه ، محاط بتلال الكتب أوفي حوار ذهني مع أصدقائه أو أضرابه ، و يختار الحلول من بين الألفاظ والفرضيات والنصوص الأيديولوجية ، يستطيع فحسب في أتون العمل السياسي ، أن يصحّح أفكاره ، كما يستطيع أن يشفى من مرض الألفاظ ، كما يستطيع أن يجرب نفسه ، ويقيّم ذكاءه ولياقته وقدرته على سرعة العمل ، وجرأته ودرجة فدائيته وتضحيته بالنفس وبالمال ، ونسبة إخلاصه ونقائه وتقواه ويقيّم كل ذلك بدقة » .[1]

وهذا النضال السياسي يجعل المفكر « عارفا بالنّاس ورغباتهم واحتياجاتهم ومثلهم وجوانب القوّة وجوانب الضعف فيهم ، وفي نفس الوقت تتبين أمامه إمكانيات العمل ، ويخلصه من مرض الجنوح عن الناس أو التعالي عليهم ، وأغلب المفكرين مصاب به ، ويجعله ملتزما بالعمل متقدم عن النّاس لكنّه متصل بهم ، وعلاوة على ذلك فإنّ النضال السياسي هو الذي يعلّم المفكر العمل الأيديولوجي ، كما يصحّح وعيه الأيديولوجي ويهبه الفاعلية » .[2]

وعليه فإنّ مكان الإنسان الطبيعي ، هو مجتمعه الذي يعيش فيه سواء كان هذا الإنسان من عوام الناس أو من الخواص والمفكرين . حيث يرى شريعتي أنّ المجتمع هو الذي يحفظ إنسانية الإنسان « إنّ الإنسان الذي يعيش في عمق المجتمع ، فإنّه يعيش مع الناس ، ومثل ما يعيش النّاس لأنّ احتياجاته ومتطلباته تشبه احتياجات الناس ومتطلباتهم ، فهوعلى هذا الأساس يوطّن ويقرر حياته وارتباطاته مع الآخرين ، لأنّ مثل هذا الإنسان يشبه الذرة أو قطرة الماء الموجودة في النهر » .[3]

1- المصدر السابق نفسه ، ص 82.
2- المصدر نفسه ، ص 81.
3- علي شريعتي ، تاريخ الحضارة ، ترجمة ، حسين نصيري ، ط ، دار الأمير ، بيروت ، (1426، 2006) ، ص 590 .

المبحث الثاني : عوامل مسخ الإنسان ، الذاتية و الميتافيزيقية :

يرى شريعتي أن هناك عدة عوامل تمسخ الإنسان عن فطرته الإنسانية ، وتجعله غريبا عن نفسه ، وبالتالي يفقد الإنسان قيمته الوجودية ، ويعجز عن حمل الأمانة التي كلف بها، وهذه العوامل في نظره مختلفة ومتنوعة ، منها ما وجد مع الإنسان منذ خلقه ورافقه في مسيرته الحياتية ومنها ما ظهر في العصر الحديث ، وشريعتي في الحقيقة لا يصنف هذه العوامل وإنَما يذكرها سردا متتابعا ، وهذا التصنيف إجتهاد شخصي .

أولا: العوامل الذاتية :

1- الجهل :

ممَا لاشك فيه أنَ أثر العوامل الذاتية في مسخ الإنسان عن فطرته الإنسانية ، أبلغ بكثير من أثر العوامل الموضوعية ، وذلك لأنَ الإنسان إذا امتلك في ذاته معاول هدمه كان أفوله أسرع وأبقى . وعندما يتكلم شريعتي عن موضوع الجهل يربطه بعاملين آخرين ، هما الخوف والنَفعية، فهو يرى أنَ هذه العوامل الثلاثة هي سبب جميع مظاهر التخلف والإنحطاط « أنا أتصور أنَ كل المعاصي والمفاسد والجرائم والإنحرافات ، بل وجميع مظاهر التخلف والإنحطاط ، وبعبارة أخرى ، كل سيّء ورذيل ناجم عن عوامل ثلاثة هي : الجهل ، الخوف النفعية » .[1]

عندما يتكلم شريعتي ، عن الجهل يجعله عاملا من عوامل مسخ إنسانية الإنسان ، ومسبب الشرور والإنحرافات ، إلا أنه لا يقصد به نقيض العلم ، لأنّ العلم في حدّ ذاته لا يعدّ عاصما من ارتكاب الجرائم والمفاسد ، ويقدّم شريعتي في هذا الصدد مثالا بالدول المتحضرة اليوم ، التي وصلت إلى مستوى علمي لا مثيل له ، ومع ذلك لم يمنعها هذا العلم الذي حصلَته من العدوان والتجبر والإستهانة بإنسانية الإنسان « ... كما نراه اليوم في المجتمعات المتحضرة والتي تتمتع بمستويات عالية من التقدم والتطور العلمي والتقني ، ولا نتوانى عن توظيف تقدمها هذا في تحقيق مآربها العدوانية ، في الظلم و الإستعباد واستغلال ثروات الشعوب وشنّ الحروب و الإعتداءات ، وإن تفاوتت أساليب الظلم والإستغلال هذه ، حيث نرى أنَ تطور تلك الشعوب في المجالات العلمية والتقنية ، لم يساعد على إصلاحها أخلاقيا ، بل على العكس كرَس حالات

1- علي شريعتي ، معرفة الإسلام ، ص 162.

الإنحطاط فيها ، ومنحها قوّة مضاعفة على ممارسة الجريمة بشكل أفظع بكثير من السابق » . [1]

ومن ثمّة يصل إلى القول بأنَ مقصوده من الجهل هو الجهل المقابل للحكمة ، و تحديدا المعنى الذي قصده سقراط [2] من الكلمة « حيث يذهب إلى أنَ الحكمة ضامن للأخلاق و يعتقد أنَ الحكيم لا يمكن أن يقدم على الموبقة و الخطيئة أبدا ، لأنَ كل الرذائل والمفاسد الأخلاقية ناجمة عن الجهل » . [3]

ومع أن شريعتي يؤمن برأي سقراط ، إلا أنّه يرى أنّه من الصعب أن يضع لها تعريفا دقيقا يوافق ما يقصده سقراط وما يؤمن به هو- أي شريعتي - و لذلك يلجأ إلى تعريفها وفق ما يستشعره من الكلمة لا المعنى اللغوي أو الإصطلاحي لها وبذلك يعرّفها فيقـــــول « المقصود من الحكمة ، هو الوعي الإنساني الأخلاقي لدى الفرد ، ويقظة الضمير وحيوية الوجدان وصفاء روح الإنسان على النَحو الذي يتيح له البقاء على خط الفطرة ومسارها ونواميس الخلقة وقوانينها ويسوقه بالإتجاه الصحيح ويحول بينه وبين الإنحراف عن جادة الصواب و الوقوع في مزالق الأهواء والنزعات المنحطة » . [4]

إلا أنَ أعظم مصيبة للجهل هي حين يكون متعلقا بالدين « فجهل الدين انحرافا به وبالأجيال التابعة له ، سيما مع الإصرار على الرؤى الناتجة عن ذلك الجهل وتقديسها إلى حد تغدو بعد حين جهاز مفاهيمي يعبّر عن الدين ، وكدوغما لا يمكن الخروج عن سورها وبالتالي يهوي ساقطا مع الأجيال ولا يد تدنو له » . [5]

وبعد هذا يخلص شريعتي إلى إعطاء معنى للعلم والحكمة ، بحيث يجعلهما أساس خلاص البشرية من التيه والدمار، وهما أيضا صماما الأمان اللذان يحفظان للإنسان كرامتـــه

1- المصدر السابق نفسه ، ص 163 .

2- سقراط : فيلسوف يوناني ولد حوالي سنة 470 ق م في أثينا ، بدأ بمذهبه التحول من النزعة الطبيعية المادية إلى المثالية ، وقد عاش و درس في أثينا و كان من بين تلاميذه الكثيرين أفلاطون ، ولم يكتب سقراط شيئا غير أن عقيدته نقلت عن طريق أفلاطون و أرسطو ، استمر سقراط يعلم في أثينا حتى إذا أوفى عام 399 ق م ، جاء بعض أعدائه فاتهموه بأنه ينكر الآلهة الشعبية أولا و أنه يفسد عقول الشباب ثانيا ، فقدم إلى المحاكمة وحكم عليه بتجرع السم . أنظر : عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، (1984) ص 576، 579 .

3- علي شريعتي ، معرفة الإسلام ، ص 164 .

4- المصدر نفسه ، ص 166 .

5- عبد الرزاق الجبران ، علي شريعتي و تجديد التفكير الديني ، 86 .

وإنسانيته، خاصة إذا كان منطلقهما منطلق إيماني عقائدي « المراد من العلم والحكمة ما فيه نجدة البشرية وكمال الإنسان ، ومرادنا من الجهل هنا هو المعنى المقابل له ، أي الجهل الذي يسوق الإنسانية إلى الشر والفساد والجريمة ، وفي ضوء هذا التصوير الدقيق للحكمة بمعناها السقراطي والقرآني المتضمن للوعي الأخلاقي والإنساني والمصحوب بفهم وشعور وإدراك خاص، بوسعكم أن تتصوروا كيف يتمكن التوحيد من خلق هذا الحس الوجداني وتربية هذه القوة الغيبية في ضمير الإنسان الموحّد بما تشتمل عليه من معنى واقعي دقيق » . (1)

3- الخوف و النفعية :

إنَ من أكبر الأشياء التي تزعزع كيان الإنسان ، وتعصف بإنسانيته ، الخوف والطمع فهما مرضان يجعلان الإنسان يتّصف بجميع الصفات السلبية ، ولهذا يرد شريعتي كل المظاهر السلبية الموجودة في المجتمع إليهما فيقول : « إنّ الخوف والطمع هما الأساس لكل مظاهر البخل والشره والإستئثار والإحتكار ، والإستيلاء على الثروة وحرمان الآخرين من المواهب الطبيعية ، والجرائم الرأسمالية التي تقاسي منها الإنسانية جمعاء ، وظواهر الإستعمار واستغلال جهود الناس ونهب ثروات الشعوب وتبديد طاقاتها ، وغير ذلك من الأعمال التي من شأنها أن تودي بالمجتمعات ، وتحجب الفرد عن مواصلة مسيرته للتكامل المعنوي وتقوده نحو هاوية الإنحطاط » . (2)

وهكذا يوسع شريعتي الأضرار والمفاسد التي تنتج عن الخوف والطمع، ويربطهما بقضايا كبرى عرفها التاريخ البشري ، وهي الإستغلال والإستعمار، وهي أضرار تمس الإنسانية جمعاء أمَا الأضرار الفردية فيواصل شريعتي ذكرها فيقول : « الكذب والخداع والتملق والخيانة والغدر والتجاوز وعبادة الأهواء والذات ، وصيرورة الإنسان آلة بيد الغير وقلما وسيفا دآبًا عن الجور والفساد ، كل هذه المظاهر السيئة تنجم عن الخوف أو عن الطمع بمفهومه الأوسع الشامل للطمع المادي والنفسي والجسدي ، حب المال والمنال والجاه والسمعة » . (3)

ثم يضعنا شريعتي أمام صورة جلية ، تصنف وتقسّم البشر إلى ثلاث أقسام هذه الأقسام ظهرت في المجتمع البشري بسبب الخوف والطمع، وهي تعتبر سقوطا للبشرية وانحطاطا للقيم

1- علي شريعتي ، معرفة الإسلام ، ص 17 .
2- نفس المصدر ، ص 174.
3 - نفس المصدر ، ص 175 .

الإنسانية في فكر شريعتي « هذان العاملان : الخوف والطمع،هما اللذان صنفا البشرية إلى ثلاث طوائف و أقسام :

القسم الأول : طائفة من النّاس تتعدى على الآخرين وتتجاوز على حقوقهم .

والقسم الثاني: حفنة من النّاس ، يجعلون أنفسهم خوفا وطمعا آلة مسيرة بيد الطائفة الأولى .

والقسم الثالث والأخير : هم غالبية النّاس ممن يعتدى عليهم وتغتصب حقوقهم من قبل الطائفة الأولى وبواسطة الطائفة الثانية .

وهذه الطوائف الثلاث تعد ـ من الناحية الإنسانية ـ خائبة فاشلة وغير مستحقة لنيل الكمال وبلوغ المراحل العليا من الرقي الإنساني والتكامل المعنوي ، وهذا هو السرفي عودة التاريخ الإنساني القهقرى مع وجود الطاقات والإمكانات اللازمة للرّقي والتقدم » .[1]

وبعد هذا يضع شريعتي ، بين أيدينا الحل الذي يراه مناسبا للقضاء على هذه الآفات التي قضت على إنسانية الإنسان وهو التوحيد ، فالإنسان الموحد لا يجد الخوف والطمع إلى قلبه سبيلا ، فهو يعلم علم اليقين أنّ الأمور كلها بيد الله ، فهو المتصرف فيها وهو الضار وهو النافع ، فلا يخاف أحدا غير الله ولا يرجو نفعا من غيره « فالتوحيد يورث صاحبه سلامة في السلوك وكمالا في الأخلاق ، لأنّ الذي يوجه المرء في حياته واحد لا شريك له ، وهو عالم بكل شؤونه وبالتالي فلا تتضارب الأوامر، ولا تتناقض التوجيهات فينساب المرء في حركته نحو الهدف السامي دون عوائق أو تصادم ، لأنّه لا يلتفت إلى ما يعارضه فلا ينحرف يمنة ولا يسرة عن خط سيره » .[2]

« من السهولة بمكان أن نفهم كيف يقتل التوحيد جذور الخوف والنفعية في روح الإنسان إن الإيمان بالله وتوحيده يصرف الموحد الواقعي عن ارتكاب أي رد فعل مشين ناجم عن توقع الخطر أو الضرر، وذلك لأنَ إنسانا موحدا كهذا لا يتهيب من شيء ، ويعتبر أنَ مبدأ الخطر الحقيقي لا يكون إلا من قبل الله ، فهو القوة الوحيدة ذات الإرادة المطلقة في عالم الوجود وكل شيء سواه عاجز أمامه ومغلوب ، وهذا العجز يشترك فيه الجميع ، فلماذا يخشى الإنسان من عاجز مثله ؟ » .[3]

1- المصدر السابق نفسه ، ص 175 .
2- زكريا عبد الرحمان ، أهمية التوحيد و خطر الشرك ، ط، مؤسسة لرسالة ، بيروت ، (1417، 1996) ص 18 .
3- علي شريعتي ، معرفة الإسلام ، ص173 .

« يعتقد شريعتي بأنَ أهمية الإيمان بوحدانية الله ، ورفض كل ألوان الشرك تأتي من أنَ هذا الإيمان يحرَر الإنسان من الخضوع للآلهة المتعددة ـ الرموز ، القادة ، ... ـ و كذلك من الخضوع للفئات والعناصر، التي تدَعي تمثيل الله على الأرض وتتحكم برقاب الناس استنادا إلى ادَعاء علاقة ما بالله ، إنَ التوحيد الإسلامي يجعل الإنسان قويا اتجا ه جميع هذه الأنواع من الشرك ، واتجاه كل القوى التي تريد إخضاعه واستعباده ، إذ يصبح الإنسان مرتبطا بالله مؤمنا به ، وقادرا على تطوير شخصيته المستقلة والدفاع عن حرّياته ، وقادرا أيضا على ممارسة إرادته التي لا تعلو فوقها سوى إرادة الله » . (1)

« بهذه الكيفية ، تموت في روح الإنسان بذور الضعف والخوف والطمع ، ويتحول إلى موج مستقل لا حاجة فيه إلى أحد ولا رغبة بشيء ، وعندها فقط يستطيع أن يحفظ شخصيته الإنسانية أمام التهديدات والإغراءات في كل مصر وعصر ... الموحّد إنسان حرّ شجاع ومستقل ، ولكم أن تتخيلوا مجتمعا مثاليا ، كل فرد من أفراده مقاطعة حرّة وشخصية مستقلة منزّهة عن الخوف والطمع والكذب والخداع والتملق » . (2)

وعليه فالتوحيد في نظر شريعتي ، هو المنقذ للإنسان من عذابه في الدنيا والآخرة ، وهو الذي يعيده إلى درجة الإنسانية « الكلام هنا يحوم حول موضوع نجاة الإنسان ، وتحرره من كل القيود والمعوقات ، سواء في الحياة الدنيا أو في الأخرى ، نجاته من عذابات هذه الدنيا ودنيا ما بعد الموت ... ما الذي يقيّد حرّية الإنسان ويسحق آماله ، غير الخوف والطمع واتباع الشهوات والظلم والإستعباد والتحجر والجمود والكذب والخداع والنفاق وتقديم المصالح على المبادئ والقيم ، وغير ذلك من مكامن الشر والرذيلة التي ضيّقت وتضيّق يوما بعد آخر خناق الحياة الإجتماعية على روح الإنسان وشخصيته وقواه الإنسانية » . (3)

1- فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ص 37 .
2- نفس المصدر السابق ، ص 183 .
3- علي شريعتي ، معرفة الإسلام ، ص 182 .

ثانيا : العوامل الميتافيزيقية :

وأقصد بها الأشياء التي تتعلق بعالم الغيب ، والتي يؤمن بها الإنسان ويجعلها محورا أساسيا في حياته ، فالإنسان منذ وجوده على هذه الأرض ، وهروبا من ضعفه كان يتعلق بقوى غيبية إمّا لتوفر له الحماية ، وإمّا لتغدق عليه النعم ، وشريعتي بحكم تخصّصه في علم الإجتماع الديني أولى هذه القضايا اهتماما كبيرا ، ودرسها دراسة واعية ، معتمدا على تاريخ الإنسان وعلى ما توصلت إليه العلوم الإجتماعية « يؤكّد شريعتي بأنَ الدّين جاء لخدمة الإنسان لا لتسخيره وإذلاله وجعله مخلوقا مسلوب الإرادة ، إنّه يتمسك بالدين سلاحا بيد الإنسان في صراعه الإجتماعي وصراعه ضد الطبيعة ، وفي كفاحه أيضا من أجل صيانة إنسانيته التي تتعرض لعملية مسخ وتشويه متواصلة ، بسبب انحطاط الثقافة الغربية من جهة وبسبب المفهوم الرسمي السائد للدين ، الذي يكبّل الإنسان ويقمعه من جهة أخرى ، إنّ شريعتي يريد أن ينفخ من جديد روح الله في الإنسان ، ليجعله كلي الإرادة و العزم » . [1]

1- الإيمان الخرافي :

لاشك أنّ الإنسان ، عندما يعتقد بالخرافات والأوهام يفقد إنسانيته ويفقد كرامته ، ويكون في أدنى مستويات بشريته ، فليس هناك منظر أبشع من منظر إنسان يتعلق بالأوهام والخرافات « **الإيمان** عندما يتحول إلى عبادة صوفية ، أو نوع من عبادة الذات ، أو عندما يعبّر عنه في عبادة " **المقدسات**" و " الأولياء" و الشخصيات الدينية أو عبادة " الأبطال " وتمجيدهم بشكل أسطوري » . [2]

2- الزهد :

عندما يتكلم شريعتي عن الزهد ، ويجعله من الأشياء التي تفقد الإنسان حيويته وفاعليته الإجتماعية ، فهو لا يقصد به الزهد الإيجابي الذي حث عليه الإسلام ، وجعله فضيلة من الفضائل التي تكون حصنا للإنسان من الوقوع ضحية للأهواء والشهوات « فالزهد الإسلامي يعني امتلاك الأشياء لتسخيرها للعمل الإسلامي ، والإسهام في كل نشاط فعّال يخدم الحياة الإسلامية ، فالإمتلاك مع التسخير زهد لا محالة ، و أمّا من يفهم الزهد على غير هذا ، فقد

1- فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ص 35.
2- المرجع نفسه ، ص 36 .

أساء إلى نفسه ويبرأ الفهم الإسلامي عن فهمه هذا » .[1]

فالزّهد الذي يعارضه شريعتي ، هو الإنعزال عن الحياة والتقوقع في دائرة صغيرة ، بعيدا عن كل شيء /« الزهد نوع من الإستحمار ، لأنّه يأمر الإنسان أن يترك حقوقه الإجتماعية وحاجاته الطبيعية على حدة ، و يقطع حبل الأمل منها جميعا ، و يبقى الإنسان مرتبطا بحاجات بسيطة جدًّا لا تتجاوز حاجات الحيوان ، و كذلك أيضا يسلب الدراية النفسية و يمسخ حق الفرد في أن يتمتع كإنسان بجميع المواهب و النعم التي خلقت له في الدنيا ، و ليس لأحد أن يمنعه من التمتع بها ، و يسبب حيلة للإنزواء و القناعة بلوزة عن الطعام ، فيمنّ بها الزاهد على الله في أنّه ارتكب هذه الحماقة ، ويدعو النّاس جميعا إلى ترك حقوقهم ، والتخلص من حطام الدنيا » .[2]

3 - الدعاء :

الدعاء من أعظم العبادات التي تجعل الإنسان دائم الصلة بربه ، إلا أنّه أصبح عاملا من عوامل التخدير والإتكالية ، والفرار من ا لمسؤولية عند كثير من الناس ، الذين يفهمون الدعاء فهما معوجا ، وصلوا به إلى تجميد طاقة الإنسان وشلّ نشاطه ، وإشاعة روح الكسل والخمول بزعم الإعتماد على الله ، وعدم ممارسة الدور الواجب على هذا الإنسان ، وهذا مما لا يقره الإسلام ، فالإسلام يحارب الكسل والخمول، كما رفض الإسلام تعطيل دور القوانين والأسباب الطبيعية من قبل الإنسان ، وهذا هو الفهم الذي حاربه شريعتي ودعا إلى نبذه « ... هناك طريق أسهل ما هو ؟ أن تقرأ هذه الكلمات ست مرات وأنت متجه نحو القبلة فلن يبقى عليك شيء ، وستغفر ذنوبك كلها ، لأنّك حينها ستنال الشفاعة ، العفو ، الرحمة وإنّ ربّ هذا الدّين سيصفح عن جميع السيّئات والقبائح والمنكرات بسهولة ، وسيمحي ذنوبك ولو كانت عدد رمال الوديان ، ونجوم السماوات بنفخة واحدة » .[3]

1- أبو اليزيد العجمي ، الزهاد المسلمون ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد 33 ، بيروت ، لبنان ، (1403، 1983) ص 71.
2- علي شريعتي ، النباهة و الإستحمار ، ص 114.
3- المصدر نفسه ، ص 112 ، 113 .

وبهذا الفهم يتخلى الإنسان عن مسؤولياته ، ويفقد إمكانية تطوير قدراته ومهاراته واستعداداته النفسية والروحية «... ثم تتساءل إذا لأيّ شيء أتحمل ثقل المسؤولية الإجتماعية ؟ لماذا ؟ إذا كانت مسؤوليتي نحو الناس، وحياتهم الإجتماعية تلزمني أن أموت من أجلهم وأضحّي بنفسي في سبيلهم ، فهناك طريق أسهل هو "كتاب الأدعية " فإنّه يفتح لي أبواب الجنان من غير تعب ولا نصب ولا مشقة ، ولا تشويش وبدون شعور أو فكر وبدون أيَ مسؤولية ، أي يكفي أن تدخل السرور في قلب أحد ، فإنّه سيمحي كل ذنوبك ويبدّل سيئاتك حسنات ، ويقضي عنك كل المسؤوليات الإجتماعية » . (1)

« إنَ هذه العوامل كلها تعتبر - في نظر شريعتي - عوامل لمسخ الإنسان وتكريس استلابه واغترابه ، إنَ الإنسان بفطرته لا يرضخ لهذه العوامل ، لكنَ الخوف والجهل والنفعية، تقود الإنسان إلى هذه العوامل، لذلك يولي شريعتي اهتماما كبيرا ب"المعركة الداخلية" للإنسان » . (2)

الدعاء في حقيقته ، من أعظم الوسائل التي تمنح الإنسان الطمأنينة والراحة النفسية وتعطي له القدرة على المواجهة وتخطي الصعاب ومجابهة الواقع « فالدعاء ليس مجرد مخدّر مهدّئ ومسكّن للآلام ، وإنّما الراحة والإطمئنان التي يبعثها الدعاء في الإنسان ، وليدة إرواء لروح الإنسان المضطربة الحائرة ، وإشباع لحاجاتها الفطرية العميقة ، فالمخدّر عاقبته الضعف والموت ، بينما الدعاء يمنح الإنسان القوّة ويبعث فيه النشاط والحيوية ، وهو عامل مهم في تفتّح أحاسيس وعواطف وطاقات الإنسان الباطنية الغامضة » . (3)

هذا هو الدعاء الحقيقي ، الذي يعدّ من صميم الدين ومن صميم العبادة ، أمّا الدّعاء التخديري فهو نوع آخر « إنّه نوع ثان للدّعاء ، من أجل الفرار والهروب عن تحمّل المسؤوليات التي يلزمنا بها الدين ، والعقل والإنسانية والأخلاق الإجتماعية والحياة الفردية فالدّعاء هو البديل عن كل ذلك » . (4)

1- المصدر السابق نفسه ، ص 113.
2- فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ص 40 .
3- علي شريعتي ، الإمام السجاد أجمل روح عابدة ، تر، إحسان صوفان ، ط1 ، دار الأمير لبنان ، (1425، 2004) ص 72 .
4- المصدر نفسه ، ص 87.

المبحث الثالث : المدارس الغربية و مسخها لإنسانية الإنسان :

عرف العصر الحديث ظهور عدَة أفكار، وأيديولوجيات كان لها صدى كبير في حياة الناس بحيث أصبح لها تأثير العقيدة في النفوس ، فهي الموجه والمرشد ، وهي الدافع والباعث وهي المبدأ والغاية ، إلا أنَ الملاحظة العامَة التي تعلقت بهذه الأيديولوجيات ،هي أنَها لم توصل الإنسان إلى ما كانت تعده به وتمنيه ، بل فشلت فشلا ذريعا في تحقيق راحة الإنسان وسعادته ، بل أصبحت من عوامل مسخ إنسانية الإنسان ، وذلك لأنَها كانت تجهل حقيقة الإنسان « إنَ مبدعي الحضارة الحديثة ، قد تعاملوا مع الإنسان كما يتعاملون مع الأشياء التي تخضع دائما لعالم الكمية والفائدة وسد الحاجة ، تبعا للمصلحة الذاتية الضيقة ، والتعامل مع الإنسان على أساس المصلحة الشخصية ، يحدث الكارثة وحصل في نطاق الحضارة الأوروبية فأخضعت التعامل مع الإنسان لقانون الأشياء ، فلم يعد الإنسان يمثل قيمة مقدسة في حدَ نفسه لقد خضع العنصر الإنساني لحاجات الإقتصاد والحركة الصناعية ، وهكذا تحطم الإنسان المتكامل في داخل الإنسان الأوروبي فوجد الإنسان المادي » .[1]

« إنَهم إذا يفترضون الإنسان آلة صماء ، خالية من العواطف والمشاعر والميول ، وهو افتراض لن تستقيم به حال ، أو يستقر عليه نظام مادام الإنسان إنسانا » .[2]

« لقد طبَقت الإنسانية ما أدركته من قوانين الطبيعة فنجحت فيه ، ولكنَها لم تطبق ما أدركته في الجانب الآخر، وهو أخطر الجانبين ، فأدركها من التعثر والفساد والإضطراب والخراب والشقاء والألم ، ما يعلمه الخاص والعام » .[3]

« لقد صاحب النهضة الحديثة عدَة عوامل ، استغلها بعض المفكرين فهدَدوا بها الإنسان في ذاته وطعنوه بها في كرامته ، وما زالت به حتى أصابه القلق لأنَها أضلته عن الفهم الطبيعي لنفسه فسلخته عن ذاته أولا ، وعن الله ثانيا ، ثم هزمته فربطت بينه وبين الآلة » .[4]

إنَ هذا المسخ الذي يتعرَض له إنسان اليوم ، يجب أن يتوقف ويجب أن تعاد النَظرة إلى هذا الإنسان ، ليتم اختيار الحلَ الذي يوافق طبيعته ، والذي يوصله إلى برَ الأمان « الحياة

1- أحمد زكي تفاحة ، حوار بين الفكر الديني و الفكر المادي ، دط ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (1982) .ص 26.
2- البهي الخولي ، الإسلام لا شيوعية ولا رأسمالية ، ط2 ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، (1401، 1981) ص27 .
3- المرجع نفسه ، ص 50 .
4- محمد إبراهيم الفيومي ، الوجودية فلسفة الوهم الإنساني ، دط ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، القاهرة (1404 1984) ص 30 .

الإنسانية كما هي سائرة اليوم ، وكما هي صائرة وفق جميع التقديرات الظاهرة ، لا يمكن أن تستمر في طريقها هذا ، ولا بدَ لها من تغيير أساسي في القاعدة التي تقوم عليها ، تغيير يعصمها من تدمير الإنسان ذاته ، بتدمير خصائصه الأساسية فالحياة الإنسانية - بداهة- لا تستطيع أن تبقى إذا دمّرت خصائص الإنسان ، وخط الحياة الحالي يمضي يوما بعد يوم في تدمير خصائص الإنسان ، وتحويله إلى آلة من ناحية وإلى حيوان من ناحية أخرى ... وإذا كان هذا الخط لم يصل إلى نهايته بعد ، وإذا كانت آثار هذه النهاية لم تتضح بعد اتضاحا كاملا... فالذي ظهر منها حتى اليوم ، في الأمم التي وصلت إلى قمَة الحضارة المادية ، يشي بتناقص الخصائص الإنسانية وضمورها، بقدر ما يشي بنمو الخصائص الآلية والحيوانية وتضخمها وبروزها » .[1]

وإضافة إلى هذا فقد فشلت كل المحاولات التي وضعت ، والتي كانت تهدف إلى إنقاذ الإنسان وإخراجه من حالة الضياع والإغتراب عن الذات « وثمَة فلسفات أخرى من فلسفات العصر تنطلق من القول بأنَ حياة الإنسان لا معنى ولا هدف منها ، ويرى بعض أصحابها وجود الإنسان مجرد مأساة وأمرا غير مفهوم ولا معقول ، ويرى بعضهم الآخر حرية الإنسان بإطلاق في تحقيق ماهيته ، إذا لا إله يخلق وفق ماهية سابقة ولذلك يكون الوجود سابقا على الماهية ، ومآل الإنسان إلى العدم فلا بعث وثواب ولا عقاب » .[2]

« تهاوت مع سيطرة الأفكار الأوروبية ، القيم المحافظة على إنسانية الإنسان ، وطغت أولوية الكميات فسقط معها تكريم الإنسان وحريته ، وفقد التوازن في ذاته ، مما جعل البشرية تتخبط في فلسفات تحاول أن تطرح حلولا في كيفية مواجهة الإنسان لواقعه ، ومع ذلك لم يجد الأمر نفعا ، بل كثرت العبثية فانهارت قيم الخلق ، وصار الإنسان مكمّلا لعالم الأرقام ، علما أنَ تطور المجتمع وتقدمه لا ولن يكون إلاّ بإعادة الإعتبار للإنسان » .[3]

وبالرَغم من كل هذا ، فشريعتي لا ينكر أنَ الفكر البشري قد أولى موضوع الإنسان اهتماما كبيرا فيقول : « ولكن مع هذا كله لا يمكن غضَ النظر عن الجهد الذي بذل في سبيل

1- سيد قطب ، الإسلام و مشكلة الحضارة ، ط7 ، دار الشروق ، القاهرة ، (1402 ، 1982) ص 5 .
2- أبو الوفا التفتازاني ، الإنسان و الكون في الإسلام ، دط ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، (1995) ص 22.
3- أحمد السحمراني ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، دط ، دار النفائس ، بيروت ،(1988) ص 55 .

معرفة الإنسان ، وكونه له نوع من الإنطباع عن الذات والحقيقة الجوهرية لأنه أولا : أنَ معرفة الإنسان تعني معرفة أنفسنا ، وبدونها يستوعبنا نوع من " اللاوعي الأسود " بحيث لا يمكن لضوء العلم المشع - الوعي - أن يقودنا إلى مكان ما ، وهذا هو عين النَقص الفجيع الذي حرم إنسان هذا العصر من الفهم الصحيح لمعنى الحياة ، ومفهومه الوجودي بالرَغم من نجاحاته الباهرة في عالم العلم » .[1]

وعليه يدعو شريعتي ، إلى ضرورة معرفة الإنسان معرفة حقيقية ، لأنه يرى أنَ سبب فشل جميع الجهود التي بذلت من أجل إسعاد الإنسان ، هو أنَ جزءا كبيرا من حقيقة هذا الكائن بقي مجهولا « ولكنَ الإنسان مجهول يجب معرفته ، وبشكل فوري قبل كل معرفة ، إنَ مثل هذه المعرفة في الواقع " معرفة حيوية " وليس مبالغ فيه لو قيل : أنَ السبب الأساس في إحباط جميع الجهود العلمية ، و الإجتماعية والأيديولوجية المعاصرة المبذولة في سبيل سعادة نوع الإنسان بصدق ، أو على الأقل إعطاؤه نوع من الشعور بالسعادة ، يكمن فينا ، وهو أنَّ الإنسان الذي هو الموضوع الرَئيس لكل هذه الجهود والنجاحات ، قد بقي مجهولا أو منسيا بشكل من الأشكال » .[2]

أولا - أصالة الإنسان :

عند ما يتحدث شريعتي عن أصالة الإنسان ، فهو يتحدث عن تلك الصفات التي تجمع المدارس الغربية والأيديولوجيات المعاصرة في نظرتها للإنسان ، وهو في تحليله لتلك النَظرة يستعين بالتَاريخ ليبرز لنا الأسس والخلفيات التاريخية التي قامت عليها تلك الأيديولوجيات ليعرف هل وصلت إلى غايتها في تعريف الإنسان بنفسه وإعطاء معنى لحياته ، أم أنَها كانت تخبط خبط عشواء ، وعليه يضع تعريفا لهذا الإصطلاح فيقول : « يعني أنَها : المدرسة التي تعلن أنَ هدفها الرَئيس هو نجاة الإنسان وكماله ، وتعتبر الإنسان موجودا شريفا ، وأنَ الأصول التي تقترحها هي على أساس تلبية الإحتياجات الرئيسية التي تشكّل النوعية الإنسانية » .[3]

1- علي شريعتي ، الإنسان والإسلام، ص 35 ، 36 .
2- المصدر نفسه ، ص36 .
3- المصدرنفسه ، ص 37 .

يرى شريعتي أنَ هذه المدرسة تضمَ ثلاث مدارس كبرى ، عرفها الفكر الغربي وهي الرأسمالية الليبرالية [1]، والماركسية [2]، ثم الوجودية [3]، ويذكر الصفات المشتركة لهذه المدارس، و يناقش أطروحاتها التي تتعلق بالإنسان كلا على حدة ، فيرى أنَ هذه النظرية تقوم على أساس الميثولوجيا [4] ، اليونانية القديمة التي ترى بأنَ علاقة الإنسان بالآلهة هي علاقة منافسة وتضاد « إنَ نظرية أصالة الإنسان الغربية تقوم على أساس نفس النظرة الخاصة لميثولوجيا اليونان القديمة ، والتي ترى أنَ السماء والأرض ـ عالم الآلهة وعالم النَاس ـ توجد منافسة وتضاد ، وحتى أنَه وجد نوع من الحسد والحقد ، وأنَ الآلهة هي قوى ضد الإنسان وأنَ جميع جهودها وأحاسيسها ، تقوم على سلطتها الجبارة على الإنسان وتقييده بضعفه وجهله،لأنَها تخشى وعي الإنسان وحريته واستقلاله ، وسيادته على الطبيعة ، وكل إنسان يسلك هذا السبيل يكون قد ارتكب ذنبا كبيرا ، وتمرد على الآلهة ، وهو محكوم عليه بأشدَ أنواع العذاب وأقسى العقوبات » . [5]

وإذا كانت هذه هي النظرة اليونانية القديمة ، لعلاقة الإنسان بالآلهة فإنَها بلا شك سوف تدعو الإنسان إلى التمرد على هذه الآلهة ـ الظالمة التي تسعى بكل قوتها العظيمة إلى القضاء على الإنسان ـ وأن يجد طريقا للخلاص من جبروتها وقهرها « ومن جهة فإنَ الإنسان يبحث

1- الرأسمالية : التشكيل الإقتصادي الإجتماعي الذي حلَ محل الإقطاع ، وتقوم الرأسمالية على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ، وقد نشأت الرأسمالية في القرن السادس عشر ، ولعبت دورا تقدميا في تطور المجتمع ، فحققت إنتاجية عمل أكثر بكثير بالمقارنة للإقطاع ، ودخلت الرأسمالية في مستهل القرن العشرين أعلى مراحلها وآخرها ، مرحلة الإستعمار التي تتميز بسيطرة الإحتكارات وتحكم الأقلية المالكة . أنظر: عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية ج2 ، ص 224 ، 225 .

2- الماركسية : النظرية الثورية لماركس وإنجلز و لينين ، والتي تمثل نسقا متكاملا ومتناغما من الأفكار الفلسفية و الإقتصادية و الاجتماعية و السياسية و قد تولدت الماركسية عن النضال التحرري للطبقة العاملة في أربعينيات القرن التاسع عشر ، و أصبحت التعبير النظري عن المصالح الأساسية لتلك الطبقة و كان ظهور الماركسية علامة على ثورة عظمى في عالم الطبيعة و المجتمع . أنظر : عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية ، ج 2 ص440،441 .

3- الوجودية : فلسفة الوجود تيار لا عقلاني في الفلسفة الحديثة ، حاول أن يخلق نظرة عامة جديدة للعالم طبقا للإطار العقلي لبعض شرائح المفكرين ، و هناك شكلان للوجودية الوجودية الدينية " المؤمنة " و الوجودية " الإلحادية " و تعكس الوجودية أزمة الليبرالية التي لم تعد في مركز يسمح لها بالرد على التساؤلات التي تفرضها الممارسة التاريخية المعاصرة ، أو بتفسير عمليات الصعود و الهبوط في الحياة في المجتمع الرأسمالي ، و مشاعر الخوف و اليأس و فقدان الأمل الكامنة داخل المجتمع . أنظر : عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية ، ج 2 ، ص 579 .

4- الميثولوجيا : أو الأساطير ، شكل من الأشكال الشفاهية للفولكلور ، من أخص خصائص القدماء ، و الأساطير هي حكايات تولدت في المراحل الأولى للتاريخ ، لم تكن صورها الخيالية ـ الآلهة ، الأبطال ، الأحداث الجسام ـ إلا محاولات لتعميم و شرح الظواهر المختلفة للطبيعة و المجتمع ... لكنها كانت تعكس في نفس الوقت الآراء الأخلاقية و الموقف الجمالي للإنسان . أنظر : رونتال و يودين ، الموسوعة الفلسفية ، ترجمة ، سمير كرم ، ط6 ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، (1987) ، ص 23 .

5- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ، ص 37 ،38 .

باستمرار عن نجاته من هذا القيد والأسر، ويسعى عن طريق الحصول على قدرة الآلهة لنيل استقلاله ، وأن يحلَ محلَ الآلهة في الطبيعة ، وأن يستنقذ مصيره من أكفها القاهرة ، ويحرز اختياره وإرادته » .[1]

انطلاقا من هذه الخلفية العقائدية ، وصل الفكر الغربي إلى المادية ، فليس للإنسان من حل أمام جبروت الآلهة إلا إنكارها والإعتقاد بالمادة ، وهذا هو الأساس الذي فسَر به شريعتي ظهور المادية في الفكر الغربي « إنَ هذا النوع من التَمسك بأصالة الإنسان ، لمَا اتَخذ له شكلا أمام السماء أصبح أرضيا وانحرف نحو المادية أوالتمسك بأصالة المادة ، ولهذا فإنَ "الأومانيسم" في النظرة الغربية ـ منذ اليونان القديمة حتَى أوروبا الحاضرة ـ أدَت إلى المادية ووجدت لها مصيرا متماثلا في ليبرالية أصحاب دائرة المعارف ، وفي الثقافة البورجوازية الغربية ، وفي الماركسية » .[2]

إنَ السبب الفعلي الدقيق ، الذي أدّى إلى قيام نظرية أصالة الإنسان على أساس ميثولوجيا اليونان هو ما عرفته القرون الوسطى ، من سيطرة الكنيسة ورجال الدَين « لقد أدى هذا إلى أن تتخذ الأومانيسم ـ التمسك بأصالة الإنسان ـ في الغرب لها شكلا في الجهة المعاكسة للمذهب الإلهي أكثر فأكثر ، حيث أن كاثوليكية القرون الوسطى هي التي جعلت المسيحية ـ باعتبارها الدين المطلق ـ في مقابل أصالة الإنسان ، وأوجدت نفس التضاد بين السماء والأرض ، الذي كان موجودا في الميثولوجيا اليونانية وروما القديمتين » .[3]

ومن هنا أصبحت النَظرة المادية للكون والوجود ، هي أساس الفكر الأوروبي ، ومن ثمَة بدأت جنايتها على الإنسان ، وذلك لأنَها أهملت وبصفة مطلقة الجانب الروحي في الإنسان « تعتبر المادية جنس الإنسان وذاته من جنس المادة وذاتها ، وهي في تعريفها الأوّل هذا تحبس الإنسان في إطار التكامل المحدود في كينونة المادة ، إذا كان الإنسان من جنس المادة فقط فمن غير الممكن أن يتكامل أكثر ممَا تستوعبه أبعاد كينونة المادة ، وهذا هو تحديد سير الإنسان التكاملي في الظواهر المادية في أبعاد كينونة المادة » .[4]

1- المصدر السابق نفسه ، ص 38 .
2- المصدر نفسه ، ص 39 ، 40 .
3- المصدر نفسه ، ص 40 .
4- المصدر نفسه ، ص 110 .

ثانيا: الرأسمالية الليبرالية :

كما تقدم فنظرية أصالة الإنسان ، تضم إذا ثلاث مدارس فكرية وهي الرأسمالية والماركسية والوجودية ، وهي جميعا تشترك في القول بأصالة المادة ، أي أنَ كل شيء منبثق عن المادة بما فيها الإنسان وما يتصل بحياته ، ولا شك أنَ هذه المدارس تباينت آراؤها في كيفية الوصول إلى الأومانيسم ، وتنوعت تأثيراتها على المجتمعات التي طبقتها ، سواء على المستوى الإجتماعي ، أو السياسي أو الإقتصادي وحتى على المستوى الديني ، وهدفنا الآن هو إبراز تأثيراتها على إنسانية الإنسان ، وهل كانت مراعية لإنسانيته أم أنَها كانت من عوامل مسخها وتشويهها .

يرى شريعتي أن الإنزلاق الخطير الذي وقعت فيه الرأسمالية والماركسية ، هو نظرتها الخاطئة للإنسان حيث أنَها تنظر إليه على أنَه حيوان اقتصادي « إنَ كلا النظامين الرأسمالي والشيوعي وإن كانا في شكلين مختلفين يعتبران الإنسان "حيوانا إقتصاديا " وإنَ اختلافهم الشكلي هو أيَهما أنجح في تأمين حاجات هذا الحيوان » . [1]

ومن ثمّة دفع النظام الرأسمالي الإنسان إلى الجري وراء مطالب جسده ، وتوفير ما يحقق له الرّاحة والطمأنينة المادية ، ناسيا ما يترتب على ذلك من مفاسد « والذين ينظرون إلى الإنسان، في تلك المستويات النازلة التي يعيش فيها كثير من الناس عيش الحيوان ، وحيث تستبد بهم مطالب الجسد ، فتملك عليهم وجودهم ، وتسوقهم سوقا عنيفا لاهثا إلى كل مورد يخال عنده الرّي ، لهذا السعار الجسدي الذي لا يبرد له الغليل ، الذين ينظرون إلى الإنسان في هذه المستويات النّازلة ، يرون الإنسانية ترسف في أغلال ثقيلة غليظة من الآلام والأوجاع وتتحرك في خطى وحيدة على جمر الحرمان ، وإنَه ليس أشقى في الأحياء من هذا الإنسان الذي يعيش لمطالب جسده ، ولا يجد في نفسه القدرة على الإستعلاء عليها ، والتحكم فيها ، إنَه حينئذ يفقد وجوده ويتحول إلى أداة مسخّرة ، ومطية ذلول لشهوات الجسد وأهوائه » . [2]

ونتيجة الجري وراء مطالب الجسد ، والصراع من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من الماديات معلومة ، وهي أنَّ كل شيء يصبح خاضع لقوة المال وسيطرته، بما في ذلك القيم

1- المصدر السابق نفسه ، ص 51 .
2- عبد الكريم الخطيب ، الله و الإنسان ، دط ، دار الفكر العربي ، بيروت ، دت ، ص 16 .

والمبادئ الإنسانية السامية ، وهذا من أكبر المسخ الذي فرضه النظام الرأسمالي على الإنسان « إنَ النَظام الرأسمالي ونظام السوق ، يستوجب على الإنسان أن يسعى سعي الكلاب من الصباح إلى المساء ، وأن يحلم بالمال من المساء إلى الصباح ، وإلاّ حرم من الحياة وحينذاك إلى أي شيء تصير إليه حرّيّة الجوهر الإنساني ؟ في نظام قائم على صراع الطبقات وخضوع كل القيم الإنسانية لسيطرة المال ، كيف يمكن الحديث عن الديمقراطية والحرية السياسية والفكرية » .[1]

وفي ظلّ هذا النظام تزايدت مطالب الإنسان واحتياجاته وتنوعت ، وازداد معها ركد الإنسان من أجل الوصول إلى تحقيقها ، وأصبحت الآلة التي اخترعها الإنسان من أجل تحقيق راحته تستعبده ، وتفرض عليه نظامها الآلي « صار الإنسان قوّة سلبية والآلة هي القوّة الإيجابية التي تملي على العامل مكان عمله ، وزمنه وطبيعته وحدوده، وهناك حدث انقلاب كبير في سيكولوجية الإنسان ، فقد أخذ رويدا رويدا يفقد سيطرته ، ويفقد في الوقت ذاته إنسانيته لقد توغّل شبح الآلة الضخمة في أعماق حسّه ، وصارت هي القوة القاهرة ،التي تملي عليه إرادتها وتصرّف حياته كما تريد » .[2]

« ... وتحول الناس إلى موجودات تستعبد الإستهلاك ، إنّها تفرض على بني الإنسان عبئا ثقيلا يزداد يوما بعد يوم ، حتّى أنَ معجزة الآلة والتكنولوجيا الحديثة ، التي كان من المفروض أن تنقذ الإنسان من أسر العمل المادي ، وتزيد في أوقات فراغه لم تخدمه في ذلك بل ازدادت سرعة إنتاج الحاجات التقنية المادية ،عن سرعة تكنولوجيا الإنتاج الخارقة للعادة أيضا والإنسان وسط هذه السرعة الجبرية المذهلة ، مقيّد وغارق يوما بعد آخر بصورة أشد وغريب عن نفسه أكثر فأكثر ، ولم يكن بعد ذلك مجال لنمو قيمه المعنوية وكرامته الأخلاقية وظهور قابليته القدسية ، بل إنَ الإنغماس في السعي من أجل الإستهلاك المادي والخوض في مسابقة جنونية للتفنن والتجميل جعلت قيم أخلاقه التقليدية بيد التّعطيل والزوال » .[3]

1- علي شريعتي ، بناء الذات الثورية ، ص36 .
2- محمد قطب ، في النفس و المجتمع ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، (1413 ، 1993) ص 79 .
3- علي شريعتي ، الإنسان والإسلام ومدارس الغرب ، تر ، عباس الترجمان، دط ، دار الصحف للنشر ،ايران، ص 52

ثالثا: الماركسية :

يرى شريعتي أنَ الإنسان في العصر الحديث ، عرضة لعدَة فجائع أيديولوجية، كان لها تأثير سلبي على إنسانيته « ... فهي فجائع الأيديولوجية، هنا نستخدم الأيديولوجيا بمعناها الأوسع إنَ الأيديولوجيات الحديثة المختلفة ، التي تدّعي أنَها ترتكز على أسس علمية حديثة كلها تنكر الإنسان باعتبار " أصالته " حتَى الذين يتشدقون بنظرية أصالة الإنسان » . (1)

إنَ شريعتي ، يعتبر هذه الأيديولوجيات من الفجائع التي حلت على إنسان هذا العصر، ولا شك أنَ الماركسية واحدة من تلك الفجائع ، فهي تنظر إلى الإنسان نظرة مادية « و في هذا الخضم فإنَ للماركسية وضعا مضطربا ، فمن جهة هي مادية وبناء على هذا لا تتمكن من أن تعتبر الإنسان باعتباره وجودا ، سوى عنصر ضمن حدود العالم المادي ... وبالنَتيجة يظهر الإنسان بصورة وليد شكل الإنتاج المادي » . (2)

« وحين انحرفت الماركسية ، في تفسيرها للكون والوجود ، كان من الطبيعي أن تنحرف في القضايا التالية وأهمها قضية وضع الإنسان في مكانته اللائقة في هذا الوجود ،وبين الأحياء ، إنهم قد فسروا الإنسان في جميع نواحيه تفسيرا ماديا ، فهو مادي من حيث وجوده واستمرار هذا الوجود وهو مادي كذلك في غرائزه وأشواقه وهو مادي أيضا في نظمه واجتماعياته وسلوكه ، إنه على الجملة أثر من آثار المادة » . (3)

« وكان ماركس قد ادّعى أنَ كل الأشياء تنبع من المادة ، وذلك لكي يثبت نظريته بأنَ الأفكار الأخلاقية ، انعكاس للأحوال الإقتصادية السائدة في عصر ما ، وكان ماركس يريد أن يقيم دليلا على أن صورة من صور الطرق الإنتاجية ، تحول الإنسان إلى لص ومستغل وأنَ صورة أخرى من طرق الإنتاج ستحوله إلى فرد عادل وأمين » . (4)

وعليه فإنَ الماركسية بهذه النَظرة ، تقتل إرادة الإنسان وتجعله مخلوقا مسلوب الإرادة وما دام الإنسان لا يملك إرادة فهو إذا غير مسؤول وهذا مسخ كبير لإنسانية الإنسان ، وهذا ما انتقده شريعتي حول الماركسية « ففي الحقيقة هي تعتبر الإنسان هو البناء ، لأن الإنسان مجموعة من

1- المصدر نفسه ، ص 53 .
2- المصدر نفسه ، ص 54 .
3- طه الدسوقي ، عقيدتنا و صلتها بالكون و الإنسان و الحياة ، دط ، دار الهدى للطباعة ، مصر ، (1984 ، 1405) ص27 .
4- وحيد الدين خان، سقوط الماركسية، ترجمة، ظفر الإسلام خان، ط1، دار الصحوة القاهرة ،(1987،1408) ص 5 .

العناصر ليس إلا ، وبالنتيجة يظهر الإنسان بصورة وليد شكل الإنتاج ، ففي التحليل النهائي تتبع أصالة الإنسان في الماركسية من أصالة الآلة ، يعني على خلاف قول الإسلام : الإنسان ابن آدم ، بل هو ابن الآلة » .[1]

وبذلك فهي تفرض على الإنسان الجبر المادي وتجعله أسيرا له « ... بل تمنح الجبر المادي حكومة مسيطرة على المصير التاريخي للإنسان ... وفي الحقيقة أنها تقييد لإرادة الإنسان التي تمنحه الأصالة في العالم ، وبالتالي سقوط الإنسان في ورطة ذلك الجبر ، الذي كان قد حفرته للإنسان في الماضي الأديان الخرافية أو الفلاسفة أو المتكلمون المرتبطون بالسلطة » .[2]

وهذا ما قاد الماركسية ، إلى جعل العامل الإقتصادي والإنتاجي هو العامل الوحيد المتحكم في تاريخ البشر ومستقبلهم « وهذا يعني أن المجتمع والحضارة والتاريخ وتحولاتهكانت مائة في المائة من بناء عامل واحد ، وهذا العامل هو العامل الإقتصادي ، وهو يمثل الإنتاج ووسائل الإنتاج ، ومن هنا تكون مسألة الجبر التاريخي والإنسان قد تغيرا بالإجبار أيضا ، وهذا التغيير الذي حصل هو على أساس شكل الإنتاج ، لذا فإن أفكار الناس وآرائهم لم يكن لها دخل في تغيير وخلق الحضارة الجديدة ، لأن تغيير الإنسان لم يكن بإرادته وبيده ، فهو مجرد آلة عمل يتغير مثلما تتغير الأشجار ، وبصورة جبرية في فصل الخريف أو الربيع ، لذا فإن تغيير فصل المجتمع هو تابع لتغيير الإنتاج ، حينما يتغير الإنسان بصورة جبرية يتغير ويتحول جبريا أيضا » .[3]

« ويزعم ماركس أن ارتقاء المجتمع ، هو تاريخ ارتقاء الإنتاج لا غيره ، وتاريخ ارتقاء الإنتاج قائم على أساس استغلال المادة ، التي تكون منها الوجود المشتمل على ظواهر لا نهاية لها تبدو في أشكال مختلفة تصورها حركة الطبيعة الدائمة ، وهذه الظواهر عندما يرتبط بعضها ببعض يجري التطور في الطبيعة بواسطة الصراع بين الأضداد حيث تتصارع قوى غير متكافئة هي قوة القديم وقوة الجديد والماضي والحاضر والزائل والموجود » .[4]

1- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ومدارس الغرب ، ص 54 .
2- المصدرنفسه و الصفحة نفسها .
3- علي شريعتي ، تاريخ الحضارة ، ص 686.
4- أحمد عبد الغفور عطار ، الشيوعية و الإسلام ، ط3 ، دار الأندلس ، (1400، 1980) ص 37،38 .

لقد أقامت الماركسية إذا فلسفتها على أساس المادية التاريخية [1] ، إلا أنها لا تملك أن تدعي بأن كل الأحداث التاريخية تؤكد نظرتها ، بل العكس هو الصحيح فإنه يوجد ما لا يعد ويحصى من الأدلة التاريخية التي تناقض فلسفتها هذه « والقائلون بالحتمية المادية لحركة التاريخ لم يأخذوا التاريخ كله كنموذج ليستنبطوا منه قانون حركته ، وإنما اختاروا بضع مراحل وفقرات هي التي وجدوا فيها مصداق كلامهم وأغفلوا الباقي ... وما كان لأحد أن يحيط بالتاريخ كله ». [2]

وكل هذه الأسس التي تقيم عليها الماركسية فلسفتها تقضي بإنكار الإله ، وإنكار القيم الإنسانية والأخلاقية « وإنكار الشيوعية للإله مبدأ لإنكار كل القيم الروحية والأخلاقية ، ومبدأ لربط كل ما في الحياة برباط مادي ، وإهدار ما في الإنسان من روحانية ، وتقديس للمثل العليا البعيدة عن المادة المحتقرة لها » . [3]

« ولكن الماديين الماركسيين ينكرون هذا كله ، فلا أخلاق عندهم إلا ما أثمرته مقتضيات صراع الطبقات الدائر - في زعمهم - حول الفلك الإقتصادي ، ومعنى كلامهم هذا أن الأخلاق في تاريخ البشرية كلها ليست إلا أحابيل فكرية أو سلوكية تستعمله كل طبقة لتحقيق المزيد من التغلب على الطبقة الأخرى في تلك الحرب الإقتصادية ، التي لن تضع أوزارها إلا في ظل النظام الشيوعي » . [4]

وهكذا ابتعدت الماركسية كثيرا عن الإنسان ، بحيث أصبحت فلسفة لا إنسانية ، تجاهلت إنسانية الإنسان في أطروحاتها الفلسفية « ومعنى هذا أن الماركسية كثيرا ما تسقط من حسابها البعد الوجودي للإنسان ، لكي تقتصر على وصف الحقيقة البشرية بطريقة علمية مجردة فلا تلبث أن تستحيل في خاتمة المطاف إلى أنتربولوجيا لا إنسانية غاب عنها الإنسان نفسه بوصفه الدعامة الحقيقية لكل تفسير » . [5]

1- المادية التاريخية : هي التي قعد قواعدها كارل ماركس و فريديريش إنجلز ، و هي تقوم على قلب الروابط السببية و استنادا إلى مذهب القلب اشأ أصحابها علما تاريخيا يفسر أحداث التاريخ على أساس العوامل المادية و حدها، و هي ترجع أساسا إلى عوامل إقتصادية ،إن االمادية التاريخية تطبق مبادىء المادية على التاريخ و على المجتمع . أنظر : عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية ، ج 2 ، ص 407 .

2- مصطفى محمود ، الماركسية و الإسلام ، ط 4 ، دار المعارف ، القاهرة ، دت ، ص 28 .

3- عبد المنعم النمر ، إسلام لا شيوعية ، دط ، دار الغريب للطباعة ، القاهرة ، (1369 ، 1976) ص 65 .

4- محمد سعيد رمضان البوطي ، نقض أوهام المادية الجدلية ، ط2 ، دار الفكر ، دمشق ، (1407 ، 1986) ص 287

5- زكريا ابراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ، دط ، دار مصر للطباعة ، مصر (1987) ج 1 ، ص 485 .

وعلى هذا فإن البشرية التي لجأت إلى النظام الشيوعي ، كي تجد ما فقدته في الأيديولوجيات الأخرى ، وجدت نفسها تسلب مرة أخرى من إنسانيتها ، وتتحول حياتها من جديد إلى التكالب على المادة والجري وراء المتعة « إن البشرية التي انشغلت بالماركسية للهروب من أسر النظام الميكانيكي ، والتي وجّهت أقوى غاراتها على هيكله ، رأت نفسها فجأة بعد انتصار الماركسية ، وبعد أن أينعت المزرعة الشيوعية ، مقيدة بسلاسل النظام الميكانيكي بصورة أوضح وأثقل من النظام الرأسمالي الصناعي ، بحيث أعلن أن الشرط الرئيسي لتحقق المجتمع المثالي الإشتراكي هو " الزيادة المادية " وأن الشرط لهذه الزيادة هو تبديل المجتمع إلى مجتمع صناعي مائة بالمائة » .[1]

لهذه الأسباب كان شريعتي من المعارضين للفلسفة الماركسية ، وكان يحاربها وينتقدها في محاضراته التي كان يقدمها لطلبته « كان شريعتي من أكثر الناس رفضا للماركسية ومن العاملين ضدها وكان مطلعا إلى أبعد الحدود على المدارس الأيديولوجية والفلسفية والسياسية والإقتصادية والأدبية الغربية ، وتحديدا الفلسفة الماركسية ، لذا كان شريعتي دقيقا وبارعا في انتقاداته وإيضاحاته حول الماركسية ، ولهذا كان الحزب الشيوعي الإيراني المسمى " حزب توده إيران" يوم ذاك يمنع كوادره وأعضاءه من مطالعة مؤلفات شريعتي والإقتراب منها وحضور محاضراته العلمية ، وذلك لأساليبه الثقافية الإقناعية أولا ، وثانيا لكثرة استدلالاته في نقض الماركسية » .[2]

رابعا - الوجودية:

ظهرت الفلسفة الوجودية في مقابل الفكر الرأسمالي،الذي جعل الإنسان حيوان اقتصادي وفي مقابل الأيديولوجية الماركسية التي جعلت الإنسان عبدا للمادة ، لقد أقامت الفلسفة الوجودية فلسفتها على أساس أسبقية الوجود على الماهية [3] ، فالإنسان وجد أولا ثم هو يصنع ماهيته بإرادته واختياره على عكس الموجودات الأخرى « لقد وضع النظام الوجودي في مقابل الرأسمالية التي كانت تصنع من الإنسان حيوانا إقتصاديا ، وفي مقابل النظام الماركسي الذي يعتبر الإنسان لعبة لا إرادة لها ، بيد قوة غيبية حاكمة " المشيئة " وفي مقابل المادية الدياليكتية

1- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ومدارس الغرب ، ص 61 .
2- مير عرفاوي ، علي شريعتي و الماركسية ، موقع : www.saihat.net
3- الماهية: معنى شيء ما ، في تميزه عن كل الأشياء الأخرى و تعارضه مع الحالات المتغيرة ، للشيء تحت تأثير ظروف مختلفة . أنظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص 171.

التي جعلت منه لعبة دون إرادة للتكامل الجبري لآلة العمل ... إذا فالإنسان لم يكن مخلوقا لله ولا هو مخلوق الطبيعة ، ولا هو وليد آلات الإنتاج ، الإنسان إله يخلق نفسه » .[1]

إذا الوجودية تعطي الإنسان حرية مطلقة في هذاالوجود ،فهو المتصرف في نفسه وهو الذي يستطيع وحده اختيار طريقه واختيار مبادئه،وتحديد الخيروالشر،وهي بهذا تجعل الإنسان في حيرة واضطراب، نتيجة التباس السبل عليه« ولكننا نرى أن الوجودية في الوقت الذي تعطي الفرد الإنساني هذه العجلة " الإرادة و الحرية" ذوالقدرة العالية،نراها تهمس في أذنه أينما تريد تستطيع أن تذهب ولكن لا مكان للذهاب واعلم بأنك أية جهة تختار تكون جهة فقط لأنك أنت اخترعتها،وإلا لا فرق بينها وبين أية جهة أخرى يختارها غيرك...بلا ريب فإن قيمة مثل هذا العطاء تافهة تماما وحتى أنه خطير، إن اعتبار الإنسان ذو إرادة حرة مثل الله يعمل كل ما يريد ، فالإجابة عن سؤال كيف يعمل ؟ ستكون كيفما يريد، وهذا دور باطل وهدّام ».[2]

وبزعم منح الحرية للإنسان ، تدعو الفلسفة الوجودية هذا الإنسان إلى ترك الإرتباط بالمبادىء والقيم الإجتماعية والعقائدية ، ليكون هو الذي يصنع قيمه وهويته « وبينما الفلسفة الوجودية تحاول وصل الإنسان بنفسه ، وتعلن بطلان وجود الهوة بين الذات وبينها قد تجدها تدمّ فينا المفاهيم الإجتماعية والعقائدية والقيم ، لأنها تربط الإنسان بالقلق والألم والحزن وهي معان خطرة يعايشها الإنسان ، ويتشكل سلوكه بها ، مما قد يتأثر به وجوده للخطر ، إنها فلسفة تقلق علينا أنفسنا » .[3]

خاتمة الفصل:

إن الإنسان كائن مكرم في هذا الوجود ،زوده خالقه سبحانه وتعالى بما يسهل عليه حياته إلا أن الإنسان في بعض الأحيان يستسلم لدواعي الشر الكامنة فيه ،ويرى شريعتي أن مصدرها ثلاثة أصول هي سبب الشر والفساد الموجود على ظهر الأرض، وهي الجهل والخوف والنفعية وكلها تقضي على إنسانية الإنسان ، كما أن الإنسان قد يتسبب في مسخ فطرته الإنسانيته بعقله وفكره ، كما فعلت الفلسفات الغربية التي قامت على أساس الجهل بالإنسان ، فكان ضررها أكبرمن نفعها، ومن ثمة يدعو شريعتي، إلى ضرورة معرفة الإنسان معرفة حقيقية .

1-علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ومدارس الغرب ، ص 62 .

2 - المصدر نفسه ، ص 64 .

3- محمد ابراهيم الفيومي ، الوجودية فلسفة الوهم الإنساني ، دط ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر، القاهرة ،(1404 1984) ص 69 .

الفصل الثاني : الانسان بين النباهة و الاستحمار

تمهيـــد :

- المبحث الأول : النباهة الفردية و الاجتماعية و أبعادها

- المبحث الثاني : مقولة الاستحمار و رباعية ...(الاستغلال، الاستعمار، الاستبداد و الاستعباد).

- المبحث الثالث : المثقف بين النباهة و الاستحمار .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

« رغم أن مشروع شريعتي، التغييري والإصلاحي ، قائم بالدرجة الأولى على العودة الى الذات ، شأنه شأن معظم المصلحين، مع فارق الكثافة الإصلاحية لصالح شريعتي إلا أنه تبقى المقولة الأكثر مركزية في أفكاره ومشروعه التفكيكي لأسباب الأزمة وسبل علاجها هي : مقولة الاستحمار » [1] ، و على هذا فقد خصصت هذا الفصل للكشف عن أراء شريعتي في هذه القضية ، التي تحتل جانبا كبيرا في فكر وفلسفة الإنسان عند شريعتي ، فهو يعتقد أن كل « قضية فردية أو إجتماعية ، أدبية كانت أم أخلاقية أم فلسفية، دينية أو غير دينية تفرض علينا وهي بعيدة عن "النباهة الإنسانية" و "النباهة الاجتماعية" ومنحرفة عنها هي استحمار قديم أو جديد مهما كانت مقدسة » . [2]

وتبرز إشكالية هذا الفصل في التساؤلات التالية :

1) ماذا يقصد شريعتي بمقولة النباهة والاستحمار ؟

2) ما مقصوده من النباهة الفردية والإجتماعية ؟

3) ما هي أبعاد النباهة الفردية و الإجتماعية على المستوى الإنساني و الحضاري ؟

4) ما هو موقع المثقف من النباهة الفردية و الاجتماعية ؟

المبحث الأول : النباهة الفردية و الإجتماعية وأبعادها الإنسانية والحضارية.

يهدف شريعتي في مشروعه الاصلاحي إلى بناء إنسان يمتلك نباهة ووعي و دراية تمكنه من إدراك ذاته أولا ، واستشعار قيمته الوجودية وموقعه ، بهدف التصدي لمن يريد استحماره استغلاله و استعباده .

أولا : النباهة الفردية .

« يقسم شريعتي النباهة إلى قسمين : "فردية و اجتماعية " و أحيانا يعبّر عنها بالدراية وتارة بالوعاية ،علما أن مسألة النباهة لديه تقع تحت مقولة الوعي » . [3]

1- نذير الماجد ، قراءة في كتاب النباهة و الاستحمار ، WWW.RASID.COM

2- علي شريعتي ، النباهة و الاستحمار ، ص ،149.

3-عبد الرزاق الجبران ، مقدمة كتاب النباهة و الاستحمار ، ص 54 .

ويعتبر شريعتي أن الوعي يقوم بالدرجة الأولى على المعرفة النفسية ، التي يقصد بها أن يكتشف الإنسان ذاته وهويته ، لا اكتشافا معرفيا نظريا مجردا ، وإنما معرفة تتغلغل إلى أعماق النفس لتعطي الإنسان دفعا وقوة واعتزازا بذاته ، وهذا الوعي يعتبره شريعتي قوة لا مثيل لها ، تجعل الإنسان يقف صامدا أمام محاولات الاستلاب الثقافي والديني « المعرفة النفسية أو الدراية أو النباهة الموجودة عند الفرد بالنسبة إلى نفسه ، هي فوق معرفة الفلسفة والعلم والصنعة ، لأن الأخيرة معرفة ، وليست " معرفة نفسية"[1] أي ليست الشيء الذي يريني نفسي يستخرجني فيعرفني ذاتي ، الشيء الذي يلفت انتباهي أي قدري وقيمتي ، فقيمة كل أحد بقدر إيمانه بنفسه » .[2]

ثم يبين لنا شريعتي مقصوده من النباهة النفسية والوعي النفسي فيقول : « وهو أن أعرف إلى أي أصل أنتسب ، وبأي أمة أرتبط ، وإلى أي تاريخ وأي حضارة ، وأي أدب أنتمي ، وإلى أي مجد ونبوغ وقيم أمتّ ، هذه عودة إلى الوعي النفسي ، وفوق هذا الوعي الوجودي ، الوعي الذي يجعلني أشعر بنفسي ، كمظهر إنسان بتلك المظاهر فأعرفها تماما وأأنس بها » .[3]

وهكذا تأخذ النباهة النفسية أبعادا كثيرة في فلسفة شريعتي ، فهي ذات بعد تاريخي تربط الإنسان بتاريخ أمته ، وهي ذات بعد حضاري تبصر الإنسان إلى أيّة حضارة ينتمي وبعد قيمي وجودي ، تجعل الإنسان يستشعر قيمه وقيمته الوجودية ، ويرى شريعتي أن الإنسان إذا وصل إلى هذه النباهة وهذا الوعي ، تشبث به وتمسك به لأنه سر وجوده وصعب عليه بعد ذلك التفريط فيه « ... وعندها لا أتخلى عنها بأي ثمن ، إذ لا يمكن المساومة على جزء من لحظات وجودي إن عرفت من " أنا " هذه الـ " أنا " التي تباع بسهولة تغدو مع كل

1- يفرق شريعتي بين المعرفة التي تورثها الفلسفة والعلم من جهة ، وبين ما يسميها " المعرفة النفسية " أو "النباهة" والتي تترشح عن الوعي ... وعي الإنسان بوجوده (الفردي والجماعي والتاريخي) أو بإطار أشمل ما يسميه بـ " الوعي الوجودي" وعن ذلك التفريق انبثق اصطلاح الوعاية الفردية والاجتماعية أو النباهة الفردية والاجتماعية ، هادي السيد ياسين ، هامش كتاب النباهة والاستعمار ، ص 85.

2- علي شريعتي ، النباهة والاستحمار ، ص 85 ، 86

3- المصدر نفسه ، ص 88 ، 89 .

أحد عظيمة بعظمة كل الكائنات ، إن هي اكتشفت نفسها قليلا وبلغت وعيها النفسي ، نعم وعيها النفسي ! » . [1]

ثم نجد أن النباهة النفسية ، تأخذ بعدا أخلاقيا في فكر شريعتي ، حيث يرى أن الإنسان عندما يفقد هذا الوعي النفسي، يقع فريسة للرغبات والشهوات التافهة « تقوقع الإنسان في ذلك الدوران الأحمق ... الدوران الذي يأكل فيه الإنسان فينام فيستيقظ ، فيكدح ليأكل ، ثم يكدح فيأكل من أجل أن يعمل لوقت فراغه ، فراغ لعمل إنتاج واستهلاك الإنتاج أينما تنظر تراه دوران ، كالحمار تماما يسير صباحا ، فيسير بجهد وتعب ، يسير ويسير فيرى نفسه أول الليل مكانه أول الصبح ، دوران ، فدوران ، فدوران » . [2]

وفي هذا الدوران تظهر الآفات والأخلاق السيّئة « في هذا الدوران الباطل تطرؤ على الإنسان مشاعر خاصة : فاقات ، ضغائن ، عقد ، حسد ، وآلام خاصة ، إلى حد تعز الإنسان النبيه » . [3]

ومن نتائج هذا الدوران والجري وراء اللذة والمتعة ، أن الإنسان يصل إلى التضحية بقيمته الإنسانية من أجل الحصول على هذه اللذة والمتعة ، هذه القيمة التي كرّمه الله بها ورفع من شأنه لأجلها ، يضحي بها ويقبع في مستنقع شهواته ليصل إلى درجة من الحيوانية في غاية الانحطاط .

« ثم ما أكثر اللذات والحسرات والتكرات والمؤامرات ، وبعدها التمهيدات ، ثم التضحية بكل شيء لا يقدر ثمنه عند الإنسان ، من أجل الحصول على أبخس الأشياء ثم نرى هذا الإنسان الذي يختال فخرا ، ويعلو رأسه إلى عنان السماء ليصل إلى الله ... نراه يتقبل الذل إلى حد يأباه الكلب ، من أجل رتبة أو درجة دنية إلى أبعد الحدود ضمن إطار القيم ومن هنا تعرف قابلية الإنسان في الصلافة والشقاء ، إنها ما وراء كل الموجودات » . [4]

1- علي شريعتي النباهة والاستحمار ، ص 89 .
2- المصدر نفسه ، ص 73 .
3- المصدر نفسه ، و الصفحة نفسها .
4- المصدر نفسه ،ص 74 .

« لو أعددنا قائمة من أسماء الأشياء التي نطلق عليها اسم اللذة ، الأشياء التي مازالت تجول في أذهاننا ونسعى للحصول عليها ، سواء كانت ألبسة ، سيارة ، دارا ، مقاما درجة دراسية أو صديقا ، لرأينا أي غال ونفيس نضحي به من أجلها ... نضحي بالزمان و الإنسان بالذكاء و النباهة ، بالقابلية والفخر الإلهي للإنسان ، بإمكانية التمرد بقابلية الانتخـــــــاب والاختيار الحر، بقابلية قوة الرفض ، بقوة البناء والتشديد ،بقوة التغيير وتبديل المصير ... نفدي كل هذه الأمور بدون أن نشعر بها ، وبدون أن نملك لحظة من الزمان نتأمل فيها و هكذا نجد الانسان في حياته اليومية متجها إلى خارجه ، ومقبلا على ما يوفر له لذائذه مائلا نحو شهواته ،ونجد " أنا" تلك الأنا التي هي من الله تهبط من العرش إلى حضيض الأرض فتنغمس كالدودة في الماء ، المتعفن بالقذرات و تهش للجيفة » .[1]

ولا يفهم من كلام شريعتي أنه يريد إنسانا مثاليا ، أو أنه يدعو الإنسان إلى حرمان نفسه مما أحل له ، « اعتبر مهمة تهذيب النفس وتثويرها بل والشروع منها أمرا ضروريا لكنه لم يتطرف بحيث يضع معايير مثالية غير واقعية للإنسان ، بل حاول باستمرار أن يحفظ توازن الإنسان في مختلف المجالات ، فهو يؤمن بأن الإسلام لا ينكر الغرائز الإنسانية ولا يكبتها وإنما ينظمها ويضع لها ضوابط و معايير للممارسة ، أمّا قمع غرائز الإنسان أو تجاهلها فهو موقف غير علمي ، ويؤدي إلى نتائج وخيمة على النفس الإنسانية » .[2]

ثانيا : النباهة الإجتماعية :

الأمر الثاني من الوعي والنباهة والإدراك الضروري لحماية الإنسان ، من الإستغلال والإستعباد وبالتالي الإستحمار، هو الوعي الإجتماعي ويقصد به شريعتـــــــي « شعور الفرد بمرحلة المصير التاريخي والإجتماعي للمجتمع ، وعلاقته بالمجتمـــــع والمقدرات الراهنة بالنسبة إليه وإلى مجتمعه، وعلاقته المتقابلة بأبناء شعبه وأمته ، وشعوره بانضمامه وارتباطه بالمجتمع ، وشعوره بمسؤوليته كرائد وقائد في الطليعة ، من أجل القيادة و الهداية والتحرير والحركة الشاملة، تجاه شعبه وأمته،الأمر الذي يجعل هذا بمثابة مسؤولية

1- المصدر السابق نفسه ، ص 75 .
2- فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ص 36 .

ثانية للإنسان ، فثقافة الإنسان و ثباته على مامن شأنه أن يستلب منه شيء واحد » .[1]

فهذه الوعاية الإجتماعية ، هي التي تعطي الإنسان ارتباطا إجتماعيا ، يجعله يشعر بمسؤوليته في المجتمع الذي يعيش فيه ، وهي التي تمنح المجتمع التماسك وتجعل له وجهة ومصيرا مشتركا « فعدوي أنا كإنسان ، وعدونا نحن كمجتمع إنساني وعقائدي أو شعبي ، أو كطبقة لا فرق ، كان العدو شخصا أم أداة ، فهو يسلب منّا الوعاية الأولى والوعاية الثانية وإن لم يبدلنا بهما جهلا أو فقرا أو ذلا ، بل حتى و لو أبدلنا بهما معرفة ، فهو على كل حال عدو .... هذا هو الأساس المركزي في وجودنا التاريخي إن قبلناه ، فسائر القضايا تكون واضحة » .[2]

وهذا الوعي ضروري من أجل إنشاء مجتمع جديد و متماسك « هذا الوعي الماوراء علمي هو الذي يحدث الحركة ، والحركة هي التي تصنع المجتمع الجديد ، مجتمعا حيا ومتحركا ، كجسد وصاحب هدف » .[3]

وهكذا تبرز أهمية فكر شريعتي ، فهو فكر واقعي هادف ، غرضه الوصول إلى الإنسان الواعي صاحب النباهة ، الإنسان الذي يعرف ماهيته وقيمته ومصيره ،وكذلك الوصول إلى المجتمع المتماسك ، وحينها تكون الأرضية قد أصبحت جاهزة لبناء الحضارة .

ولا تنحصر فوائد الوعي النفسي والإجتماعي ، في أنها تمثل حصنا منيعا ضد الإستلاب و التغريب الفكري ، والإستعباد والإستغلال والإستحمار ، فهي أيضا تشكل القاعدة الأساسية لقيام الحضارة ، فشريعتي يؤمن بأن بناء الحضارة ، يجب أن يسبق بتأسيس فكري وعقائدي ، يجدد للإنسان هدفه المنشود الذي يجب أن يتجه نحوه ، لأن كل المجتمعات التي حاولت بناء حضارة دون المرور بمرحلة الفكر والعقيدة فشلت في ذلك ولم تنجز إلا مدنية قائمة على هوس الإستهلاك ، ضمن التبعية للحضارة القائمة ، و الواقع يؤكد

1- علي شريعتي ، النباهة و الإستحمار ، ص 90 .
2- المصدر نفسه ، ص 91 .
3- علي شريعتي ، العودة إلى الذات ، ص 15 .

أن المجتمعات التي بدأت من نقطة عقائدية ، و تحركت بعد تحقيق وعيها الفـــــــردي والإجتماعي و صلت إلى إقامة حضارة ، أما المجتمعات التي اكتفت بتقليد المظاهر الحضارية من دون وعي و شعور ، فقد ظلت مسخرة لتلك الحضارة مستهلكة لمنتجاتها فقط .

« ليس الإنسان المتحضر هو ذلك الإنسان الذي يمتلك الوسائل الحضارية ، فمن الممكن أن يكون هناك متوحش يمتلك سيارة و ثلاجة وغيرها من الوسائل الأخرى فالحضارة عبارة عن مرحلة فكرية وروحية متعالية للإنسان أو المجتمع ، وفي الواقع هي معرفة ذاتية وإنسانية وسياسية » . (1)

لا يتفق شريعتي مع الذين ينظرون إلى الحضارة نظرة مادية ، فامتلاك منتجات الحضارة ليس حضارة « أما أولئك الذين ينظرون إلى الحضارة بأنها مسألة مادية ، فإنهم يأخذون بعين الإعتبار اللباس و الثروة والإستهلاك و البناء ، و بصورة عامة ينظرون إلى مظاهر الأشخاص الخارجية فيعتبرونها نوعا من أنواع الحضارة » . (2)

ولكن الحضارة عنده هي : « عبارة عن حالة روحية ودرجة معنوية وفكرية ، ويمكن أن نفهم هذه الحضارة من خلال طريقة التفكير والعقيدة والثقافة ودرجة الإحساس وبعد النظر في الكون والضمير الإجتماعي ، ونسبة المعرفة الذاتية والإحساس بالمسؤولية والهدف و كذلك الفكرة والمعرفة السياسية للأفراد حتى لو كانت الحياة المادية والتكنولوجية في مستوى غير مطلوب » . (3)

« و قد كشفت لنا التجارب طيلة الثلاثين أو العشرين سنة الأخيرة ، وحتى في الأربعين أوالخمسين سنة الماضية ، أن المجتمعات التي بدأت من نقطة عقائدية ، وتحركت بعد تحقق وعيها الفردي والإجتماعي ، قد وقفت اليوم في صف القدرات التي تصنع الحضارة العالمية ، لكن المجتمعات التي اقتدت بالحضارة الغربية بدون وعي إجتماعي أو شعور إنساني بالوعي الفردي ، وبدون عقيدة بل بمجرد نهضة كاذبة ، قد ظلت مسخـــــرة

1- علي شريعتي ، تاريخ الحضارة ، ص 93.
2- المصدر نفسه ، ص 93 ،94 .
3- المصدر نفسه ، ص 94 .

للحضارة الغربية مستهلكة على الدوام ، خاضعة للذل و العبودية تحت سيطرة الغرب ». [1]

وهذه الفكرة نجدها عند مالك بن نبي ، فقد تكلم عنها في الكثير من كتبه ، فهو يرى كذلك أن الحضارة تقوم على الأفكار وليس على الأشياء « ... و المسلم بسبب عقدة تخلفه يرد هذه المسافة إلى نطاق الأشياء ، وبتعبير آخر يرى أن تخلفه متمثل في نقص ما لديه من مدافع ومصارف وطائرات و .... فلكي يصبح مركب النقص لديه فعّالا مؤثرا ، ينبغي أن يردّ المسلم تخلفه إلى مستوى الأفكار لا إلى مستوى الأشياء ، فإن تطور العالم الجديد يرتكز اعتماده على المقاييس الفكرية » . [2]

وعلى هذا الأساس يرى مالك بن نبي ، أن تغيير الوسائل والأدوات دون تغيير الفكر والوعي يؤدّي إلى التكديس وليس إلى بناء الحضارة « ... ولكن روح التكديس و "الشيئية " التي يجب التخلص منها ما انفكت مستمرة البقاء وهي قد تتبدى أحيانا تحت مظهر مشتط في الهزل ، و ذلك عندما نلاحظ - إذ نعبر العالم الإسلامي - أربعة أجهزة للتكييف الهوائي في مقصورة أحد رؤساء المصالح أوخمسة أجهزة هاتفية على مكتبه » . [3]

إن هذه هي المشكلة الحقيقية التي يعاني منها الإنسان المسلم ، فهو لم يستطع أن يتخلى عن تعلقه بالمادة ، ظانا أن المخرج الوحيد من التخلف هو باستيراد الوسائل والأدوات التي أنتجتها الحضارة الغربية المعاصرة « فالمشكلة التي تواجه الإنسان المسلم هي هذه نفسها فهي مشكلة الإنسان الذي يعيش عهد ما قبل الحضارة ، أي الإنسان الذي يجب وضعه أمام ضروريات نفسية قبل كل شيء ، تلك الضرورات التي تتطلب تغيير المعادلة الشخصية المعادلة التي تفرض عليه في حالته الراهنة منطق الأشياء ، فالمسلم اليوم يضع مشكلاته في حدود الأشياء ، أي الحدود التي لا تتسع لظروف الحياة المتغيرة ، بينما الأفكار وحدها تستطيع مسايرة ظروف كالظروف القاسية التي أحاطت ببناء الإقتصاد الألماني بعد الحرب العالمية الثانية ». [4]

1- علي شريعتي ، النباهة و الإستحمار ، ص 69 .
2- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة ،عبد الصبور شاهين ، ط4 ، دار الفكر ، دمشق ،(1404 ، 1984)، ص 15
3- مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، ط1 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، (1423،2002)، ص 50 ، 51 .
4- مالك بن نبي ،تأملات ، دط ،، دار الفكر ، دمشق ، (1406، 1986) ص56

وعليه فقيام الحضارة ، يأتي في المرحلة الثانية بعد بناء الإنسان الواعي ، الإنسان الذي أدرك ذاته ومجتمعه وتاريخه « فالإنسان هو الهدف وهو نقطة البدء في التغيير والبناء ومهما جرت محاولات تحديثية بواسطة الإستعارة أو الشراء للمصنوعات والمنتجات التقنية ، فإن هذه المحاولات ستكون عقيمة ، طالما أنها لم تبدأ من حيث يجب أي من تكوين الفرد » . (1)

فوجود الوعي النفسي شرط أساسي لقيام الحضارة ، وبغير هذا الوعي الصحيح لن تقوم أيّة حضارة وإن قامت فإنها لا تعمر كثيرا ، والإنسان الذي يسعى لامتلاك الحضارة بغير الوعي سوف يكون سعيه ابتعادا عن الحضارة و ليس اقترابا منها .

هذا عن دور الوعي النفسي في البناء الحضاري ، أما دور الوعي الإجتماعي أو ما يسميه مالك بن نبي شبكة العلاقات الإجتماعية ، فإن لها دورا كبيرا في إقامة أي حضارة « إن الحضارة نتاج حركة أبناء المجتمع بتوازن معنوي مادي ، إلى أهداف محددة تحقق ممارسة الدور لهذا المجتمع في تاريخ البشرية » . (2)

أما شريعتي ، فيعتقد أن هذا الوعي هو الذي يصنع الحضارة « هو الوعي الإجتماعي وحاسة إيجاد المثل ، والبحث عن الطريق والإستعداد الخاص للرؤية والهدى ومعرفة الحقيقة وهذه الحقائق ليست مجهولات علمية فلسفية وصناعية وفنية ، بل هي إدراك للواقع الإجتماعي والعصر والصعوبات وطريق الحركة والنجاة والكمال هذا وعي خاص ما وراء الأمور العقلية والفنية وفي نفس الوقت بنّاء للمجتمع وخالق للحضارة ومسبب للحركة والبعث الإجتماعي والفكري عند أمة ما ، ويمكن الآن الوصول إليه بقدر أو بآخر» . (3)

وهكذا تبرز لنا قيمة النباهة الفردية و الإجتماعية التي كان شريعتي يسعى لزرعها في المجتمع ، و ذلك لقناعته بأن باب الحضارة مسدود إلا بامتلاك هذا الوعي « الحضارة مرحلة فكرية و نفسية متعالية ، يجب أن يصل إليها المجتمع والإنسان ، أما التغيير الذي يحصل للإنسان والمجتمع فيجب أن يكون في الفكر والعقلية للإنسان والمجتمع ، حتى يمكنه

1- أحمد السحمراني ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، ص 203.
2- المرجع نفسه ، ص 146 .
3- علي شريعتي ، العودة إلى الذات ، ص 152 .

يمكنه أن يصل إلى تلك المرحلة الفكرية الحضارية ، لأن تغيير الوسائل دون تغيير العقلية والفكر الإنساني لا تحصل منها فائدة ، لأننا يجب أن نحصل على العقلية والفكر الذي يتعامل مع هذه الوسائل المتطورة ، وحينما نغير الوسائل بدون تغيير العقلية فإننا نكون قد غيرنا ذوق الإنسان ورغباته فقط » .[1]

« ولكن الحضارة مقولة أخرى، ولا يمكن أن توجد في الإستهلاك والمظهر والكماليات، بل توجد في الرؤية والفكر، والرؤية الكونية ، ودرجة التهذيب وعمق الإحساس والعلاقات الإنسانية والأخلاقية ونظام القيم ، وقوة الثقافة وغناها والدين والفن والإستعداد للخلق » .[2]

المبحث الثاني : مقولة الإستحمار ... و رباعية (الإستغلال، الإستعمار،الإستبداد ،و الإستعباد) .

تعد مقولة الإستحمار، من أهم المفاهيم التي استخدمها شريعتي في مشروعه الفكري الإصلاحي التجديدي ، وهو ينطلق من خلفية اطلاعه على الفكر الأوروبي الحديث ، بحكم دراسته في أوروبا عند كبار الفلاسفة والتقائه ببعض المستشرقين ومن ثمّة فهو على علم بالنوايا التي يكنّها الغرب للعالم الإسلامي ، ويعرّف شريعتي الإستحمار فيقول : « الإستحمار دافع لانحراف أو طلسمة الذهن وإلهائه عن الدراية الإنسانية والدراية الإجتماعية وإشغاله بكل حق أوباطل مقدس أو غير مقد س » .[3]

وعليه يعتبر شريعتي ، كل أدب أو فن أو فلسفة أو دعوة أو أيديولوجيا ، تكون خارجة عن نطاق الوعي الإنساني والوعي الإجتماعي ، فهو في حقيقته استحمار « لا بد من مقياس للتطبيق فعينان ونظرتان ودراية إنسانية ودراية اجتماعية وأي دعوة ودعاية وكلام وتقدم وحضارة وثقافة وقدرة ، تكون خارجة عن إطار هاتين الدرايتين ، فهي ليست إلا تخديرا

1- علي شريعتي ، تاريخ الحضارة ، ص 94، 95 .
2- علي شريعتي ، العودة إلى الذات ، ص 144 .
3- علي شريعتي ، النباهة و الإستحمار ، ص 108 .

للأفكار للإنصراف عن الإنسانية والإستقلال والحرية ، إنه تسخير للإنسان كما يسخّر الحمار ومن هنا أطلق على هذا العمل إستحمار » .[1]

« معنى الإستحمار تزييف ذهن الإنسان و نباهته وشعوره وحرف مساره عن النباهة الإنسانية والنباهة الإجتماعية ، فردا كان أم جماعة ، وأي دافع على تحريف ها تين النباهتين أو مايعد في طريقهما ، ما هو إلا وقوع في العبودية والذهاب ضحية لقوة العدو والإستعمار المطلق ، وإن كان عملا مقدسا وموضوعه مهم جدا » .[2]

« فالإستحمار لديه ، تزييف ذهن الإنسان ونباهته وشعوره وحرف مساره عن النباهة الإنسانية ، فردا كان أم جماعة ، فأي توجيه ودافع يفضي إلى سلب تينك النباهتين - عند شريعتي - دافع إستحماري، حتى ولو كان هذا الدافع من أكثر الأمور قدسية ، إن أي عمل يقع في طريق هاتين النباهتين ، ما هو إلا وقوع في العبودية ، بل إن أي مسألة تعرض فلسفية كانت أم علمية أم فنية ، وإن كا نت قضية تقدم مجتمع ، فإنها إن كانت عثرة في طريق النباهتين ، فإنها دعوة كاذبة عاقبتها الذل والعبودية لأنها ليست إلا تخديرا للأفكار » .[3]

أولا: الإستحمار القديم :

يقسّم شريعتي الإستحمار إلى قسمين ، إستحمار قديم و استحمار حديث ، و يرى أن الإستحمار القديم يقوم غالبا على الدين ، بينما يعتمد الإستحمار الحديث على الإلهاء والمعركة الإلهائية والتمويهية ، كاختلاق الخلافات والنزاعا ت الطائفية والدينية إذا فالإستحمار القديم يقوم على الدين ، هذا الدين الذي يطلق عليه شريعتي " الدين الإستحماري" و " دين ضد الدين " . ومن أجل أن يرفع اللبس عن هذه القضايا ، نجد شريعتي يتكلم عن الدين الحقيقي الذي يسميه " الدين الثوري " والذي يرى أن الإنسان لا يمكنه الإستغناء عنه كما تكلم عن الدين المقابل لهذا الدين وهو الدين التخديري والتبريري" دين ضد الدين "

1- المصدر نفسه ، ص 93 .
2- المصدر نفسه ، ص 100 ، 101.
3- عبد الرزاق الجبران ، مقدمة كتاب ، النباهة و الإستحمار ، ص 55.

كما تطرق شريعتي كذلك إلى السلطة الدينية ، أو رجال الدين ، ويرى أن الإسلام لا يقر بوجود ما يسمى برجال الدين .

1 - الدين الثوري :

يعبّر شريعتي عن الدين الحقيقي بالدين الثوري ، وذلك لما يبثه في نفس الإنسان من تمرد على مظاهر الضعف والإستكانة ، التي تجعل من الإنسان مخلوقا ضعيفا يخاف من كل شيء ، ويعبد كل شيء « إن الدين هو شعور ينبثق عن وعي الإنسان ومعرفته بنفسه ويدعو الإنسان إلى الكمال ، عن طريق تقديس القيم السامية ، من قبيل الجمال والخير والبصيرة واللطف والإبداع والإرادة والحرية والمعرفة والكمال والهداية والعزة والعدالة والحق ومناهضة الظلم والجهل والضعف والذل ... وتجتمع كل هذه القيم في إطار التوحيد الذي يعدّ أكثر الأمور الدينية شمولا ، في معبود واحد و هو الله تعالى عز و جل » .[1]

ولهذا كان شريعتي ، يهدف إلى تنقية الإسلام مما علق به من أمور جعلته عند كثير من الناس مبررا لتقاعسهم وغفلتهم ، في حين أن الإسلام دين يحمل الحياة والحركة والحيوية « ... لكنه تألم أكثر حينما وجد أن العقيدة الوحيدة القادرة على رفع تلك الآلام وسط التاريخ - و المتمثلة عنده في العقيدة الإسلامية - قد مسخت مفاهيمها وروحها مع التاريخ ، وتحولت من عقيدة باعثة ومحرّكة وصانعة إلى عقيدة مخدرة وراكدة ، و أنه إذا كان - الإسلام - هو الحل الوحيد لما هو كائن في الواقع ، من انهيار إنساني ، وهو الوحيد الذي يعرف ما يجب أن نكون عليه ونسير به ، فإن المسلمين هم المشكلة بما يسيرون به من أنساق ، يدّعون بها الإسلام ، ويعتبرونها جوهره وهو براء منها » .[2]

ولأجل هذا يدعو شريعتي ، إلى ضرورة التمسك بالدين عن وعي ودراية ، وليس عن طريق تقليد الآباء والأجداد «...إذا كان التمسك بالدين يتم على أساس الوعي ويتم على أساس العودة للجوهر والأصالة ، أي للحركة التي هزت التاريخ وبنت حضارة إنسانية خلقت قيم إنسانية جديدة ، إن تمسكا كهذا بالدين، من شأنه القضاءعلى عوامل الإنحراف و التجهيل

1- علي شريعتي ، دين ضد اللدين ، ص 152 .
2- علي شريعتي ، الإستناد للدين ، ص 208 .

التي سادت منذ قرنين أو ثلاثة ، حيث سلبوا قيمنا وإنسانيتنا ، وجعلوا جيلنا الجديد وعاء فارغ يصبون فيه ما يريدون، ويضعونه في القالب الذي يرغبون » . [1]

فالدين الحقيقي دين يورث الشعور بالمسؤولية « الدين الثوري ، هو دين يغذي أتباعه ومعتنقيه برؤية نقدية حيال كل ما يحيط بهم من بيئة مادية أو معنوية و يكسبهم شعورا بالمسؤولية تجاه الوضع القائم ، يجعلهم يفكرون بتغييره ويسعون لذلك فيما لم يكن مناسبا » . [2]

ويعتقد شريعتي ، أن الدين الثوري يتفادى تبرير الوضع القائم وإرجاعه إلى القضاء والقدر « إن السمة الأساسية لهذا الدين - الدين التوحيدي - أنه يتفادى تبرير الوضع القائم تبريرا دينيا ، ولا يؤمن بمدإ الرضوخ للواقع أو اتخاذ موقف اللامبالاة حيال ما يحيط به لاحظوا حركة الأنبياء ، سوف يتضح لكم أن الأديان التوحيدية خاصة في مراحل ظهورها الأولى أي فترة نقائها عن الشوائب والتحريف ، تتسم عادة بطابع رافض للوضع القائم ونزعة ثورة وتمرد على كل جور و فساد ، وهذا التمرد والطغيان يأتي متصاحبا مع العبودية والخضوع لموجد الكون، والإنقياد لقوانين الوجود التي تتجلى فيها الإرادة والقدرة الإلهيتان » . [3]

2 - **الدين التبريري** :

يرى شريعتي ، أن هذا الدين يهدف إلى إقناع الناس بضرورة الإذعان للأمر الواقع لأن هذا الواقع هو انعكاس الإرادة الإلهية المسيطرة على الوجود « يسعى دين الشرك دائما إلى تبرير الوضع القائم ، عبر ترويج المعتقدات ذات الصلة بما وراء الطبيعة ويسعى إلى تحريف الإعتقاد بالمعاد والمقدسات والقوى الغيبية ويشوه المبادىء العقائدية والدينية ليقنع الناس بأن وضعهم الراهن هو الوضع الأمثل الذي يجب أن يرضو به ، لأنه مظهر لإرادة الله تعالى و هو المصير المحتوم الذي كتبه الله عليهم » . [4]

1- علي شريعتي ، دين ضد الدين ، ص 40 .
2- المصدر نفسه ، ص ،41 .
3- المصدر نفسه ، ص41 ،40 .
4- المصدر نفسه ،ص42 .

« إن الدين الذي يبرر الفقر ويحرص على بقائه ، كأن يبرر العبودية أيضا وكأن يخدر الناس و يخدعهم لصالح الملأ والمترفين ، الدين القائل " إن الله لا يهتم بكظة ظالم وسغب مظلوم " يجعل من الشعور الديني ، مادة تخدير تعزل الناس عن المجتمع وتزهدهم في الأمور المادية لصالح أولئك الذين يستأثرون بها دون غيرهم ،إن الدين الذي أنكر دائما مسؤولية الناس وحقهم في تقرير مصيرهم وبرّر الوضع الظالم عبر التاريخ ، مستغلا بذلك معنوية الناس وشعورهم الديني القوي ، هو الذي كان يوحي للناس بأن الجوع والحرمان والمرض هو علامة على رضا الله ودليل على وجود الأهلية اللازمة للتكامل والكمال وهو الذي يفتح لكل شخص حسابا خاصا بالنسبة للاعتقاد بما وراء الطبيعة ... وهو الذي يسلب من الناس حق الحياة والتمتع والتملك والتحكم ، ويقوم بكل هذا من أجل الطبقة الحاكمة مستخدما بذلك الوعد والوعيد والتبرير » .[1]

ويرى شريعتي أن الدين يتحول إلى وسيلة استحمارية ، عندما يصدر عن جماعة تستغله من أجل الوصول إلى أهدافها ، وذلك بتحريفه وتزييفه « بعد انقضاء فترة الأنبياء العظام ، الذين بلغوا الدين واضحا وصادقا في ذروة الحقيقة ، وقع مصير الدين في أيدي قوات استحمارية مضادة للإنسانية تتسمى بأسماء كالطبقة " الروحانية " و الطبقة " الصوفية و طبقة " الرهبان" وطبقة " القسيسين " فاتخذوا من الدين وسيلة لاستحمار الناس،الإستحمار الفردي والإجتماعي ،لأن الدين يعتني ويهتم بكليهما وبالأخص الإسلام الحنيف ، الذي يشمل الدراية الإنسانية والدراية الإجتماعية والدراية الفردية » .[2]

فهذا الدين في نظرشريعتي هدفه تضليل الناس و إلهائهم عن واقعهم و صرفهم عن الإنشغال بالدنيا « و كلامي هنا يدور عن الدين الإستحماري الدين المضلل الدين الحاكم شريك المال و القوة الدين الذي يتولاه طبقة من الرسميين الذين لديهم بطاقات للدين، لديهم إجازات للإكتساب و فيها علامات خاصة تنبأعن احتفاظهم بالدين و أنهم من الدعاة ولكنهم

1- المصدر السابق نفسه ، ص 79 .
2- علي شريعتي ، النباهة و الإستحمار ، ص 109 .

من شركاء الإثنين المذكورين[1] ... كلامي يدور عن هذا الدين لأي شيء يسخر الناس كالحمير، أي يستحمرهم ؟ و ما الذي جعله أكبر و أقوى مستحمر في المجتمعات القديمة ؟ ماذا يفعل هذا الدين بالإنسان فيستحمره ؟ » .[2]

ثم يقدم لنا شريعتي الطريقة التي يقوم بها الدين المستحمر لاستحمار الناس ويرى بأن هذا الدين لايستطيع في حقيقة الأمر أن يسلب من الإنسان نباهته و وعيه و شعوره بالمسؤولية و إنما عمله يكمن في أنه ينقل الإنسان بالنسبة إلى الزمان و المكان و ذلك حينما يقول له : « دع الدنيا فإن عاقبتها الموت ، ادخر كل الحاجات و المشاعر و الأمنيات إلى الآخرة إلى ما بعد الموت ، ليس الفاصل الزمني بكثير ثلاثون أوأربعون أو خمسون سنة لا قيمة لها بعدها كل شيء تحت طوعك ... و تكون من أولئك الذين هم فيها خالدون إنها سنوات العمر القصيرة لا قيمة لها دع الدنيا لأهلها و يقصد بها نفسه و شريكيه الآخرين ».[3]

3- **المؤسسة الدينية** :

يعتقد شريعتي ، أن الإسلام لا يعترف بكيان رسمي اسمه رجال الدين ، وأن ظهور هذا النوع من السلطة في المجتمع علامة مرضية « وفي ضوء ذلك ، نجد أن الدين كان في بدإ ظهوره حركة ثورية تجديدية وفكرة إبداعية ، بات يتخذ لنفسه قالبا جامدا متحولا إلى مؤسسة لرجال الدين ، ذات نزعة محافظة ومتحجرة وينتحل صفة شرطي يدافع عن مظاهر الكبت والخنق والسكون والسلفية ويحارب كل قادم جديد » .[4]

إن علاقة الإنسان بربه في الإسلام ، علاقة مباشرة ، ليس فيها أي مجال للوسائط أو كيان رسمي يقوم بهذه المهمة- وصل الناس بخالقهم - « إن غاية الإسلام هي رفع الحواجز

1- أي أصحاب المال و القوة إشارة إلى السلطة الإقتصادية و السياسية ، أو بتعبيرات شريعتي العديدة عن هذا الثنائي الذي يشكل لديه مع الطرف الإستحماري طرف الصراع الدائر في التاريخ مذ بدأ و إلى أن ينتهي ، حيث يعبر عنهم مرة بفرعون ، قارون ، بلعم بن باعورا ، تأصيلا عن القرآن في علم الإجتماع الإسلامي ، الذي دشّن كثيرا من أبعاده و تارة أخرى بتعبير (الملك و المالك و الملاء) و أخرى ب (السوط والذهب و المسبحة) و غيرها . هادي ياسين ، هامش كتاب ، النباهة و الإستحمار ، ص 110 .

2- المصدر نفسه ، ص 111 .

3- المصدر نفسه ، ص 112 .

4- علي شريعتي ، معرفة الإسلام ، ص 62 .

والحجب بين الإنسان و ربه ، و بغية تحصيل هذه الغاية يضع الإسلام في أولياته مهمة إيجاد حلقة اتصال مباشر بين الطرفين ، وفي ضوء ذلك لا نرى مكانا في الإسلام لكيان رسمي متشكل من رجال الدين ، ولا مجال في هذا الدين لظهور سلسلة مراتب ومواقع يشغلها رجال الدين ، بحيث يكون قبول الأعمال العبادية والعقائدية للفرد المسلم منوطا بإذن من هؤلاء أو وساطتهم لدى الرب لمصلحة العبد » . (1)

وهذا لايعني أن شريعتي لا يعترف بفضل علماء الدين ، أو أنه ينتقص من قيمتهم بل العكس هو الصحيح ، فهو يقدر علماء الدين ويرى أن لهم مكانة كبيرة في المجتمع وإرشاد الأمة « إن علي شريعتي ، يميّز بين العالم الإسلامي و بين رجال الدين ، إنه يعترف بفضل علماء الإسلام ودورهم الهام في المجتمع، لكنه لا يجد لرجل الدين - الذي ليس بعالم إسلامي - أي دور في المجتمع سوى دور طفيلي و سوى احترافه للدين كوسيلة للعيش ولفرض الهيمنة الفكرية والمعنوية على الناس ، إن شريعتي يشيد بعلماء الإسلام من السنة والشيعة ويكنّ لهم احتراما كبيرا ... لكنه ينتقد تحول بعض رجال الدين إلى مؤسسة شبه رسمية تتولى الوصاية على شؤون الدين ، وتحاول أن تكون وسيلة بين الإنسان وربه ، ثم هي إمّا تلتصق بالسلطة السياسية الحاكمة وتخدمها ، وإمّا تشارك السلطة مع الحكام ، وإمّا تنعزل عن الصراع السياسي ، ولكن لتمارس دورها كمؤسسة دينية تفرض قيوداعلى الفكروحرية الإنسان » . (2)

ويستمد شريعتي حكمه من التاريخ ، فتاريخ الأديان يؤكد أن الدين يتحول إلى عامل تخديري واستحماري إذا وقع في أيدي أي سلطة تدّعي تمثيل الله في الأرض « يعود شريعتي لتاريخ الأديان فيبين أن من أهم عوامل انحراف و تعثر الرسالات السماوية وثورات الأنبياء كان تحول رجال الدين في فترات لاحقة إلى مؤسسة أو تحولهم إلى جزء مكمّل لمؤسسة القمع الحاكمة ، حتى قبل الرسالات السماوية إذ كان دائما يوجد " دين " ما وإن كان دين الشرك أو دين السحر، ويضرب على ذلك مثلا دور بلعم بن باعورا في النظام

1- المصدر السابق نفسه ، ص 62 .
2 - فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ص 61 .

النظام الفرعوني ، فيقول أن دوره كان مكمّل لدور فرعون وقارون ، وبعد ذلك وفي أماكن وعهود مختلفة تواصل هذا الأمر، ولعب رجال الدين دورهم في المثلث الحاكم - و يسميه شريعتي العنف الذهب و التزوير، أي السلطة السياسية والسلطة المالية والسلطة الدينية التي تدّعي تمثيل الله على الأرض - خصوصا وأن رجال الدين لعبوا دور التغطية الأيديولوجية والدينية للأنظمة الحاكمة » .[1]

وهكذا نجد أن ظهور المؤسسة الدينية ، كان بهدف استحمار وتخدير الناس وإلهائهم عن القيام بمسؤولياتهم الإجتماعية « يرى شريعتي أن الإطار الأبرز لعمل رجال الدين يقترب من ملامح الشعوذة والسحر والغيبيات ، وهو ابتذال وتشويه للإسلام وأسلوب تخديري ، وهو ما يفضي إلى عزل الدين عن الكفاح الإجتماعي و السياسي و حصر الإسلام بالعبادات و المراسم ، كما يرى أن هذا الأمر مقصود لديهم للتنصل من الواجب والمحافظة على مصالحهم ، مسميا هذا المسلك في خداع الجماهير ب " الإستحمار " تلك المقولة التي أضاء بها كثيرا من المناطق المعتمة في مسائل علم الإجتماع السياسي ، واعتبر هذا الإستحمار الذي يمارسه رجال الدين أكثروأعمق ضررا من الإستعمار في أثره السلبي ».[2]

«أعان شريعتي ، في وقوفه على هذه الإنحرافات التي انتهى إليها أغلب الدين السائد - دين ضد الدين - إضافة إلى كاشفية الواقع والخطوط العامة للإسلام وأهدافه تأسيسين داخلي وخارجي ، نسبة للقرآن من جهة فلسفة التاريخ ، فالتاريخ من جهة يعرض مسيرة الشعوب على شكل صراع ثنائي كلاهما يحمل الدين ، الدين الحقيقي والدين المزوّر لتخذير نفوذ الدين الحقيقي واستحماره ، ومن جهة اعتمد منهجه القرآني ، باستلال فلسفة التاريخ في الخطاب القرآني » .[3]

ثانيا : الإستحمار الحديث :

أراد شريعتي ، بدعوته إلى امتلاك النباهة الفردية والإجتماعية كشف مخططات التزوير التي تريد استحمار الإنسان وإلهائه عن دوره في بناء نفسه والمحافظة عل هويته واستقلاليته ، وعليه فهو يرى أن الإستعمار الحديث أصبح يعتمد بشكل مباشر على الإستحمار

1- المرجع السابق نفسه ، ص 56 .
2- عبد الرزاق الجبران ، علي شريعتي و تجديد التفكير الديني ، ص 208 .
3- المرجع نفسه و الصفحة نفسها .

« وجد شريعتي ، أن إشكالية العصر الراهن ترتبط بصورة مباشرة أو غير مباشرة ب " الإستعمار الحديث " بالدرجة الأولى وأن الآلية الأولى للإستعمار الحديث هو الإستحمار عينه ، ولكنه أغرب ابتكارا في الخفاء ، بل إن الإستحمار على حد قوله : قد بلغ إلى درجة من القوة والشياع في زماننا هذا لم يسبق له نظير على مر التاريخ ». [1]

ويعمل هذا الإستحمار الحديث ، على تغريب الإنسان الشرقي وذلك باحتقار عاداته وتقاليده ودينه وقيمه ، وكل ما يمت إليه بصلة « أي شيء عمل بنا الغرب ، نحن المسلمين نحن الشرقيين ؟ استحقروا ديننا ولغتنا وأدبنا وفكرنا وماضينا وتاريخنا [2] وأصلنا وكل شيء لنا استصغروه ، إلى حد حتى أخذنا نحن نستهزئ بأنفسنا أمامهم ، فقد فضّلوا أنفسهم وأعزوها ورفعوها إلى حد ، قد صدّقنا أن جهودنا جميعا وآمالنا ومساعينا ليست إلا تقربا ومماثلة وامتثالا وطاعة للإفرنج ، كي نستطيع تقليدهم في الأزياء والأطوار والحركات والكلام والمناسبات ، وبلغ بنا الأمر حتى أن المثقفين منّا ، يفخرون أنهم نسوا لغتهم الفارسية » . [3]

فهذه في الحقيقة ، وسيلة من وسائل الإستحمار الحديث ، فهو عندما يستحقر إنسانا فاقدا للوعي النفسي والوعي الإجتماعي ، يدفع بذلك هذا الإنسان إلى استحقار نفسه ، فيجد نفسه مضطرا إلى تقليد هذا الإنسان المستحمر والجري وراءه ، بتبني كل ما يمت إليه بصلة ونبذ كل ما يتصل بجنسه وحضارته بسبب عقدة النقص « فالعنصر الأفضل والشعب الأفضل وحتى الإنسان الأفضل ، يعمل على تحقير قوم أو شعب أو إنسان آخر للسيطرة عليه واستعماره ... يعمل على تحقير دينه وإيمانه وأدبه وفكره وكبار رجاله وماضيه ، وكل ما لديه ، فيفر المهان من تلك الأمور التي سببت إهانته والإستخفاف به ويلجأ إلى ذلك المصدر الذي شنّع عليه وأعابه ، ويخرج نفسه على شاكلته ، لئلا يقع في مسيرتهمه و تشنيعه » . [4]

1- عبد الرزاق الجبران ، مقدمة كتاب النباهة و الإستحمار ، ص 53 .

2- إلى ذلك يحيل شريعتي سبب ابتاق نزعة التغريب قي الشرق ، سيما في كتابه " العودة إلى الذات " و " المثقف و مسؤوليته في المجتمع " إذ سلب الشخصية مقدمة للسيطرة عليها ، في وادي الاستعمار ، إضافة إلى ما تفضيه من إحساس بالدونية المحتمة للارتماء في أحضان حضارات و ثقافات أخرى هربا من دونيته ، لذا كانت ظاهرة التغرب النخبوي بارزة جدا في دول العالم الثالث على هذا الأساس » . هادي السيد ياسين ، هامش كتاب النباهة و الإستحمار ، ص 87.

3- علي شريعتي ، النباهة و الإستحمار ، ص 87.

4- المصدر نفسه ، ص 87 ، 88

وقد أصبح الإستحمار الحديث يستخدم طرقا ووسائل متطورة ، فهو ليس كالسابق يلجأ إلى الحروب ويستخدم الوسائل والأدوات الحربية ، وإنما أصبح يقوم على درجة من الإبتكـــــار والخفاء لم يحدث مثلها من قبل وهو يقو م على أساسين اثنين :

« أولهما التجهيل : بتحريك الأذهان إلى الجهل والغفلة عن القضايا المصيرية .

الثاني الإلهاء : بإلهاء الناس عن الحقوق الكلية ، بالحقوق الجزئية بما يقع تحت فلسفة " الأهم والمهم" و" فقه الأولويات" بإشغال الناس في المهم دون الأهم ، و في الهامش دون المركز » .[1]

ويشير شريعتي ، إلى أن الإستحمار الحديث أصبح معززا بالعلم ، سواء العلوم الإنسانية ، مثل علم الإجتماع وعلم النفس ... أو بالعلوم التجريبية وما وصل إليه الغرب في مجال تكنولوجيا الإتصال ووسائل الإعلام الحديثة « كان الإستحمار في الماضي تابع لنبوغ المستحمرين وتجاربهم ، أما اليوم فقد أصبح معززا بالعلم ، بالإذاعة والتلفزيون بالتربيـــة والتعليم وبجميع وسائل الإعلام ، بالمعارض بعلم النفس الحديث بعلم الإجتماع بعلم النفس التربوي ، صار فنا مجهزا بالعلم ، دقيق جدا ، ومن هنا تصعب معرفته كصعوبة دقته ».[2]

إذا فأساليب الاستحمار الحديث خفية ، ولايستطيع الإنسان البسيط أن يتفطن لها، ولذلك يدعو شريعتي إلى ضرورة امتلاك الوعي و النباهة ، لتفادي الوقوع تحت وطأة هذا الإستحمار « إنه لمن سوء الحظ أن لا ندرك ما يراد بنا ، فيصرفونا عمّا ينبغي أن نفكر فيه من مصير مجتمعنا ، أو أفكر فيه أنا من مصيري كإنسان ، إلى أن نفكر في أشياء نحسبها راقية جدا وعظيمة ومشرّفة ، فيصيبون الهدف دون أن نشعر » .[3]

« إن المستعمرين لا يدعونك دائما لما تستاء منه ، فيثيرون انزعاجك فتنفرمنهم إلى المكان الذي ينبغي أن تصير إليه ، بل يختارون دعوتك حسب حاجتهم فيدعونك أحيانا لما تعتقده أمرا طيّبا من أجل القضاء على حق كبير ، حق مجتمع أو إنسان وأحيانا تدعى لتتشغل في أمرآخرفيقضون هم على حق آخر هو أولى » .[4]

1- عبد الرزاق الجبران ، مقدمة كتاب النباهة و الإستحمار ، ص 55 ، 56 .
2- علي شريعتي ، النباهة و الإستحمار ، ص 99 ، 100 .
3- المصدر نفسه ، ص 101 .
4- المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

ثم نجد شريعتي ، يصوّر لنا جلسة تجمع أقطاب الجهاز الإستحماري ، هذه الجلسة يدور النقاش فيها حول كيفية صناعة شخصية وعقلية ونفسية الإنسان المتخلف ، وذلك لتسهيل عملية استحماره ، وجعل بلدانه سوقا لترويج منتجاته الحضارية « ... كذلك أيضا أخذوا يصنعون الإنسان، يصنعون الجيل، تعقد جلسة يشترك فيها عالم النفس وعالم الإجتماع والمؤرخ وعالم الإقتصاد وأخصائي التربية والتعليم ، فيجلسون معا ويتذاكرون بينهم فيما لا يعوزهم ، ثروة تمدهم وقوة تساندهم :خططوا، سمعا و طاعة، ولكن أي إنسان تريدون؟ تفضلواكي نعمل . نريد في هذا المجتمع " الأفريقي أو الأسيوي أوالأمريكي اللاتيني " جيلا غير قديم وأن لا يكون أبلها يخضب رأسه بالحناء دائما ، ليس عندنا حناء لدينا أدوات الزينة و لوازمها ، نريد أن نوزّعها هناك فلا يبقى شيء منها ، نعم نريد جيلا لطيفا ظريفا ، جميلا عاريا من الشعور تماما طبقا للمقاييس العالمية، نعم هذا ما نريد لا أكثر ولا أقل.

- سمعا وطاعة للمولى، سيجهز بعد أربع سنوات فنضعه تحت تصرفكم .

وفجأة نرى منذ سنة "1945م " إلى "1955م" وخلال عشر سنوات نرى أدوات الزينة الأوروبية ولوازمها قد ارتفع مقدارها في طهران إلى خمسمائة ضعف ، الإحصائيات الدقيقة تشير إلى ارتفاعها بمقدار خمسمائة ضعف الأصل » .[1]

ثم إن شريعتي، تكلم عن الطرق والوسائل التي يستخدمها الإستحمار الحديث من أجل الوصول إلى أهدافه وغاياته وهذه الطرق هي :

1- المعركة الإيهامية:

يرى شريعتي ، بأن الحرب الإيهامية من الأدوات التي يستخدمها الإستحمار الحديث من أجل الإلهاء عن الدراية النفسية والإجتماعية ، والمعركة الإيهامية عبارة عن خلافات و نزاعات يزرعها الإستحمار من أجل صرف الناس عن الإهتمام بالقضايا المصيرية ويضرب شريعتي مثالا تاريخيا حدث في إيران فيقول :« في الفترة بين سنوات "1320هـ" و"1330هـ" للهجرة اختلقت ثمانية عشر إلى عشرين معركة في إيران من أجل أن لاتعرض

1- المصدر السابق نفسه، ص 92 ، 93 .

قضية شركة النفط على الأفكار والأذهان ، وفي القرن التاسع عشر الميلادي عندما بلغت نشاطات الاستعمار ذروتها ، ظهر سبعة عشر نبيا في فترة لا تزيد عن ثلاثة عشر سنة من الصين إلى بوشهرفي إيران،من أجل إلهاء البلا د الإسلامية وإشغالهاعمّاهوأهم من هذا ».[1]

ومن ثمّة يدعو شريعتي ، إلى ضرورة التعامل مع المشاكل الإجتماعية بوعي ونباهة وذلك بالنظر إلى جوهر المشكلة هل هي حقا مشكلة أم لا ؟ وهل هذا هو الوقت المناسب للتحدث فيها ؟ و هل الخوض فيها يلهينا عن قضايا أهم منها أم لا ؟ كل هذه الأمور يجب النظروالتمعن فيها قبل المباشرة في حرب لا فائدة منها ، وإلا وقعنا ضحية الإستحمار « حينما يقع اصطدام في مجتمع ما ، ينبغي أن ينظر إليه هل يرتبط بالدراية الإنسانية والدراية الإجتماعية أم بشيء آخر، كم من مسائل فكرية فقهية ودينية وغير دينية وفلسفية وعلمية ، تعرض الآن على الأفكار والأذهان بشكل كاذب و محرّف » .[2]

2- التخصص :

قد يسلب التخصص[3] من الإنسان النباهة النفسية والإجتماعية ، و ذلك بأن يحصر الإنسان نفسه في إطار تخصصه الضيّق ، و لا يلتفت إلى مجتمعه « كل واحد يسير في نهجه و تخصصه على نحو يغفل عن قضية المجتمع و مصيره... و هكذا التخصص فإنه يسبب انغماس الإنسان في إطار محدود و صغير جدا مجردا عن كل المجتمع بصورة يصعب لمس المجتمع كجسم واحد شامل و على هذا فإن التخصص يعدم الدراية الإجتماعية كما يعدم من الفرد إمكانية شعور الفرد بنفسه كإنسان مساهم في شتى أجواء الحياة و لكن لماذا يفضي إلى ذلك ؟ لأن التخصص يعمل على نمو الفرد من جهة واحدة و يعطله في سائر الجهات لكن هل التخصص أمر لازم و لا ينبغي أن يعدم إلا أنه في الوقت الذي نتخصص

1- المصدر نفسه ، ص 131 ، 132 .
2- المصدر نفسه ، ص 133 .
3- لا يريد شريعتي من نبذه لهذا الإتجاه " التخصص " الناحية الإيجابية منه في التوزيع المعرفي كما هو معروف في التطورات الأكاديمية للمنهج البحثي ، بمنح أكثر عدد من الأقسام للتخصص الواحد مما يفضي إلى السيطرة على تلك الأقسام و دقة الإحاطة بها ، و إنما أراد مسألة افتقاد النظرة الشمولية للحياة و الواقع و ما يدور فيهما فينحصر الفرد في جزء من الحياة ضمن اختصاصه بعيدا عن باقي الأجزاء لذا يستحيل بعدها إدراك الحقيقة لأنها تعيش في الكل لا في الجزء . هادي السيد ياسين ، هامش النباهة و الإستحمار ، ص 135.

في فروع مختلفة ، يمكننا أن نحفظ " كليتنا الإنسانية " و " كليتنا الإجتماعية " في عرض الدراية الإجتماعية والدراية الفردية في العقيدة » .[1]

3- العلم :

كما هومعلوم فإن العلم لا يراد لذاته ، وإنما يراد للعمل به ، إلا أن القوى الإستحمارية تهدف إلى إشاعة مقولات خاطئة ، منها العلم للعلم ، والفن للفن ، وغيرها ، وهدفها في ذلك قتل الفاعلية الحضارية التي تنتج عن هذه الأشياء « إن الوقوف على حقائق عالم الطبيعة والإطلاع على مظاهر الدنيا ، الذي هو مهمّة العلم ، يؤثر فينا على حد نجد الفراغ إلى المعرفة بالنسبة إلينا وإلى مجتمعنا يملأ كذبا ، يظن العالم أنه ذو نباهة بالنسبة إلى مجتمعه وإلى زمانه ،ولكن هذا وهم لأنه عالم لا غير والعلم من أجل العلم [2] أداة انحراف وضلال عن النباهة الإنسانية والنباهة الإجتماعية ... عندما نكون منشغلين في مطالعة أو اكتشاف أو اختراع فإننا نكون غريبين عن أنفسنا - أي نعدم النباهة النفسية - فلا نشعر نقع آلة بيد العمل ومن أجله ، وقد حصلت الحضارة والصنعة والعلم من مجموع تلك الحالات ، فحصولها كان في حالة ابتعاد الإنسان عن نفسه وعن التأمل في نفسه ، واستغراقه في شيء آخر ... ومن هنا فإن العلم يضرب " النباهة النفسية " و" النباهة الإجتماعية " » .[3]

4 - التجدد :

ويقصد به شريعتي اقتناء الوسائل الحضارية التي تغير حياة الإنسان في ظاهرها و تجعله يشبه الإنسان المتحضر و يرى بأن هذا التجدد قد يكون من الدوافع الإستحمارية لأن الإنسان الذي يعتاد شراء ما تنتجه الحضارة الغربية لا يفكر مطلقا في إتعاب نفسه من أجل الوصول إلى امتلاك التكنولوجيا و إنما يبقى طول حياته يقتات على منتجات الحضارة الغربية« يمكن أن تكون الحضارة و التقدم دافعا للإستحمار ففي المملكة السعودية مثلا نماذج

1- علي شريعتي ، النباهة و الإستحمار ، ص 135 ، 136 .

2 - يرفض شريعتي مقولة الشيء لذاته في كل مجالات الحياة ، سيما مع مفاهيم الدين ، فقيمة الشيء لديه بقدر عطائه و فعاليته ، وهكذا كان مع كل المفاهيم التي تطرح أيديولوجيا ، لذا تنبه شريعتي إلى أن خطى الإستحمار الحديث تقوم على إشاعة مثل هذه المقولات في الفن و العلم و الأدب و غيرها لتفريغ تلك الموجودات الحضارية من فعاليتها و بالتالي النهاية مع العبث و الفوضوية . هادي السيد ياسين ، هامش النباهة و الإستحمار ، ص 136 ، 137 .

3- المصدر السابق نفسه ، ص 136 ، 137 .

كثيرة من هذا التقدم الإستحماري فا لعربي البا ئس هناك سائق سيارة ثمن سيارة الكارديلاك هناك 22000 ألف تومانا لكنها في أمريكا 3000تومانا » . [1]

«... إن هذا الفخر والفخفخة ليسا سوى " الحضارة الإستهلاكية " ويجدر أن أقول لكم أن هذه الحضارة الإستهلاكية هي أسوء وأقبح من الوحشية والهمجية ، نعم إن الذي يتحضر في الإستهلاك فقط ، فإنه دون الوحشي لماذا ؟ لأن الوحشي لا يعدم الأمل في تحضره عن طريق الإنتاج لكن المستهلك من إنتاج الغير يعدم الأمل به طبيعيا » . [2]

5- الحريات الفردية :

يعتقد شريعتي ، بأن الصيحات التي تتعالى وتنادي بالحريات ، ما هي إلا صيحات استحمارية ، هدفها عزل كل فرد عن مجتمعه ، وبالتالي يصبح فاقدا للنباهة الإجتماعية ومن ثمة يكون من اليسير استحماره واستغلاله « الحرية الفردية أداة تخدير كبرى لإغفال الحرية الإجتماعية ، حيث النباهة الإجتماعية ذات الأهمية الكبرى ، إنهم ينادون بالحرية الفردية ويدعونك لها من أجل تمويه الأذهان والغفلة عن النباهة الإجتماعية ، حيث يرى الإنسان نفسه حرا من الناحية الفردية في غذائه وشهواته ، كقفص فيه طير وقد و ضع في صالة مغلقة تماما ، ثم فتح باب القفص ، إنه شعور كاذب بالحرية ... لأن الأسير الذي يعلم أنه مأسور يحاول أن يطلق نفسه ويتحرر من الأسر ، بينما الذي لا يعلم أنه أسير ويشعر بالحرية ، فشعوره وهم و كذب ، وهو يشكر الله ويحمده على تلك الحرية الكاذبة » . [3]

6- حرية الجنس :

من الوسائل التي أصبح يعتمد عليها الإستحمار العالمي ، الحرية الجنسية ، التي تدعو إلى الغوص في الملذات والشهوات ، وإشاعة الجنس بلا قيد ولا مانع ، وهذه الدعوة تكون موجهة إلى الشباب في الغالب الأعم ، لأن الشباب هو نقطة القوة لأي مجتمع ومحور الإرتكاز الذي يعتمد عليه أي مجتمع من أجل نهوضه ورقيه « ... تأتي أجهزة الدعاية والمواصلات الجماعية في الشرق ، لتؤكد وتدعو إلى الحرية الجنسية عند جيل يتراوح سنه

1- المصدر السابق نفسه ، ص 139 .
2- المصدر نفسه، ص 140 ، 141 .
3- المصدر نفسه ،ص143 .

بين 18 و 25 سنة. وعلى هذا رأى الغرب أن من اللازم عليه أن يلهي هذا الجيل ويشغله بالحرية الجنسية ، و في اعتقاده أن هذا الجيل يتعرض لحالتين من الإضطراب : أحدهما من أجل الحرية الإجتماعية ، والثانية حالة الإضطراب والتشويش الناتجة عن الأزمة الجنسية ، وهكذا رأى الغربيون أنه من الأحرى إفساح المجال أمام هذا الجيل في حرية الجنس، ليعدموا منه الشعور بالحاجة إلى الحرية الإجتماعية » .[1]

ويعتبر شريعتي ، أن أكبر منتجات هذه الحضارة الغربية التي قضت على إنسانية الإنسان وقيمه ومبادئه النزعة الجنسية « إن أكبر المنتجات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ، التي أوجدتها هذه القوة ، لتكون بديلا عن جميع القيم والمثل والحريات الأخرى ، هي النزعة الجنسية التي ابتدعها فرويد [2] ولهذا السبب كانت السمة العامة التي طبعت الفن العالمي والسينما في فترة مابعد الحرب العالمية الثانية » .[3]

7- حرية المرأة :

يعتبر شريعتي هذه الدعوة - حرية المرأة - داخلة في الحرب التمويهية ، فالمرأة في حقيقة الأمر ليس لها مشكلة خاصة بها كإنسان ،وإثارة مثل هذه الدعاوى يدخل في إطار صرف العقول عن الاهتمام بالقضايا الكبرى ، وجعلها أسيرة مسائل وقضايا لا تعد في حقيقة الأمر إشكاليات أو قضايا تستأهل أن تأخذ كل هذه الضجة الإعلامية ، وهذه السنوات الطويلة من الأخذ والرد « ماذا يقصد بحرية المرأة ؟ القصد ، الحرب التمويهية ، من أجل الإثارة وفتح باب الجدل والاختلاف بين الرجل و المرأة ، وإلهائها عن الأساسيات من القضايا العادلة عن حقوقها ، عن مشكلة الشرق و الغرب ،عن مشكلة المستعمرين والخاضعين للاستعمار... » .[4]

1- المصدر السابق نفسه ، ص 144

2 - فرويد: سيغموند فرويد (1856م. 1939م) طبيب وأخصائي أمراض عصبية وطبيب أمراض عقلية نمساوي يخضع جميع الأحوال العقلية وجميع أفعال الناس وأيضا جميع الأحداث التاريخية والظواهر الاجتماعية للتحليل النفسي . بمعنى أنه يفسرها على أنها مظاهر للحوافز اللاشعورية الجنسية . أنظر الموسوعة الفلسفية، ص 331 .

3 – علي شريعتي ، مسؤولية المرأة ، تر ، خليل الهنداوي ، ط ، دار الأمير . لبنان (2006، 1426) ص23 .

4- علي شريعتي ، النباهة و الإستحمار ، ص 145 .

ومن ثمّة إن الذي يمنع المرأة من حقوقها ، يكون قد ساهم بصفة مباشرة في هذا المخطط المقيت ، الذي يستغل هذه القضية من أجل القيام بعمله الأساسي وهو الإستحمـــارو الإستغلال و الاستعباد ... فهو عندما يدعو المرأة إلى الخروج من بيتها يساعده هذا الذي يبدو وكأنه عدو له في الظاهر ، من خلال حرمان المرأة من حقوقها الإنسانية والدينية وتكبيلها بالقيود والأغلال ، مما يدفعها إلى الانطلاق خارج البيت وتلبية دعوته واللجوء إليه وهذا أفضل معين له في العالم كله ». [1]

« إن مكافحة هذا الوباء الخطير : لا يتم بواسطة التعصب المقيت وتكبيل المرأة بقيود وأغلال تعود إلى تقاليد بالية ،وإنما السبيل إلى ذلك يتحقق فقط من خلال إعطاء المرأة حقوقها الإنسانية والإسلامية ، إذا منحنا المرأة حقوقها الإنسانية والإسلامية نكون قد أعددنا أفضل عنصر قادر على مجابهة هذا الهجوم ، وإذا منعناها حقوقها نكون قدمنا أجلّ خدمة لهذه الدعوة المشئومة ، ونكون قد أخرجناها من هذا الطريق ، إلى الطريق الآخر الذي تزينه لها هذه الدعوة » . [2]

1- علي شريعتي ، مسؤولية المرأة ، ص 26 .
2- المصدرنفسه ، ص 26 ، 27 .

المبحث الثالث : المثقف بين النباهة و الإستحمار:

قضية المثقف قضية حساسة جدا ، وعلى جانب كبيرمن الأهمية ، ولهذا خصّص شريعتي لهذا الموضوع كتابا وضعه تحت عنوان :" مسؤولية المثقف " تكلم فيه عن ظهور المثقف في المجتمعات المتقدمة والمتخلفة ، وتكلم كذلك عن المثقف الأصيل الذي يمتلك النباهة النفسية والإجتماعية ، وعن المثقف المقلد ، الذي وقع في أيدي القوات الاستحمارية فأصبح أداة من أدوات الإستحمار ، وبوقا في يد المستحمر، ثم تحدث عن مسؤولية المثقف تجاه مجتمعه .

أولا : المثقف صاحب النباهة :

المثقف صاحب النباهة ، هو الذي تتوفر فيه عدة صفات « وما لم يعرف المثقف نفسه فلن تتيسر له معرفة مجتمعه ، ولن يستطيع أن يقوم بالرسالة التي كان يدّعيها لنفسه أي أنه على المفكر - أينما كان - أن يعلم الخصائص التي تميزه ، وفي أيّة ظروف تاريخية واجتماعية نشأ ، وإلى أين تمد خصائصه هذه جذورها ، وبعدما يقوم المفكر بتحليل ذاته يستطيع أن يعرف مجتمعه ، ويسلك الطريق الذي ينبغي له أن يتقدم فيه » .[1]

ويعبّرشريعتي عن هذا المثقف الذي يملك النباهة ، بالمفكر المستنير، وهو يقصد بذلك « هو مفكر قد بلغ " الوعي " و بالتالي فهو ذو رؤية شاملة منفتحة ومتطورة وقدرة على إدراك أوضاع العصر والمجتمع وتحليلها منطقيا، وذو إحساس بالارتباط التـــاريخي والطبقي والقومي والبشري ورؤية واتجاه إجتماعي محدد ، ولابد له أيضا من إحساس بالمسؤولية ، وهي وليدة نفس ذلك الوعي الإنساني الخاص ، الوعي بالذات والوعي بالعالم والوعي بالمجتمع ، وهذا الوعي هو أسمى ميزة في النوع الإنساني وهو أكثر تجليا فيمن نضجوا من أفراد ، هذا الوعي ليس فلسفة أو علوما طبيعية وإنسانية أو فنونا أو صناعات وآدابا أو بقية الفروع والتخصصات الأخرى ، هو نوع من الوعي الأيديولوجي أوبتعبير القدماء نوع من الاستعداد للهداية وشعور بالنبوة وحاسة القيادة » .[2]

1- علي شريعتي ، مسؤولية المثقف ، ص 47، 48

2- علي شريعتي ، العودة إلى الذات ، ص 150 .

« وبالتالي فإن المثقف الحقيقي هو ذلك الفرد المرهف الحس والمنبعث من حركة المجتمع وتطوره الفكري والمعرفي والمادي ، أي صاحب المعاناة الكلية التي تعيشها مختلف طبقات الشعب ، أي المنتمي إلى الأمّة والمنحاز إليها في مختلف الظروف لا سيما في لحظات التحول الكبرى ، أو ساعة يحمى الوطيس ويصبح مطلوبا للكلمة أن تفعل فعلها فيبرزهو باعتباره الأكثر تجدرا ، والأرهف حسا ، والأعمق غوصا ، فيلوح بالكلمة الفصل » . (1)

ثانيا : المثقف المستحمر.

المثقف المستحمر في نظر شريعتي هو مثقف فاقد للوعي النفسي والوعي الإجتماعي هو مثقف فاقد للصلة بجذوره التاريخية والحضارية ، هو مثقف مفرط في مسؤوليته الإجتماعية ، وهو علاوة على كل ذلك أداة في يد الإستحمار « ... ها هنا جاء دور الإستحمار ، ليدور بحماره أصقاع الوطن الإسلامي ، يتقدمه من يسمى بالمستنير ، آخذا بلجام المستحمر يدور به حيث يشاء ويدله على من يريد ، بذريعة الرغبة بالتجديد والخلو من التطرف والتعصب حيال كل ما هو تقليدي ومحلي ، جامعا حوله قطعانا من المنبهرين بالقادم الجديد ، زارعا عبوات التقليد للأجنبي والانقياد له ، مناديا أيّها الملأ صيروا إفرنجيين من هام الرأس إلى أخمص القدمين » . (2)

« إن الإستعمار لا زال في حاجة إلى أقلام يكتب بها ، وإلى أبواق يتكلم بها ، حتى لا يعرف خطه ولا صوته عندما يخادع الجماهير الطيبة ، وهذا يعني أن الأرضة المتعلمة لا زالت منتشرة في البلاد الإسلامية على وجه العموم ، وقد عرفنا منها أصنافا بالجزائر على وجه الخصوص ، إن هذا النوع من الحشرات لا ينقطع ما دامت ثقافتنا تفقد المبدأ الأخلاقي المهيمن على سلوك المثقفين » . (3)

وليبين لنا شريعتي ، طريقة صناعة المثقف من قبل الدول الإستحمارية ، يذكر نصا لجون بول سارتر أورده في كتابه " المنبوذون في الأرض " يقول فيه : « كنا نحضر رؤساء

1- محمد صادق الحسيني ، المثقف الحقيقي ، مجلة الكلمة ، العدد 4 ، السنة الأولى ، (1994 ، 1415) ص 115 .
2- علي شريعتي ، معرفة الإسلام ، ص 24 .
3- مالك بن نبي ، في مهب المعركة ، ص 89، 90 .

القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة ، من أفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس ، فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الإجتماعية ويرتدون السترات والسراويل ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو والإستقبال والإستدبار ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا وكنا ندبر لبعضهم أحيانا زيجة أوروبية ، ثم نلقنهم أسلوب الحياة ضمن أثاث جد يد ... كنا نوحي لهم في أعماقهم الرغبة في تغريب بلادهم ، ثم إننا كنا واثقين من أن هؤلاء المثقفين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها ، غير ما وضعناه في أفواههم ، ليس هذا فحسب ، بل إنهم سلبوا حق الكلام من مواطنيهم ، هذا هو دور المفكر الذي يأخذ الشكل الأوروبي ويمثله في الدول الإسلامية دور " دليل الطريق " للإستعمار في البلاد التي لم يكن يعرفها أو يعرف لغتها » .[1]

ومن الطرق التي يستخدمها الإستحمار، الإرساليات التعليمية ، حيث يقوم باستقطاب الحاصلين على الشهادات الجامعية لإتمام دراستهم في الجامعات الغربية ، ثم يقومون بإعادة صياغة أفكارهم وعاداتهم ومبادئهم عن طريق « محاصرتهم في مختلف الجوانب العلمية والحياتية وفي المحاصرة العلمية يوجّه الغزاة الدارسين لديهم لأن يتخصصوا في أنواع من الدراسات ضررها أكثر من نفعها ، ومن أمثلة ذلك توجيه الدارس لدراسة الداروينية الملحدة أو لدراسة الفلسفات المادية الملحدة ، كوجودية جون بول سارتر ، أو لدراسة الآداب الغربية المختلفة ، أو لدراسة تاريخ أوروبا أو لدراسة العصور القديمة و جاهليتها ... ومن نماذج هذا التوجيه توجيه بعض الدارسين لتحضير رسالة في الشذوذ الجنسي في الأندلس ، لنيل شهادة الدكتوراه ، أو لتحضير رسالة في المغنين و القينات في العصر العباسي أو رسالة في تصوف الحلاج و آرائه في وحدة الوجود أو نحو ذلك ».[2]

وعلى هذا الأساس ، يوجّه شريعتي انتقادا لاذعا لأولئك الذين يظنون أنهم مثقفون مستنيرون وأنهم يهدفون إلى البلوغ ببلدانهم إلى مستوى الحضارة الغربية ، و ذلك لأن

1- علي شريعتي ، مسؤولية المثقف ، ص 115 ، 116 .
2- عبد الرحمان حبنكة الميداني ، غزو في الصميم ، ط 4 ، دار القلم ، دمشق ، (1417 ، 1996) . ص 72.

التقليد الأعمى في نظره ،لا يبني حضارة وإنّما يؤسس وينمّي الروح الإستهلاكية فقـــــط « ... لا يمكن أن يظهر المثقف أبدا عن طريق الترجمة والنسخ و التقليد ، يمكن أن يصبح متعلما أو طبيبا أو مهندسا أو معماريا، وليس مثقفا ، إن المفكر هو إنسان يفكر بطريقة جديدة وإن لم يكن متعلما ، وإن لم يعرف الفلسفة ، فعسى أن لا يعرفها ، وليس فقيها ولا يهمّ ، لكنه يحس عصره ويفهم الناس ويفهم كيف يفكر الآن ويفهم كيف ينبغي له أن يحس بالمسؤولية وعلى أساس هذه المسؤولية يكون مستعدا للتضحية » . (1)

« ترى ما هو عمل أعظم المفكرين ، والكتّاب و المترجمين وذوي المواهب عندنا إنه تخريب ذواتهم والقضاء عليها والتظاهر بوجود آخروالإتجاه إليه ، هذا هو دور أعظم المواهب وأعظم الكتّاب والمترجمين والشعراء والفلاسفة والفنيين ومن تربوا في الخارج فكل همّ متعلمينا الجدد هو تخريبنا والقضاء علينا كبشر ذوو أصالة » . (2)

وسبب خطأ هؤلاء المثقفين ، هوعدم فهمهم لقضية مهمة جدا ، وهي أن القوانين الإنسانية والاجتماعية لا تشبه القوانين العلمية ، فالقانون الفيزيائي مثلا يصلح قانونا في أوروبا وأمريكا وأفريقيا وفي كل مكان ، لكن القوانين الإنسانية تختلف عن هذا ، فما يصلح في أمريكا لا يصلح بالضرورة في أوروبا وهكذا ، وهذا ما أطلق عليه شريعتي اسم "جغرافية الكلام " حيث يقول « هناك كلام يصح في مكان ما ، لكن يكون باطلا في مكان آخر ، وهناك عامل ما ، أو مدرسة فكرية ما ، أثمرا في مكان ما ، وحدة و حرية ، لكنهما في مكان آخر يطرحان من أجل القضاء على الحرية ... وحينما نسمع رأيا ما ، في قضية إجتماعية صحيحة كانت أو باطلة ، علينا أن نرى في أيّة بيئة تطرح هذه القضية ، فلا توجد قضية أبدا غير مرتبطة بهيكل أبعاد المجتمع الذي طرحت فيه و بنيته » . (3)

ثالثا : مسؤولية المثقف :

يرى شريعتي أن مسؤوليات المثقف عظيمة نحو مجتمعه ، فيجب عليه أن يغرس في المجتمع العلم والمعرفة ، وعليه أن يغيّر القيم والمبادىء الجامدة وأن يقضي على أسباب الضعف و التقهقر والتراجع« ...أعظم مسؤولياته منح بني البشر الوديعة الإلهية الكبرى أي

1- علي شريعتي ، مسؤولية المثقف ، ص 115 .
2- المصدر نفسه ، ص 123 .
3- المصدر نفسه ، ص 80، 81 .

المعرفة والوعي ، وذلك لأن الوعي يبدّل الجماهير الضعيفة الراكدة ، إلى مرجل بناء في حالة هيجان ولأن الوعي هو الخلاّق للعبقريات العظيمة والقفزات الواسعة ، وبعد أن تستيقظ الحضارات والثقافات والأبطال العظام من قلب الوجدان ينهض المجتمع » . (1)

ويعتقد شريعتي ، أن المهمة العظمى التي يجب على المثقف أن يكرّس فكره ووقته من أجلها،هي كشف أسباب الضعف والتأخروالإنحطاط داخل المجتمع « وأعظم مسؤوليات المثقف في مجتمعه ، هي أن يجد السبب الأساسي والحقيقي لانحطاط المجتمع ويكشف السبب الأساسي للركود والتأخر والمأساة بالنسبة لمواطنيه وبني جنسه وبيئته ، ثم يقوم بعد ذلك بتنبيه مجتمعه الغافل الغائب عن الوعي إلى السبب الأساسي لمصيره وقدره التاريخي المشئوم ، ويبدي لمجتمعه الحل والهدف وأسلوب السير الصحيح الذي يلزمه من أجل أن يتحرك ويتخلص من هذا الوضع ويحصل على الحلول اللازمة لشعبه على أساس إمكانياته واحتياجاته وآلامه ، وعلى أساس الثروات الموجودة في مجتمعه ... ويقوم المفكر بنقل المسؤولية التي يحسها هو وطائفة المفكرين المحدودين ، إلى السواد الأعظم لمجتمعه » . (2)

وهذا لا يكون إلا إذا تواضع المثقف ونزل إلى مجتمعه واطلع على واقع الناس « وهنا ينبغي للمثقف أن يتواضع ويهبط من أبراجه الفكرية وتنظيراته ، ليعيش واقعه بصدق ويلامس عن قرب من حوله في نظرة تحترم هؤلاء الناس ، وتميّز بين السيئ والحسن في حياتهم ، وتوفق بين ما ينبغي الحفاظ عليه وما يتطلب المراجعة والتأمل ، دون التقوقع في قوالب أيديولوجية ضيقة » . (3)

ومن مسؤوليات المثقف أن يربط بين الفكر والممارسة،وأن يبتعد عن الفكر الذي يبعده عن الممارسة ويجعله حبيس الجدال والترف الفكري« ... لذا فإن المثقف الذي يعي بأن التركيز على فكرة معينة أو الإستناد لها يبعده عن الممارسة العملية ، ينبغي عليه - إذا كان منصفا ودقيقا - أن يميّز بين فكر مثالي من الأساس ، مع فكر نهج للعمل وهاديا للممارسة

1- المصدر السابق نفسه ، ص 126 .
2- المصدر نفسه ، ص 129 ،130 .
3- ماهر اليوسف ، المثقف و الآفاق المتعددة ، مجلة الكلمة ، العدد 5 ، السنة الأولى ، ص 148 .

ولكن أسلوب التعامل معه والإستناد إليه ، يوقعنا في الخطأ ويحرفنا عن مجال الممارسة » . [1]

« فالعمل هو حركة نورها الكاشف ، هو الفكر المستنير الملتزم والفكر بهذا المعنى هو فهم وتفهم ، مصدره الإنسان ومن أجل الإنسا ن وربط العمل بالفكر والفهم والحركة مع الإنسان ، هو بحدَ ذاته البناء المنجز بوعي أبناء المجتمع ، لتاريخ المجتمع وكل ذلك ينتج الشخصية الحضارية المستقلة ، وإلا إذا بقي الفكر في الإطار النظري فسيكون عديم الفائدة يحمل في بذرته موته ، فالفكر المحوّل إلى عمل هو التاريخ المشرق لأمة من الأمم » . [2]

وعلى هذا يجب على المثقف ، أن يعتمد على الفكر المقرون بالممارسة ، وذلك لكي يستطيع أن يجد له مكانا في مجتمعه وفي أمته « هنا نصل إلى تأكيد نفس الحقيقة أي ضرورة الإستناد إلى فكر ملتصق بالممارسة وهاد لها ، وبأن نستند إليه بحيث لا يجعلنا نبتعد عن العمل ونصبح أسر الخيالات والجدال اللفظي والشؤون الذاتية ، أو نصبح مهوسين بتلك الفكرة ومقيدين بالتعصب الفكري والعقائدي الأعمى ، مما يشل قدرتنا على التفكير الصحيح فنضيع الفكر والممارسة معا ، أمَا الطريق الصحيح فهو يقودنا إلى اعتماد واع على الفكر، على فكر يصبح لهيبا يدفع الممارسة للأمام ويهديها بنوره » . [3]

ومن المسؤوليات التي يرى شريعتي ، أن على المثقف المسلم أن يقوم بها ، مسؤولية تنقية الإسلام مما علق به ، من أمور ليست منه ، والتي كانت في كثير من الأحيان تعمل على تشويه صورته داخليا وخارجيا ، وهو يدعو المثقف كذلك أن لا يقف ضد الدين ، لأنه في مجتمع متدين ووقوفه ضد الدين يجعل الناس ينفرون منه « ومن هنا ينبغي على المفكر عندنا أن يفهم أن الروح الغالبة على ثقافته هي الروح الإسلامية ، وأن الإسلام هو الذي صنع تاريخ مجتمعه وحوادثه وقاعدته الأخلاقية ونقاطه الحساسة ، وإذا لم يدرك هذه الحقيقة الواقعة ـ كما فعل أغلب مفكرينا ـ فسوف يسقط ضحية لجوه المصطنع المحدود و إذا

1- علي شريعتي ، الإستناد للدين ، نقلا عن فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ص 196 .
2- أحمد السحمراني ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، 194 .
3- المصدر السابق نفسه ، ص 199 .

اعتبر نفسه مجردا من العقائد الدينية ، وتنفس في جو أوروبا القرن التاسع عشر والعشرين فسوف يسقط فريسة للخطأ في معرفته بالناس وتفاهمه معهم ، ولن يقع منهم موقع القبول » . [1]

فعلى المثقف ، أن يدرك أن الصورة التي لا تعجبه من الدين ، هي من صنع القوات الإستحمارية التي استغلت نزعة التدين عند الناس لاستغفالهم وإشغالهم عن القضايا المهمة في حياتهم ، ومن ثمَة يتصدى المثقف لتلك القوى الرجعية ولا يدخل في معركة ضد الدين « وينبغي على المفكر ، أن يدرك وأن يعلم أن القوى الرجعية المنحرفة - التي كانت دائما معادية للبشر تمتطي كواهلهم وتسيطر على مصائرهم - استخدمت الدين كسلاح بتار لخداع الناس وصرف أحاسيسهم عن مصائرهم الحالية ، وحصرهم فيما يتعلق بالماضي » . [2]

خاتمة الفصل :

إن موضوع النباهة والإستحمار، على جانب كبير من الأهمية في فكر علي شريعتي وفلسفته ، فهو يهدف إلى بناء إنسان واع ومدرك للنباهة النفسية والإجتماعية وذلك لكي لا يسقط فريسة في أيدي القوات الإستحمارية ، التي تريد استغلاله واستعباده بشتى الطرق والأساليب ويستند شريعتي في كشفه لهذه النقاط على فلسفة التاريخ وعلم الإجتماع ، واطلاعه كذلك المعمّق على الفكر الغربي .

1- علي شريعتي ، مسؤولية المثقف ، ص 136 .

2- المصدر نفسه ، ص 139 .

الفصل الثالث : العودة إلى الذات و بناء الأيديولوجيا

- تمهيد .

- المبحث الأول: لماذا العودة إلى الذات ؟

- المبحث الثاني: إلى أي ذات نعود ؟

المبحث الثالث: النظرة الكونية و بناء الأيديولوجية .

- خاتمة الفصل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

في ظل التحديات التي يمر بها الإنسان المسلم ، من صيحات تتعالى بالدعوة إلى التغريب وتطبيق المناهج الغربية في جميع شؤون الحياة ، وإنكار الذات والذوبان في الآخر وفي ظل مخططات الغزو الفكري ، الذي يهدف إلى طمس شخصية المسلم ، وعزله عن لغته ودينه وتاريخه وحضارته ، حتى يصبح مسخا بلا هوية ، وبذلك يسهل استحماره واستغلاله واستعباده ، يطرح شريعتي قضية العودة إلى الذات .

فماذا يقصد بالعودة إلى الذات ؟ وإلى أي ذات نعود ؟ وما هو الإسلام الأيديولوجي ؟ .

المبحث الأول : لماذا العودة إلى الذات ؟ :

يرى شريعتي أن العودة إلى الذات ، هي الحل الوحيد أمام الغزو الفكري ، الذي يجتاح الأمة الإسلامية ، ومحاولات مسخ الهوية ، ودعوات التغريب ، والجمود على التقاليد البالية « فمن أجل الخلاص من هذه القوالب المزيفة ، هذه القوالب التي تفرغ روحنا وتمسخنا نحتاج العودة إلى ينابيع تراثنا ودينا ، كي ننهل من أفكارنا وقيمنا ، ونحيي روحها الجهادية ونحيي الأفكار حول الوحي والشهادة ونور الله ، وعندها ننهل من هذا المخزون الهائل من الثروة الروحية والإنسانية ... نستطيع مواجهة الفراغ و الإغتراب، ونسترجع هويتنا الحقيقية هويتنا التاريخية والإنسانية التي تشوّه وتزيف باستمرار » .[1]

أولا : الاغتراب عن الذات :

يرى شريعتي، أن المصيبة الكبرى التي نعاني منها ،لا تكمن في تحول العوام وضعاف العقول إلى متشبهين ومقلدين للغرب ، وإنما الكارثة العظمى هي تحول حملة الفكر والوعي إلى دعاة للتغريب ، وإلى معاول تهدم الخصوصية الثقافية والتاريخية والحضارية لأمتنا « ليست مصيبتنا الكبرى ، في تحول العوام المستهلكين إلى متشبهين وليست حتى في تحول متعلمينا وحملة الشهادات المتخصصين عندنا في الأعمال حديثة الظهور إلى متشبهين ، المصيبة الكبرى ، هي تحول المفكرين المستنيرين ، أي المفكرين الذين في أيديهم قيادة الأفكار والروح والثقافة والإيمان في المجتمع، أولئك الذين حلوا محل علمائنا

1- علي شريعتي ، الإسلام الذين ، نقلا عن فاطمة رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ص ، 208

الدينيين، و أولئك الذين يعتبرون ظهراء الزعماء السياسيين و الإجتماعيين و القوميين في بلدنا وكما يذهب متعلمونا إلى أوروبا للدراسة ويعودون أطباء ومهندسين ، وجراحي التجميل وعلماء جيولوجيا ... فإن مفكرينا أيضا يعودون اشتراكيين ، وفاشيين ووجوديين وماركسيين وراديكاليين ، و ينهمكون في العمل في المجتمع » .[1]

فهؤلاء المثقفون فرّوا من ذواتهم وأصالتهم ، وتخلوا عن مسؤولياتهم الحقيقية وأصبحوا فاقدين للوعي « الوعي التاريخي ، ومعرفة البنية المادية والمعنوية لمجتمعه ، أي فهم ثقافته ومن هنا فالمفكر الغريب عن ثقافته غريب عن نفسه ، والمفكر الذي يفكر ويحس في جو ثقافي مختلف مغترب ، يحس بذات آخر محل ذاته الحقيقية » .[2]

ويقدم شريعتي ، تحليلا نفسيا لهذه الحالة التي وقع فيها مفكرونا ، فهو يرى أنهم عندما ذهبوا إلى الغرب انبهروا بالمستوى الحضاري والثقافي والتكنولوجي الذي وصل إليه الغرب ، وعندها يتذكرون حالة بلدانهم ، وما تعانيه من فقر وتخلف وحرمان ، فيقعون في حالة من التناقض تجعلهم يقتنعون بضرورة محاكاة الغرب ، وانتهاج سبيله للوصول إلى مستواه « ... إنه دائم الإحساس بالألم والمعاناة ، إن هذه العقدة تدفعه دفعا إلى التفكير ، كيف يستطيع أن يضع هذا الحمل عن كاهله ؟ لا وسيلة إلا اللجوء إليه هو نفسه ، والتظاهر بأنه هو إياه ، والارتباط به ، والإغتراب عن نفسه وحجبها ومداراتها وإنكارها ، والتظاهر بأنه لا ينتمي إلى هذا الجنس أو إلى هذه الثقافة فينسى لغته ، وينسى حتى اسم دينه ، ولا يعلم أساسا كيف يعيش أولئك الناس أي مواطنوه ، ولا يدري أحوالهم وكيف يأكلون وكيف ينامون » .[3]

إن سلب الأرض والمال ، أهون من سلب الشخصية والذات في نظر شريعتي ، لأن الأرض والمال يعوض ويسترجع ، أما الذات والثقافة والهوية فيصعب استرجاعها «... سلبنا من أنفسنا إلى هذه الدرجة ، وخلت مجتمعاتنا الإسلامية والشرقية من إنسان أصيل خلوا، وليت مصادر الثروة عندنا في الشرق وكل إمكانياتنا المادية وما فوق أراضينا ، وما في بواطنها ليته كله قد سلب ونهب ، وبقينا كأناس أصحاء ، لاستطعنا أن نستردها كلها ، ولاستطعنا أن نقف على أقدامنا في فرص عديدة » .[4]

1- علي شريعتي ، العودة إلى الذات ، ص 282.
2- المصدر نفسه ، ص 296 .
3- علي شريعتي ،مسؤولية المثقف ، ص 122.123.
4- المصدر نفسه، ص 121

فهذه الدعوة التغريبية ، وهذا الغزو الفكري لا يواجه في رأي شريعتي ، إلا بالعودة إلى الذات « ففي رأيي ، أن الطريق الوحيد والصراع المنطقي مع ذلك الغزو، وتلك الأمور الغربية هو فقط برجوع الإنسان إلى نفسه وشخصيته وأن يتسلط على على نفسه وروحه وفكره ، وأن تكون له قدرة تشخيص وانتخاب مقابل تلك الأمور ، وهذا لا يتم إلا عن طريق القوة الروحية والعقلية بمعنى معرفة تلك الأمور معرفة علمية وتقييمها علميا أيضا » .[1]

إن هذا الهروب من النفس، والجري وراء الغرب لا مبرر له في فكر شريعتي ، فهو إنسان مؤمن بذاته معتز بدينه وتاريخه وحضارته ، ويعتقد أن مكامن القوة والإزدهار موجودة في تراثه وإنما هو بحاجة إلى من يوقظه ويبث فيه الروح والحياة مجددا «..لأن من يجعل نفسه شبيها بآخر يفر من نفسه ، ينكر نفسه بعجلة وإصرار، يكتم علائقه بل وفطرته التاريخية ، وماهيته الإجتماعية والثقافية ، وبتحقير نفسه يهرب من نفسه إلى أحضان الأجنبي ، يجاهد ليصل إلى فنائه فيه، وهو الأعلى والأكمل والأجل وفي مواجهة الأوروبي يحس بمركب النقص في نفسه ، ويكون أي أشقر أزرق العينين أفضل من أي واحد من مواطنيه ، وأحسن منهم ، يرى قوله فصل الخطاب ويفخر برفقته » .[2]

هذه العودة إلى الذات ، التي يدعو شريعتي إلى تحقيقها كما قد تبين ، غرضها مواجهة الحضارة الغربية التي تسعى بكل جهدها أن تسيطر على العالم ، وأن تقضي على جميع أنماط الحضارات الأخرى وذلك بإشاعة أنها هي الحضارة الأقوى والأرقى ، مستعينة في ذلك بما حققته من تقدم علمي ، فبما أنها هي الأقوى في المجال العلمي والتكنولوجي فثقافتها أيضا هي الأقوى فيجب أن تسود العالم « فالغرب منذ القرن الثامن عشر يريد بمساعدة علماء الاجتماع والمؤرخين والكتاب والفنانين بل والثوريين والإنسانيين ، أن يفرض على العالم النظرية القائلة بأن الحضارة واحدة ، هي هذا الشكل نفسه من الحضارة الذي صنعه الغرب وعرضه على الدنيا قائلا : أن على كل من يريد أن يصير متحضرا عليه أن يستهلك الحضارة التي نصنعها ، وإذا أراد أن يرفضها فليضل وحشيا وبدائيا ، والثقافة أيضا ثقافة واحدة هي ثقافة الغرب ، وعلى كل من يريد أن يمتلك تلفزيون يشتريه من الغرب ويأتي به إلى منزله ،عليه أيضا عندما يريد أن

1- علي شريعتي ، تاريخ الحضارة ، ص 15 .
2- علي شريعتي ، العودة إلى الذات ، ص 100

يكون صاحب ثقافة وعندما يريد أن ينمّي القيم الإنسانية في نفسه ، أن يقبل هذه الأنماط التي يفرضها الغرب وإلا فهو فاقد للحضارة والثقافة أي بدائي ووحشي إذا : إما أن تبقى بدائيا أو متحضرا غربيا ، هذان المصيران المحتومان وعلى كل إنسان أن يختار واحدا منهما ، كل جهد الغرب في القرنين الأخيرين كان مبذولا لخلق هذا الإيمان بالغرب وعدم الإيمان بالذات » .[1]

ومن ثمّة يعتبر شريعتي ، أن كل محاولة لتقليد الغرب خيانة لتاريخنا وجذورنا وحضارتنا ودينا لأن هذه الدعوة ليست دعوة بريئة ، فالغرب عندما يريد أن يقيم شراكة معنا فهي شراكة بين مستعمر ومستعمر ، علاقة بين من يمجّد ذاته وأصالته وحضارته وبين من يدفن كل ذلك ويهمله «...إذا أراد الشرقي أن يكون شريك مع الغربي على أساس "الإنسانية " يكون قد أذاب نفسه وشخصيته الحقيقية ، في نظام وهمي وكاذب ، وخيالي ، ومحا شخصيته الأصلية وأصالته الذاتية ، وطالما ظللنا على حد قولهم محليين وهم بشر ، يعدّ أي نوع من الشراكة معهم خيانة لوجودنا ، وعلينا أن ننفصل عنهم وأن ننقيهم ، لأن علاقتهم بنا لا تعدو علاقة المستعمر بالمستعمر، وأي علاقة يمكن أن تكون هذه ؟ علاقة من يمتص بمن يمتص، بين من يقوم بالإنتاج وبين من ينبغي عليه أن يستهلك ، بين من ينبغي أن يتحدث ومن ينبغي أن يسمع، بين من ينبغي أن يتحرك ومن ينبغي أن يتبع ويقلد ، علاقة بين قطبين متنافرين، ومن ثمة فهي ليست علاقة في الحقيقة ، بل رباط كاذب لا وجود له » .[2]

وبالرَغم من هذا فإن شريعتي ، لا يدعونا إلى أن ندفن أنفسنا ونقطع اتصالاتنا بالعالم الخارجي ونعكف على ذواتنا نقدسها ، فليس هذا هو الغرض الذي يسعى إليه ، فهو يسعى إلى أن يكون تعاملنا مع الغرب تعامل واع وذلك بأن نستفيد منه ما يخدمنا وندع ونترك ما يضرنا ويخالف عقيدتنا ودينا ، وكذلك بأن نكون واعين بما يخطط له الغرب ، فإذا كان تقليدنا للغرب تقليدا واعيا ومبنيا على أساس سليم ، فهذا التقليد سوف يخدمنا ويساعدنا على اكتساب الحضارة والتقدم ، وهذا ما أشار إليه شريعتي بقوله : « حينما نقلد الغرب فإننا نقلدهم من أجل رفع الحاجة والإحتياج الموجود عندنا ، ولم يكن تقليدنا لهم من أجل التشبه بهم ، فهذا يعتبر انحطاطا وليس تقليدا ، ولا يوجد هناك عامل مثل التقليد ، يحمل وجهين متناقضين أحدهما يمنح

1- المصدر السابق نفسه ص 36-37
2- المصدر نفسه ، ص 48.

الإنسان المنحط كمالا ورفعة ، والآخر يجعل الإنسان منحطا وساقطا مثل القردة، وهذا التقليد يكون تقليدا إجباريا أعمى على عكس التقليد الأول ، الذي يكون تقليدا حرا حيث أن الإنسان يختاره بنفسه ومن دون إكراه » . (1)

إذا يأتي مشروع العودة إلى الذات ، لمحاربة الإغتراب الذي سقط فيه الإنسان المسلم «الإغتراب هو عملية تصير معها الذات غير متآلفة مع نفسها ، وهو يتجلى حين تقوم تلك الذات - الفردية أو المجتمعية - بعملية التفكير عن طريق مجموعة من المعاني والمفاهيم والتصورات المستوردة .... وعلى مستوى أكبر من التحليل نجد "الاغتراب" أو "الاستلاب الثقافي" حين يبحث المجتمع عن حلول لمشكلاته بالنظر بادئ ذي بدء إلى خارج الذات ، وهي نظرة لا تقوم على أساس الندّية بل تشترط نظرة موازية تحكم " الاستهانة " بالذات وتصرف بصيرتها عن أي إمكانات ذاتية يمكن أن تولدها ، من أجل أن تنهض من غفوتها عن طريق خلاص مستورد » . (2)

ثانيا : سجون الإنسان :

يعتقد شريعتي ، أن الإنسان يتصف بثلاث مميزات تتفرع عنها باقي الصـــــــفات والمميزات وهي أنه موجود واع ومختارومبدع « هذا هو الإنسان الذي له مميزات ثلاث فقط وفقط ، الإنسان الذي يجب أن يصير أولا: موجود واع ، ثانيا : مختار ، ثالثا : مبدع ، أما بقية مميزات الإنسان الأخرى فهي تتفرع من هذه الثلاث ، وهي أن الإنسان واع ومختار ومبدع وبالمقدار الذي يصل كل واحد منا إلى الوعي ، وإلى المرحلة التي نتمكن فيها من الإختيار في الواقع ، ثم نصل إلى المرحلة التي نتمكن فيها من إبداع الشيء الذي لم تبدعه الطبيعة ولم تمتلكه ، يكون كل منا إنسانا » . (3)

« فالإنسان لأنه الموجود الوحيد الذي يصل إلى وعيه بنفسه " وعيه الذاتي" أي إدراك ماهيته وموضع قدمه من هذا العالم ، والإختيار يعني قدرته على العصيان ، فهو الموجود الوحيد الذي يتمكن من الإختيار ، بالرغم من أن جميع الأسباب تدعوه لإختيار شيء آخر ، أما الإبداع فمن

1- علي شريعتي . تاريخ الحضارة ، ص 517 .518

2- محمد سعيد عزالدين ، ضمن كتاب عبد الوهاب المسيري ، من ضيق المادة إلى رحابة الإنسانية والإيمان .وهو لم ينشر بعد ،حصلت عليه عن طريق مراسلة بيني وبين عبد الوهاب المسيري بالبريد الالكتروني ، ص 4

3- علي شريعتي، الإنسان والإسلام، ص 104

عدم قناعته بأن الطبيعة كافية لتحقيق طموحه ، فقصورها يكبح سعيه نحو التكامل ، وهو ما يفصل مقامه عن مقام الحيوان » .[1]

إلا أنه هناك أشياء تمنع الإنسان من الحفاظ على مميزاته ، وتمنعه من التكامل ومن ثمّة يتحتّم عليه معرفتها ومقاومتها بالعودة إلى الذات ، وتحقيق التكامل الإنساني المنشود « ... يتحتّم علينا معرفة الأشياء التي تمنع الإنسان عن طريق " صيرورته " لكي نستمر بإزالتها ، في حركتنا وهجرتنا الفطرية نحو تكامل الإنسان وصيرورته ، إن أنواع الجبر الأربعة هي التي تمنع الإنسان من الوعي والاختيار والإبداع » . [2]

1 - سجن الطبيعة :

إن هذه السجون الأربعة ، تفقد الإنسان خصائصه وميزاته « أما الآن فقد جعلت أنواع الجبر الأربعة ، السجون الأربعة ، هذا الواعي المختار المبدع في أسرها ومنعته من الوعي و الإختيار والإبداع ، ومع الأسف فإن كارثة الإنسان العظيمة في هذا العصر هي ، أن الأفكار والمعتقدات بالحد الذي تلبّي فيه كثيرا من حاجات الإنسان ، تعطيه وعيا نسبيا وتعطي المجتمع البشري تكاملا وقدرة ، فهي تنسي الإنسان نفسه ، وهذه كارثة عظيمة » . [3]

يعتبر شريعتي ، سجن الطبيعة أولى السجون التي تأسر الإنسان وتفقده ذاته ، خاصة مع ظهور المذهب الطبيعي ، الذي يعتبره شريعتي جزّارا آخر يقوم بذبح الإنسان ويغتال إرادته « المذهب الطبيعي أيضا هو جزار آخر ، والذي انتشر كثيرا في القرن الثامن عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر ، المذهب الطبيعي يقول : إن الأصالة تتعلق بوجود حي باسم الطبيعة ، إلا أنه غير واع ، والإنسان أيضا هو أحد أغراس الطبيعة غير الواعية الحية وصنيعتها ، وبناءا على هذا فالإنسان كائن مصنوع تصنعه الطبيعة كما تريد ،وبناءا على هذا إن كنت حرا أشعر وأختار وأصنع شيئا ما ، أصنع بالشكل ، وأختار بالشكل ، وأفهم بالشكل الذي صنعت الطبيعة فهمي واختياري وقدرتي على الصنع » . [4]

لا ينكر شريعتي تأثير الطبيعة - البيئة الجغرافية- في الإنسان وتكوينه النفسي والعقلي إلا أنه لا يؤمن بأن الإنسان واقع تحت سيطرة الطبيعة وقهرها ، فهذه العقيدة تقتل الإنسان وتجعله

1 - محمد سعيد عزا لدين، مرجع سابق، ص 23
2- علي شريعتي، الإنسان و الإسلام، ص 104
3- المصدر نفسه ، ص 110
4-المصدر نفسه ، ص 110-111

كائنا مسلوب الإرادة ، ويرى شريعتي بأن الإنسان يستطيع الخروج من سجن الطبيعة والسيطرة عليها بعمله العلمي « وكما أننا نرى في مجال الطبيعة ، أن الإنسان بعمله العلمي - أي العمل الملازم للعلم أو التجربة - يستطيع أن يغير الطبيعة » .[1]

« السجن الأول هو الطبيعة والجغرافيا ويستطيع بالعلوم الطبيعية و التكنولوجيا أن يتحرر منه » .[2]

2- سجن الحتمية التاريخية :

يعتقد أصحاب المذهب التاريخي ، أن التاريخ هو الذي يصوغ شخصية الإنسان وأفكاره وميادئه وعقائده « المذهب التاريخي ، هو بمعنى أن الإنسان وجميع أفراد الإنسان كل شخص ، كل "أنا" هو عبارة عن بضاعة صنعت بواسطة التاريخ ، كيف ؟ كما اقتضاه تاريخه هو ،إذا أنا الذي عندي هذه المميزات هو بسبب التاريخ الممتد خلفي إلى البداية ، وأن تاريخ إيران والإسلام معا ، له نسيج متحد صنع تاريخي الماضي ووصل إلى هذا القرن ، وأنا الذي ولدت في نهاية هذا التاريخ ...لي مميزات أعطانيها تاريخي ، بحيث لو كنت موجودا في نهاية تاريخ الثورة الفرنسية العظيمة ،عصر النهضة ، القرون الوسطى ، أو في عصر الغرب اليوم ،بدلا من وجودي الآن في نهاية تاريخ إيران والإسلام ، لكانت لي لغة أخرى ، شعور آخر، أخلاق وأساليب أخرى » .[3]

وعلى هذا فإن المذهب التاريخي ، ينزع عن الإنسان صفة الإرادة والإختيار، ويجعله نباتا أو حيوانا « إن المادية والجبر التاريخي ، مذهبان يدّعيان بأن الإنسان بريء من التدخل في تقرير مصيره ، أو أن يعول على إرادته ، فهناك تأثيرات على شعوره وتعقله تجعله بهذا الشكل ، وذلك لأن في الطبيعة لا يوجد أمر استثنائي يدعم الإرادة الإنسانية أو معرفة الذات الإنسانية » .[4]

وهذا المذهب عندما يسلب من الإنسان إرادته ، يكون بذلك قد سلب أعظم فضائل وخصائص الإنسان على الإطلاق وهي المسؤولية «...على كل حال فان أي عامل يلغي دور

1- علي شريعتي ، بناء الذات الثورية ، ص 19

2- المصدر نفسه ، ص 27.

3- علي شريعتي ، الإنسان والإسلام ، ص 114.115

4- علي شريعتي ، الانسان والتاريخ ، تر : خليل علي ، ط ، دار الأمير ، لبنان (1427ه ، 2006 م) ص 56.

الإنسان كصانع مصيره وتاريخه ، لم يحقر الإنسان وينزل به إلى مستوى نبات أو حيوان وهو تابع محض للطبيعة والغريزة والفسيولوجيا ، بل سلب من الإنسان المسؤولية وهي النتيجة المنطقية للإرادة والحرية ... وهذه المسؤولية هي أعظم فضائل الإنسان ووجه تميزه عن كل الكائنات » .[1]

يستطيع الإنسان أن يتغلب على الحتمية التاريخية ، إذا علم القوانين التي تحكم سير التاريخ وتطوره وتكامله « فعلى قدر ما نعرف التاريخ وندرك مغزى جبر التاريخ ...وندرك أيضا هذه المنازل التي سوف تقتضي بمرور الإنسان فيها ، ولو لم نتدخل في الأمر ، ما هي المراحل التي سوف يمر بها الإنسان ؟ قد يتسنى لنا أن نجتاز منزلة واحدة أو منزلتين وضعت عند أقدامنا ، لو عرفنا التاريخ ، جبر التاريخ ، مسيرة التاريخ ، المسيرة الجبرية للمجتمع البشري على مر العصور ، كل ذلك مشفوعا بالعلم » .[2]

« إن الإنسان هو الذي يستطيع ـ بقدر نضجه وتصميمه ـ أن يفرض إرادته على إرادة التاريخ كما أن الطبيعة تجعل النبات والحيوان ـ نسبيا ـ تابعة لإدارة الإنسان وصنعه ،هذا بالرغم مما لها من حياة وحركة طبقا للقوانين العلمية المسلم بها ، وأنا أفسّر حتمية التاريخ التفسير التالي : إن التاريخ والمجتمع البشري لا يستندان على أساس المصادفة والبعث ، بل على واقعيات مثل كل واقعيات هذا العالم ذات حياة وحركة طبقا لأصول علمية ... و بقدر ما يكتشف الإنسان هذه الأصول عن طريق العلم وعن طريق التكنيك ـ الإيديولوجية والتخطيط الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي ـ وعن طريق اختيار قانون بدلا من قانون أخر أي استخدام القوانين كما يهوى في قلب هذين الواقعين ، يستطيع أن يغيّر مسيرها الطبيعي كما يريد ، وعن طريق التنبؤ العلمي الصحيح ، يستطيع أن يواجه المصير الطبيعي لتاريخه في المستقبل ويوجّهه إلى المسيرة التي يحددها » .[3]

« إذا تمكن بمساعدة علم التاريخ وفلسفة التاريخ ، من اكتشاف حركة التاريخ والقوانين السائدة عليها ، وإذا استطاع أن يكتشف أيّة عوامل للتاريخ ، وكيف أنها تؤثر في بنائي

1- علي شريعتي ، العودة إلى الذات ، ص 102.
2- علي شريعتي ، الإنسان و التاريخ ، ص 91-92
3- علي شريعتي ، العودة إلى الذات ، ص 102-103

الفكري الإرادي الشعوري والأخلاقي ، فعندها يتمكن الإنسان من أن يجد طريق نجاته من السجن الثاني سجن التاريخ » .[1]

1- سجن المجتمع :

على غرار المذهب الطبيعي ، والمذهب التاريخي يأتي مذهب الحتمية الإجتماعية ليقول بأن الإنسان وليد مجتمعه ، وأن المجتمع هو الذي يصوغ شخصية الإنسان في أدق تفاصيلها وبذلك يسلب من الإنسان حريته وإرادته في تشكيل مذهبه وعقيدته ومبادئه وقيمه « يقول علماء الإجتماع : إن جميع الخصوصيات والصفات التي نراها عند الإنسان ، لم تكن موجودة في ذاته بل إنها صفات وخصوصيات عرضية ، وقد اكتسبها من المجتمع ، فلو أخذنا الإنسان بعيدا عن المجتمع ، فإن هذه الصفات التي نعتبرها أنها جزء من ذات الإنسان فإننا سوف نراها تختفي عنده ، بل نراها تظهر عند الإنسان الذي يعيش في المجتمع فقط ، لذا فان جميع الخصوصيات والظواهر التي يظهر بها الإنسان ، فإنه قد أخذها من المجتمع ،لأن المجتمع هو الذي يبني الإنسان وينشئه ». [2]

إن الفرد في هذه النظرة وعاء فارغ ، والمجتمع هو الذي يصب فيه ما يشاء ، فلو وجدنا إنسانا مجرما فإن المجتمع هو الذي جعله مجرما ، و هكذا بالنسبة لجميع الصفات سواء كانت خيّرة أم شريرة « الفرد عبارة عن وعاء خال تملاه روح المجتمع وعليه فإن ما يملكه أي فرد كان المجتمع قد أملاه عليه إياه ، فلو كان مجرما وضيعا قبيحا ، فالمجتمع هو الذي صب وضاعته وقبحه في ذاته ، ولو كان كبير الشأن يخدم بني قومه ويفهم ، فهذه من الخطوط التي رسمها المجتمع على الصفحة البيضاء لهذا الشخص ، فقوّم فطرته وفق ذلك ، وعليه فإن الفرد ليس فقط غير صالح ولا طالح ، بل إنه غير مسؤول عن ذلك ، فالمجتمع هو الذي بنى منه شخصا بهذا الشكل » . [3]

« فلو كنت سخيا أو غيورا جدا، ومتحمسا جدا ، فلأني نشأت في محيط إقطاعي ، وإذا كان عندي أربعة أو ست قروش فلأني ترعرعت في نظام بورجوازي ، ولو كنت فارسا متهورا فلأني كنت في نظام أخر،النظام الاجتماعي يعني العلاقات الاجتماعية ، العلاقات الإنتاجية

1- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ، ص 122-123
2- علي شريعتي ، تاريخ الحضارة ، ص 624.625 .
3- علي شريعتي ، الانسان و التاريخ ، ص 58 .

نظام الملكية والإنتاج ، وبصورة عامة ، إن العلاقات الطبقية والقوانين الرسمية السائدة في مجتمعي و التي تصنع جميع المجتمع ، هي العوامل التي تصنعني أنا الفرد الإنساني كما تصمم وتريد هي ». [1]

فهذا المذهب إذاً لا يعترف بشيء اسمه الفرد ، فليس هناك ثمّة اختيار، وليس هناك إرادة فلا مجال إذا ليقول الإنسان هذا رأيي ، أو هذا اختياري ، أو هذه إرادتي « ففي المذهب الإجتماعي ، ليس هناك وجود للفرد ، ولن يتمكن الإنسان من الإختيار باعتباره "أنا" في المذهب الإجتماعي كل شخص يكون بالصورة التي يريدها له مجتمعه ، والإنسان هو الذي يتمكن من القول "أنا" ، الإنسان هو الذي يستطيع أن يقول : "أنا اخترت هذا لهذه الأسباب " الذي بإمكانه أن لا يختار ، إلا أنه يختار ، هذه المرحلة هي مرحلة كينونة الإنسان » .[2]

يعتقد شريعتي ، أن الإنسان يملك القدرة على النجاة من سجن المجتمع ، وأن يصبح هو الذي يتحكم في المجتمع ، وهو الذي يوجه مساره إلى الإتجاه الذي يريد ، و ذلك عن طريق العلم و المعرفة والوعي ، فالإنسان أصبح يغيّر ويبدل النظم الاجتماعية والتقاليد ونظام الإنتاج كما يريد و كما يشاء .

« وفيما لو استطاع الإنسان اليوم ، أن يغيّر في مجتمعه العلاقات الإجتماعية ، مراحل جبر التاريخ لمجتمعه ، طراز معيشته ، نمط إنتاجه ، بطرق وقوانين علمية ، لتمكّنا عنده أن نقرر مصير ومستقبل الجيل القادم ، ونبنيه على ذلك الأساس ، وهنا يبيّن أن العلم يخدم المجتمع ، حيث أمكننا بواسطته أن نحكم السيطرة على مجتمعنا ، فلا يضحى المجتمع سجنا بل أصبح المجتمع من صنع أيدينا نسيطر على كل كيانه » .[3]

« ... نشاهد أيضا ، في الماضي أن كل فرد ينشأ بالشكل الذي يقتضيه مجتمعه ، ولكن اليوم بالعكس من ذلك ، ينشأ بالقدر الذي يتسع فيه علم الاجتماع ، بالقدر الذي يكتشف فيه العلاقات الاجتماعية ، و العلاقات الطبقية ، بالحد الذي يفهم فيه فلسفة السياسة والحكومـــة

1- المصدر السابق نفسه ، ص 115.116.
2- المصدر نفسه ص 116
3- علي شريعتي ، الإنسان و التاريخ ، ص 91.92

وبالقدر الذي يحصل فيه على الوعي الاجتماعي ، والنظام الاقتصادي .... كلها لم تعد كما في الماضي أمام إنسان العصر الواعي ،على أنها واقعيات أزلية أبدية لا تتغير، وسائدة ومقدسة وسماوية ومنزلة من عالم الغيب ، لا بل هي ظواهر بجانب الإنسان يتمكن من التفكير حولها واتخاذ القرار، يختار أو يرفض ، ونرى أنهم يرفضون ويختارون آخر ، يغيّرون ، يصلحون ويحدثون انقلابا ، يغيّرون الزي و القيافة ، يغيرون الدين ، كل هذه الأمور تدل على أن إنسان العصر قد حصل إلى حد ما على حريته من السجن الثالث الذي هو سجن المجتمع » . [1]

4- سجن النفس :

يعتبر شريعتي ، سجن النفس من أسوأ السجون وأصعبها على الإنسان ، فالإنسان أمامه ضعيف جدا ، وذلك لأنه هو السجن ، والسجين في نفس الوقت « السجن الرابع أسوأ السجون والإنسان في مقابله أعجز سجين، ذلك هو سجن "النفس" نفس الإنسان ، ومن الغريب أننا نرى أن الإنسان ـ طيلة التاريخ ـ قد أمَن خلاصه من السجون الثلاثة هذه يوما بعد آخر وتحرر أكثر من أي وقت مضى من أنواع الجبر الثلاثة هذه ، وسيطر عليها أكثر من أي وقت إلا أنه على العكس من ذلك ، فالإنسان أعجز من أي وقت مضى ، مقابل السجن الرابع أي جبر النفس ، حتى أعجز من العصور التي لم يكن الإنسان يمتلك فيها التكنولوجيا ، ولم يتعرف على العلوم الطبيعية ، ولم يعرف علم الاجتماع وفلسفة التاريخ » . [2]

« إلا أن الجبر الرابع لم يكن جدارا حول وجودي، بل هو سجن أحمله معي لهذا فإن وعيي ومعرفة هذا السجن أكثر إشكالا من الجميع ، السجن والسجين هنا واحد ، المرض والمريض أصبحا واحدا ، ولهذا فإن الشفاء من هذا المرض أمر صعب » . [3]

« و الصعوبة الأخرى ، هي أن الإنسان يتمكن بالعلم من الخروج من سجن التاريخ يتمكن بالعلم من الخروج من سجن الطبيعة ، ويتمكن بالعلم من الخروج من النظام السائد علـــى

1- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ، ص 124.125 .
2- المصدر نفسه ، ص 125.126 .
3- المصدر نفسه ، ص 126.127 .

الأصول الاجتماعية ، ولكن ـ مع الأسف ـ لا يتمكن بالعلم من الخروج من سجن نفسه ، لأن هذا العالم هو نفسه سجن ، ونفس هذا العلم هو علم سجين » .[1]

وهذه الصعوبة تتعمق أكثر، لأن الإنسان لم يستطع ، أن يجاهد نفسه ويواجهها ويلجم أطماعها « أصل القضية هو أن هذا السجن ، لما كان جزءا من نفس الإنسان فإن الإنسان لم يتمكن من التمرد على نفسه ، ولما كانت تلك السجون الثلاثة خارجة عن سجن النفس، لذا فهو يتمكن من الخروج منها ، هكذا نرى أن الخلاص من هذا السجن لم يعد ممكنا بواسطة العلم » .[2]

يعتقد شريعتي ، أن سبيل النجاة من هذا السجن ، هو سبيل وطريق واحد وهو "الحب " وليس الحب الصوفي العرفاني ، فهو يعتبره سجنا آخر يقع فيه الإنسان ،وإنما يقصد الحب الذي يدفع إلى التضحية والإيثار، التضحية بكل شيء من أجل المبدأ أوالعقيدة والإيمان ، والإيثار الذي يدفع الإنسان إلى أن يتبرع بنفسه من أجل إنقاذ شخص آخر ، وبهذا فقط يتغلب الإنسان على هذا السجن « كل إنسان يتمكن بقوة الحب أن يتخلص من السجن الرابع ،الذي هو ثقيل ومرعب جدا وداخلي ، ولا يمكن تطويعه ، هذا الحب هو الذي يتمكن من أن يدعونا- خارج العقل والمنطق ـ إلى نكران الذات والتمرد على النفس ، ورفض الوجود ، من أجل هدف أو من أجل الآخرين ، وفي مثل هذه المرحلة فقط يوجد الإنسان الحر ، وهذه هي أسمى مراحل صيرورة الإنسان ».[3]

« إن هذا السجن ، لا تحطمه الاستدلالات العقلية المحضة ، ولا العلوم الطبيعية ولا علم الأعصاب وعلم النفس وعلم الاجتماع والطب وفلسفة التاريخ والفقه ، إنه لا يحطمه إلا العشق الذي يعطي للإيثار معناه العشق الذي يرقى بالإنسان ، على أن إثبات الوجود لا يكون إلا بإنكار الذات ».[4]

1- المصدر نفسه ، ص 127
2- المصدر نفسه ، ص 129
3- المصدر نفسه ، ص 133
4- علي شريعتي ،الإمام السجاد أجمل روح عابدة ، ص 106 .

إن شريعتي لا ينكر هذه الأنواع من الجبر وتأثيراتها على الإنسان ، وإنما غرضه أن لا يستسلم لها الإنسان ، وأن يقاومها لإثبات إنسانيته ، ولتكون خطوة نحو العودة إلى الذات « أنا لا أنكر تأثير المذهب الإجتماعي أو المذهب المادي أو المذهب الطبيعي أو المذهب التاريخي على الإنسان ، أريد أن أثبت ذلك أؤيد ذلك ولكن ما أريد أن أقوله : هو أن الإنسان وعلى طول "صيرورة تكامله" على طول انتقاله من كينونته البشرية إلى صيرورته إنسانا يتمكن من النجاة من هذه الأنواع من الجبرو يتخلص منها ». [1]

المبحث الثاني: إلى أي ذات نعود ؟

عرفنا في المبحث السابق ، الخلفية التي أدَت إلى ظهور فكرة العودة إلى الذات ، وأنها ترجع إلى وقوع الإنسان المسلم ، وإنسان العالم الثالث في شبكة التغريب ، ومحاولة إخلاء ذاته وإبدالها بذات أخرى لا تمت إليه بصلة ، وكذلك ظهور المذاهب التي تسلب من الإنسان حرية الإرادة والاختيار ، و تجعله عبدا لعدة أنواع من الجبر ،على خلفية هذه الظروف تعالت دعوات المثقفين والمفكرين في دول العالم الثالث إلى العودة إلى الذات ، ومن بين هؤلاء المفكرين علي شريعتي ، وهو يفهمها بطريقة مختلفة عن الآخرين وفقا لعقيدته وإيمانه ومبادئه « أريد أن أطرح قضية أساسية مطروحة الآن ، بين مفكري آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وطرحت أخيرا في إيران وهي قضية : العودة إلى الذات ، وفي البداية ينبغي أن أوضح أنني إن كنت أنطلق من الدين وأنطلق من إسلام معدل أو لحقه الإصلاح ، وأعيد فيه النظر بوعي ، و مرتكز على حركة نهضة إسلامية » . [2]

فهذا هو الإختلاف الجوهري بين العودة إلى الذات التي يتبناها شريعتي ، والتي يتبناها أغلب من نادوا بها ، فشريعتي منطلقه ديني ، وهو يهدف إلى الرجوع إلى الدين الحقيقي ، أما باقي المفكرين فلم يكن لهم توجه ديني ، وإنما طرحوا هذه الفكرة من أجل التصدي لمحاولات التغريب « على كل حال فإن شعار العودة إلى الذات، شعار لم يطرح إلا في عالم المتدينين، بل إن أكثر المفكرين التقدميين العلمانيين ....هم الذين طرحوا هذه القضية لأول مرة » . [3]

1- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ، ص 120
2- علي شريعتي ، العودة إلى الذات ، ص 34
3- المصدر نفسه ، ص 36 .

أولا : هل نعود إلى ذواتنا التاريخية ؟

لقد تعددت الأفهام حول هذه القضية ، فمنهم من يرى بأنها تعني الرجوع إلى الذات التاريخية ، ومنهم من يرى بأنها تعني العكوف على التراث و تقديسه « هل العودة إلى الذات تعني العودة إلى ذاتنا الثقافية والمعنوية والإنسانية التي اكتشفنا أنها تبلورت في حضارة ما ، أو في دين ما ، أو في ثقافة ما ، في عصر خاص ...فهل نعود إليها ؟ هذه الذات ذات قديمة وعتيقة ذات سجلت في التاريخ ، ذات قطع أمد من القرون علاقتنا بها ، تلك الذات الأكمينية القديمة ذات موجودة في التاريخ ، يستطيع المؤرخون وعلماء الاجتماع وعلماء الآثار والعلماء عموما اكتشافها ، وليست لشخصيات تلك الفترة أو أبطالها أو مواهبها ومفاخرها وأساطيرها حياة أو حركة أو نبض بين أهلنا ، فقد جاء مقص الحضارة الإسلامية ووضع حدا بين ذاتنا قبل الإسلام وذاتنا بعده ، بحيث أصبحت ذاتنا قبل الإسلام وذاتنا بعده » . (1)

وهذه في الحقيقة منهجية جديدة في التعامل مع التراث ، وذلك بأن ننظر إلى هذا التراث فإذا رأينا فيه ما ينفعنا نفضنا عنه الغبار وأحييناه ،أما إذا وجدنا أنه لا يمت إلى واقعنا وعصرنا بصلة لم نحفل به « وعلى هذا فالتراث ليس أمرا ساكنا ميتا ، أفرغته هزائم الأمة وانكساراتها التاريخية ، وإنما هو تلك الحيوية والفعالية المتدفقة في وجدان الأمة » . (2)

« و إذا فالذين يلغون التراث أو ينادون بإلغائه ، إنما يلغون هذه الصورة النموذجية التي يعبر فيها قسم من الأمة عن مطامح الأمة ككل ،الأمة المتخلفة المستغلة داخليا ، وهنا يكمن الخطأ فإلغاء هذه الصورة النموذجية ، هو بعبارة أخرى إلغاء نوع من التعبير عن مطامح الأمة في النهضة والتقدم لا يمكن أن يتم إلا بتحقيقها » . (3)

هذه الدعوة لا تعني في فكر شريعتي ، الإعتزاز بالماضي والإفتخار بالأجداد ، فهو يعتبر ذلك من قبيل الاستحمار « إنه يعارض الإتجاهات التي تمدح كل شيء شرقي ، وتظهره كأنه لا نقص فيه ولا يحتاج إلى تطوير ، إذ يقول البعض أن أدبنا هو أرفع أدب ، وثقافتنا هي أعلى ثقافة وتاريخها كله أمجاد ومآثر ، إن شريعتي يعتبر تلك الإشادة بالمفاخر الكاذبة نوعا

1- علي شريعتي ، العودة الى الذات ، ص 50.
2- عبد الجبار الرفاعي ،جدل التراث و العصر ،ط1،دار الفكر المعاصر . لبنان (1422هـ ، 2001 م) ص 19
3- محمد عابد الجابري ،التراث و الحداثة ، ط1، المركز الثقافي العربي ، المغرب (1991 م) ص 105

من النفخ و الإستحمار، تعيق الإنسان الشرقي عن رؤية الواقع ، عن رؤية عناصر قوته وضعفه وتجعله يخوض المعركة على أسس هشة لا واقعية ». [1]

ثم إن العودة إلى الذات لا تعني العودة إلى التقاليد البالية ، كما يفهم البعض حيث أن بعض الذين طبقوا العودة إلى الذات ، عادوا إلى تبني طريقة العيش القديمة ، كالعودة إلى اللباس التقليدي وديكور المنازل القديمة « ألا تعلمون أنه توجد الآن حركة عودة إلى الذات ؟ ذات يوم ذهبت لزيارة أحد السادة العصرين جدا الذين قاموا بالعودة إلى ذواتهم ، وهناك رأيت أنه وضع عراقة حمار "ما يوضع تحت السرج" أمام حجرة الضيوف في منزله قلت : أيها السيد المحترم هل هذا يعني العودة إلى الذات ؟ لماذا وضعت عراقة الحمار هنا ؟ ينبغي أن تضعها أما غرفة نومك ، هذا النوع من العودة إلى الذات على الطريقة الأمريكية ، منذ أن جاءوا واشتروا هذه العراقات واشتروا أيضا الخرز البدائي قبيح الشكل ، وعلقوه في رقاب زوجاتهم اكتشفنا أنفسنا انظروا إلى الاستحمار ، الاستحمار الحديث ». [2]

« إن هذه العودة إلى الذات التاريخية ، التي ندعوا إليها لا تعني العودة إلى عراقة الحمار بل هي العودة إلى الذات الموجودة بالفعل ، والموجودة في قلب المجتمع وفي وجدانه تصير مثل مادة ومنبع من منابع الطاقة ، تفتت على يد مفكر وتستخرج و تحيا وتتحرك هي تلك الذات الحية ، ليست تلك الذات العتيقة القائمة على عظام نخرة، هي تلك الذات القائمة على أساس الإحساس العميق بالقيم الروحية و الإنسانية عندنا، والقائمة على أرواحنا واستعدادتنا والموجودة في نظرتنا إلى الأمور ، لكن الذي صرفنا عنها هو الجهل والإنقطاع عن النفس ». [3]

هنا يتضح لنا موقف شريعتي بالضبط ،فهو يرفض الاتجاه الداعي إلى اتباع الغرب في كل شيء ، وهو أيضا ضد الرجوع إلى الماضي والتقوقع في أنماط الحياة القديمة ، فهذه كلها في نظره دعوات استحمارية « ثم إن شريعتي يرفض الطرح الذي يضع أمام شعوبنا خيارين

1- فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ص 73.
2- علي شريعتي ، العودة إلى الذات ، ص 47 .
3- المصدر نفسه ، ص 50

لا ثالث لهما لهما : إما التغرب والتبعية للأجنبي ، وإما العودة للماضي كما كان ، بكل عناصره المنحطة والمتخلفة ، إنه واثق بوجود طريق ثالث ، أي طريق تطور بلداننا إلى الأمام - استنادا إلى أرضيتها وتاريخها - لكن هذا الطريق ينبغي أن يضمن رقيا ثقافيا وحضاريا واقتصاديا واجتماعيا حقيقيا ، لا عودة للوراء ، فالإسلام نفسه لما جاء لم يكتف بالقضاء على نظام الشرك السائد ، ولا بالصيغ السائدة في الجزيرة العربية ، بل انتقل إلى فضاء أرحب ، و بنى حضارة مادية ومعنوية راقية ، حققت تقدما في العلوم والفنون » .[1]

« وهذا التقديس للماضي والتاريخ ، دون تمحيص واستخلاص الحقائق غثها وسمينها ، عمل على انحطاط المسلمين وصرف أنظارهم عن الثقافة الإنسانية المتطلعة ، فاعتماده الفكر الرجعي وافتخاره بأمجاد الماضي وبطولاتهم يغنيه عن السعي لتحصيل المكاسب ، فالفكر السلفي الذي يرى أن كل ما جاء به التاريخ حضاريا وجيدا ، ولا يهمه بعد ذلك أن يعمل عقله لتطوير ذاته وواقعه ، وإنما يتقوقع في دائرة الماضوية » .[2]

« إنه يسخر من الذين يعتقدون بأن العودة إلى الذات هي العودة للماضي وللسلفية ، ولكل ما هو قديم ، أو العودة لركوب الحمير وممارسة صيغ الحياة القديمة ، إنه يعتبر العودة للذات هي العودة لجوهر قيمنا الروحية والأخلاقية ، هذه القيم ستكون لها ممارسات وصيغ جديدة في عالم اليوم ، تستطيع الوقوف وفي وسط أعاصير الصراعات التي يعج بها العالم » .[3]

ثانيا : العودة إلى الذات الدينية :

إذا كان شريعتي يرفض العودة إلى الذات التاريخية القديمة ، ويعتبرها دعوة استحمارية فإنه يدعو إلى العودة إلى الذات الدينية ، وذلك لاقتناعه أن الدين عنصر متأصل في تركيب روح الأمة الإسلامية ، ولكنه يضع لهذه العودة إلى الإسلام ، قيود وضوابط ، فهو لا يدعو إلى العودة إلى أي إسلام ، ولكن الإسلام الذي يدعو إليه هو إسلام خاص ، أو هو الإسلام الصحيح الذي عاشه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل منهم أبطالا عظاما ، واستطاعوا بواسطته

1- فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ص 83.
2- أحمد شهاب ، أزمة ثقافة أم أزمة مثقف ، مجلة الكلمة العدد2، السنة الأولى ، ص 144 .
3- فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، 83.

تغيير العالم «... العودة إلى تلك العناصر التي تشكل بنية الرسالة في تفجرها الأول بما تمثله من جوهر للذات ، وكذلك عودة إلى تلك العناصر التي حملتها المسارات النموذجية التي جسدت على طول التراث ، بما يضيء الصيغة التكاملية للدين زمنيا » .[1]

« وإذا حاولنا تلخيص انجازات الدكتور شريعتي ، في عبارة واحدة ، فإننا نقول أنه قدّم الإسلام ليس باعتباره دينا بالمعنى الشائع لدى الغرب ، أي كمسألة روحية وأخلاقية تتعلق فقط وبصفة رئيسية بعلاقات الفرد مع خالقه ، بل باعتباره أيديولوجية أي رؤية شاملة للعالم والحقيقة وخطة لتفجير إمكانيات البشر على كل من المستوى الفردي والجماعي ، بأسلوب يؤدي إلى تحقيق الهدف الشامل من وجود الإنسان » .[2]

فشريعتي إذا لا يدعو إلى العودة إلى الإسلام ، كتقليد متوارث عن الأجداد ، أو كعرف اجتماعي أصبح له التصاق كبير بضمير المجتمع « ... العودة إلى الثقافة الإسلامية والأيديولوجية الإسلامية ، وإلى الإسلام لا كتقليد أو وراثة أو نظام عقيدة موجود بالفعل في المجتمع ، بل إلى الإسلام كأيديولوجية ، وإيمان بعث الوعي وأحدث المعجزة في هذه المجتمعات ليس الأمر في الحقيقة استنادا على دين موروث أو إحساس روحاني جاف » .[3]

والعودة إلى الإسلام ، تعني كذلك العودة إلى القيم والمبادئ الإنسانية وإعادة صياغة الهوية لمواجهة هذا الاستلاب الذي نعاني منه ، إلى الحد الذي أصبحنا نفكر فيه باستيراد كل شيء حتى المبادئ والقيم « إن العودة للإسلام لا تعني تلقين الأفكار الدينية وتطبيق الأعراف والتقاليد الدينية في المجتمع ، بل إن هدفنا الأكبر من العودة للإسلام والتمسك به ، هو محاولة إحياء الوعي والقيم التي سلبت منا ، فأصبحنا بذلك نعاني فقر واستلاب على جميع الأصعدة وصرنا نقتات فتات موائد الآخرين » .[4]

1- عبد الرزاق الجبران ، علي شريعتي وتجديد التفكير الديني ، ص 220 .
2- حامد اليجار ، الإسلام كأيديولوجيا ، مجلة المسلم المعاصر ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، العدد 34 ، (1403هـ - 1983م) ، ص11.
3-علي شريعتي ، العودة إلى الذات ، ص 36 .
4- علي شريعتي ، الاستناد للدين ، نقلا عن فاضل رسول ، هكذا تكلم شريعتي ، ص 202.

« لكن المهم هو أي إسلام وأي مذهب ؟ هل هو ما هو موجود الآن ؟ هل هو ما هو موجود الآن في صميم المجتمع بصورة تكرارية وعفوية ؟! إن العودة إليه من قبيل تحصيل حاصل والآن يعيش قومنا على أساسه ويعملون ، ويؤمنون به لكن لا فائدة منه قط ، بل إنه في الوقت نفسه عامل من عوامل الركود فيهم وعامل من عوامل عبادة التقليد وعبادة الجهل وعبادة الأشخاص ، وعبادة الماضي وتكرار ما هو مكرر، إن ما هو موجود الآن باسم الدين يرد البشر ليس عن مسؤولياتهم الفعلية فحسب ، بل ويمنعهم عن الإحساس بأنهم مخلوقات حية في هذه الدنيا ، هذا الدين نفسه الموجود لا يستطيع أن يواجه الناس بحساسياتهم ومشكلاتهم » .[1]

وعلى هذا الأساس تعامل شريعتي مع الإسلام بمنهج جديد ، فهو لا يريد العودة إلى هذه التراكمات التاريخية التي التصقت بالإسلام ، وإنما يريد أن يعيد الإسلام إلى مجده الأول، أن يشعل تلك الشرارة التي بثت الحياة في الجيل الأول « وهذا ما حتّم على شريعتي ، أن يبدأ من جديد بشعار العودة إلى الذات ووعيها مجردة عما لحقها في منعطفات التاريخ ، لكشف الإسلام الحقيقي وتنقيته ، ومن ثم بناء أيديولوجية إسلامية، آخذا بعين الاعتبار مقتضيات العصر... تجديد المنهج بفهم الإسلام اجتماعيا وسياسيا، إذ تمثل الإشكالية الأولى التي لابد من حلها قبل الخوض في العودة . بتنقية التراث والتي لا يمكن لنا ذلك دون منهج ، فما كان من تراث ورؤى ونتائج مخدرة، ما هو إلا نتيجة للمنهج التجريدي الفلسفي والكلامي والفقهي بعيدا عن موضوع الرسالة وهي ... الإنسان والمجتمع وواقعها ، وهو ما يتكفله الاجتماع السياسي » .[2]

وهكذا تميز شريعتي ، بمنهج جديد في تعامله مع هذا التراث الضخم ، استخدم فيه علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ومقارنة الأديان ، وذلك لإعادة الصورة المشرقة للإسلام « من هنا كان على شريعتي - كي يعود إلى الذات الأولى للإسلام - أن يمر على التاريخ وفلسفة مساراته، كي يعي ما حصل فيه ، ويعي السنن التي أفضت بنا إلى ذلك ، فكان له في ذلك منهجا متميزا في علم اجتماع المعرفة وعلم الاجتماع الديني وعلم الأديان المقارن ، وعلم الاجتماع بصورة عامة ، ومن عودة إلى النصوص الأولى قبل أن تمر عليها أذهان التاريخ ، ومن ثقافة إسلامية ،و آليات أخرى جمّة ، ضمّها شريعتي لمنهجه كي يغربل ما علق بالدين » .[3]

1- علي شريعتي ، العودة إلى الذات ، ص 51 .
2- عبد الرزاق الجبران ، علي شريعتي وتجديد التفكير الديني ، ص 21.
3- المرجع نفسه ، ص 72 .

أما عن سر اختياره للذات الدينية ، فذلك من منطلق أن مجتمعاتنا ذات ارتباط قوي بالدين فالدين عنصر أساسي في تشكيل المجتمعات الشرقية « إن منطلقنا هو الذات الإسلامية نفسها وينبغي أن نجعل شعارنا هو العودة إلى هذه الذات نفسها ، لأنها الذات القريبة منا ، بين كل الذوات وهي الثقافة الوحيدة التي لا تزال حية حتى الآن ، وهي الروح والإيمان والحياة الوحيدة في المجتمع الآن ، ذلك المجتمع الذي ينبغي للمفكر أن يعمل من خلاله ويعيش و ينبض ... يتحول الإسلام من صورة تقليد اجتماعي إلى صورة أيديولوجية ، ومن صورة مجموعة من المعارف العلمية تدرس ، إلى إيمان واع ، ومن صورة مجموعة من الشعائر والطقوس والأعمال التي تؤدّى لنيل ثواب الآخرة ، إلى أعظم قوة تهب الإنسان قبل الموت المسؤولية والحركة والميل إلى التضحية ، و يتحول إلى استخراج مادة عظيمة تستخرج الوعي والعشق من صميم هذا المجتمع ... و يبدي المعجزة المتولدة من الوعي والإيمان عن طريق هذه الطاقة ، فيتبدل الجمود فجأة إلى حركة ، والجهل إلى وعي ، و هذا الانحطاط الذي دام بضعة قرون ، إلى بعـــــث وحركة ونهضة تؤدّي إلى ما يشبه القيامة » .[1]

هذا هو سر اختيار الذات الدينية المتمثلة في الإسلام ، هذا الإسلام الذي يستطيع إذا طبّق وفهم فهما صحيحا أن يعيد هذه الأمة إلى سابق مجدها وعزّها ، وينقذ هذا الإنسان الذي سلبت منه هويته وذاته من هذا الإنحطاط الذي ظل قابعا فيه لعدة قرون « ومما لا شكل فيه أن العودة إلى الإسلام تحقق بذاتها الثقة المنشودة بالنفس ، وهي الخطوة الأولى و الضرورية على طريق الإنطلاق نحو فهم المشاكل وتصحيح المناهج المعترضة لطريق النهضة ، لأن أخطر حالة تصيب الإنسان هي حالة فقدان الثقة بالذات ، ورجال الفكر والمثقفون أصيبوا بهذه الحالة مع الأسف وانبهروا كليا بمظاهر المدنية الغربية ، وتركوا وراء ظهورهم كنوزا لا تنفذ من إمكاناتهم الذاتية » .[2]

« إن تعبئة قوى الإيمان كلها في هذا الطريق ، ضرورية لكي نبلور هويتنا ونصل إلى وعي مستقل ، و نتّحد مع الجماهير ونساهم في توعيتها كما أنها ضرورية لكي نعيد النظر في

1- علي شريعتي ، العودة الى الذات ، ص 51.52

2- كاظم السباعي ، الاستقلال المنهجي الحضاري ،مجلة الكلمة . العدد 8 . السنة الثانية (1416هـ.1995 م) ص 18

معرفتنا ، ونعيد اكتشاف حقائق مجهولة أو ممسوخة ، وعندما نقدم تلك الحقائق للناس ، ونساهم في نهضتهم وبعث الحياة في خريف الفكر و الإيمان ، ونشعل في هشيم ذلك الخريف شرارة إلهية ، أودعنا أمانتها وكفانا بإشعالها ... وذلك أفضل ما يمكن أن نقوم به من عمل » .[1]

المبحث الثالث : النظرة الكونية وبناء الذات الأيديولوجية .

أولا : الرؤية الكونية :

يعد موضوع الرؤية الكونية موضوعا أساسيا في فلسفة الإنسان ، و في نظرية العودة إلى الذات وبناء الأيديولوجيا ، فكل إنسان يتحرك في هذا الكون وفق رؤيته وعقيدته التي يعتقدها حول الكون « يحتل موضوع " رؤية الإنسان للعالم " موقعا هاما في فكر علي شريعتي فرؤية الفرد فيما يصدره من أحكام وما يحمله ويكتسبه من قيم ترسمها الأبعاد المميزة لمجتمعه المعنوية منها والمادية ، فإدراك العالم الخارجي هو صورة منعكسة للمجتمع والطبقة في نظر الفرد لمرآة الواقع ، غير أن هذه الأحكام سرعان ما تعود للتعامل مع الواقع - قبولا أو رفضا تغييرا - من جديد ، فهناك صلة جدلية بين الرؤية الذاتية والرؤية الموضوعية ».[2]

« إن الأهمية الكبرى للموضوع ، تنبع من أن كل شخص يعمل على ضوء رؤيته للكون أي أن الصورة المنعكسة في أذهاننا عن الوجود لها تأثير مباشرفي عملنا ، في عقيدتنا ، سلوكنا الإجتماعي ، حياتنا الفردية والإجتماعية ، أي أن الشخص يعيش وفق رؤيته للكون ، إذا فدراسة الرؤى الكونية هي في الحقيقة دراسة الأفراد ، وإن رؤية أي مدرسة وكل جماعة وكل شعب للكون ، هي دراسة لكيفية بناء وجبلة تلك الجماعة وذلك الشعب ، وصفات كل منهما ».[3]

فالذي يعتقد أن للكون معنى و هدفا ، يكون سعيه وعمله فوق هذه الأرض مختلف عن الذي يؤمن بالعبثية والصدفة « ... وأنا الذي لي مثل هذه الرؤية للكون علي في كل خطوة و في كل عمل ، أن أبحث بدقة هل هذه الخطوة خطوتها أو سأخطها كما ينبغي أم لا ؟ لأني عنصر وعضو في هذا العالم الكبير أيضا ، العالم الكبير الذي وضعت كل ذرة من ذراته وفق حساب دقيق ومعادلة دقيقة ، في المكان الذي يجب أن تكون فيه ماكنة عظيمة ، وأناس يعملون

1- علي شريعتي ، الاستناد للدين ، ص 208.
2- محمد سعيد عز الدين ، ضمن كتاب ، من ضيق المادية إلى رحابة الإنسانية و الإيمان، ص 8
3- علي شريعتي ،الإنسان و الإسلام ، ص 29

جميعا لتحقيق هدف واحد ، هم آلات هذه الماكنة العالمية » .[1]

« النظرة الكونية هي : الكيفية أو الطريقة التي يتلقى بها الفرد وحسب اعتقاده وعقيدته النظرة إلى الوجود والعالم ، وهي عبارة عن فكرة وتصور الإنسان عن عالم الوجود والكون » .[2]

هذا هو التعريف الذي وضعه شريعتي للنظرة الكونية ، فهي في النهاية تمثل عقيدة الإنسان ، ولا شك أن عقيدة كل إنسان تلعب دورا أساسيا في تكوين شخصيته وأخلاقه وقيمه ومبادئه « النظرة الكونية أو النظرة إلى العالم ، يكون لها انعكاس على الأخلاق والتربية أيضا وليس فقط على الأخلاق الإجتماعية والسياسية ، فالبعض حين يرى أن هذا العالم عبث وليس له هدف ، يرى أن النفس غنيمة وربح ... وهذا على عكس عقيدة أولئك الذين يعتقدون بأن كل حركة لكل ذرة من ذرات الكون لم تكن حركة غير منظمة أوليس لها هدف ، وإنما تترك أثرا في هذا الكون وهذا العالم لم يكن مخلوقا عبثا وبدون هدف ، فهذه نظرة كونية تختلف عن السابقة » .[3]

يعتقد شريعتي أن النظرة التي تجعل الكون لا هدف له ولا غاية له، تسببت في حيرة الإنسان وغربته في هذا الكون، وجعلت حياة الإنسان تافهة ولا غاية لها «... إذا فالكون لا شعور له، إذا فالكون لا إرادة له، إذا فالكون لا هدف خاص له، لأن الكون- وفق المبنى المادي- لم يكن مخلوق إرادة واعية ذات شعور، إذا لم يكن هناك غاية من خلق الكون، إذا فالكون على حد تعبير جون بول سارتر: " دار للحمقى" ، دار حمقاء لا شعور ولا إدراك لها ... وهذه هي بداية حيرة الإنسان و تشتته ، لأن الإنسان يعيش في عالم لا يناسبه ولا ينسجم مع، ولا صلة له معه، الكون يسير نحو لا شيء ، ليس للكون هدف في عمله، أي أن الإنسان غريب عن الكون... بناء على هذا فالرؤية المادية للكون تنتهي إلى غربة الإنسان وبعده عن هذا الكون، تنتهي إلى تضاد الإنسان مع الكون ... هكذا نرى اليوم وبعد مرور ثلاثمائة عام على انتصار الرؤية المادية للكون على الرؤية الدينية للكون، نرى أن جميع الفلسفات والمدارس والفنون وصلت في القرن العشرين إلى لاشيء وصلت إلى التفاهة » .[4]

1- المصدر السابق نفسه ، ص 30 .
2- علي شريعتي ، تاريخ الحضارة ، ص 237 .
3- نفس المصدر ، ص 239 .
4- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ، ص 31 ، 35 .

ولا يستطيع الإنسان أن ينقذ نفسه ، من الغربة والضياع والسقوط في نظر شريعتي إلا برجوعه إلى النظرة التوحيدية وإنكار النظرة المادية ، التي جعلت الانسان بلا غاية ولا هدف « .... لذلك فإن عالم الوجود ، في النظرة الكونية التوحيدية هو عبارة عن نظام متناســـق وصاحب علم ذاتي ويمتلك إرادة وإحساس وهدف ، وهذا يبيّن أن وراء كل هذه الكثرة والمتضادات المحسوسة هناك وحدة روحية وهدف يربط بينهما ويجمعهما ، لذلك فإن هذه النظرة التوحيدية تعتبر أمرا قائما مقابل نظرة الماديين والطبيعيين إلى الكون ... وكذلك فإن النظرة التوحيدية تعتبر ردا على مذاهب الشرك » .[1]

إضافة إلى أن النظرة الكونية التوحيدية ، تعطي لحياة الإنسان معنى وهدفا وتشعره بالتناغم والإنسجام مع الكون، فإن لها أبعادا إجتماعية كثيرة ، فهي تجعل المجتمع بنيانا واحدا وتقضي على الفوارق والتناقضات الطبقية « إن التوحيد في بعده الإجتماعي يعني وحدة الحقيقة بين جميع المجموعات والطبقات والأعراف الإنسانية ، لأن الناس جميعا من قدرة واحدة وأصل واحد ، وهذا هو التوحيد ، وفي التوحيد لا يمكن أن يكون هناك تضاد وتناقض ، وأما هذه التناقضات الطبقية الموجودة فهي تضادات غير صحيحة ، وإذا كانت هناك تضادات إنسانية موجودة فهذا غلط أيضا ، وإذا كان هناك تضادات وتناقضات موجودة بين الأنظمة والعرقيات فهذا اشتباه أيضا ، لأن الأساس والمبنى في بناء هذا العالم هو التوحيد ، وفي التوحيد لا توجد تناقضات وتضادات ، إن التوحيد في بعده الاجتماعي هو الذي يبني الوحدة الإنسانية ووحدة الطبقات ووحدة العرقيات ، وأما في بعده الأخلاقي فهو ينفي المنفعة الذاتية والخوف والجهل » .[2]

ثانيا : بناء الايديولوجيا :

تبيّن أن علي شريعتي يهدف للعودة إلى الإسلام كأيديولوجيا ، وليس كتقليد فما هي هذه الأيديولوجيا التي يقصدها شريعتي ؟ و ما الهدف المرجو من تكوينها ؟

« إن الوعي الأيديولوجي مثل روح قوية تنفخ في جسد ميّت لعرق ما أو أمة ما ، إن الفكر هو الذي ينتج الحركة ، والحركة هي التي تصنع المجتمع الجديد الحي المتحرك وهنا فحسب تكون

1- علي شريعتي ، تاريخ الحضارة ، ص 239 ، 240 .
2- المصدر نفسه ، 241 .

الحضارة قد ظهرت » .[1]

« بغية مشروع شريعتي النهضوي - في محاوره الإصلاحية الأهم العودة إلى الذات وانتشال الإسلام من جديد - هو صناعة أيديولوجيا إسلامية تستطيع أن تعطي المسلم رؤية شاملة للحياة ، في كل قضاياها وتحديدها ، تلك التحديات التي إذا ما أرادت أن توجه بزخم عند نقطة الشروع للإستجابة والبناء الحضاري ، حتّم عليها أن تبدأ من كوة الوعي ومشاركته هناك ، لذا كان الوعي عند شريعتي هو بداية ابتعاد الجيل عن الأيديولوجيا » .[2]

ونظرا لأهمية الأيديولوجيا في فلسفة شريعتي ، دعا إلى توجيه الإجتهاد إلى مسألة الأيديولوجيا ، وأن لا يبقى حبيس الجزئيات والفروع « كما أن شريعتي على أساس هذا الطموح الأيديولوجي للإسلام ، جعل الإجتهاد ينصبّ على الأيديولوجيا ، وليس اقتصارا على أمور جزئية فردية ، أو أمور لا تمت إلى الحياة بصلة ، فالإجتهاد هو في مسألة الأيديولوجيا ... فالدين لديه أيديولوجيا متكاملة ، لكنها متحركة في كل زمان ومكان ، وكون ثوابتها تملك أطرمرنة توجه العنصر المتغير فيها تواؤما مع كل مرحلة زمنية ، فهي - الايديولوجيا - مجموعة أصول تبلورت على أساس الأوضاع والظروف القائمة الخاصة ، وعلى هذا فهي كما تكون واقعية ومنسجمة مع المسؤولية العملية في الظروف الموجودة ، إلا أنها تشيخ في نظام آخر وزمان آخر وتصبح جوفاء وتفقد موقعها ومعناها ».[3]

أورد شريعتي تعريفا لكلمة الأيديولوجيا في كتابه "الإنسان والإسلام " فقال : « أن كلمة الأيديولوجيا كما ترون تتكون من كلمتين " ايده" بمعنى الفكر ، الخيال ،الهدف ، الصورة الذهنية والعقيدة .

و"لوجي" التي لها جذور لاتينية ، بمعنى المنطق والمعرفة ، بناء على هذا فالأيديولوجيا تعني معرفة العقيدة ، وفي كلمة واحدة تعني : العقيدة ، نفس الكلمة التي نفهمها في لغتنا باسم العقيدة وعليه فالأيديولوجي يعني صاحب عقيدة خاصة ، والأيديولوجية هي العقيدة الخاصة لجماعة ، لفئة لشعب ، أو عنصر ما » .[4]

1- الموسوي ، ملامح المنهج الإسلامي في العلوم الاجتماعية ، موقع ، www.darislam.com
2- عبد الرزاق الجبران ، علي شريعتي و تجديد التفكير الديني ، ص 236.235 .
3- نفس المصدر ، ص 237 ، 238 .
4- علي شريعتي ، الإنسان و الإسلام ، ص 178.

هذا من الناحية الإصطلاحية ، أمّا الناحية العملية لهذا المصطلح ، فشريعتي يفهمه بمعنى الإلتفات إلى الواقع لتغييره « أما الأيديولوجية ، فهي عبارة عن نوع من اعتقاد المفكر بالنسبة إلى أهمية الواقع الخارجي و تقيمه وكذلك الإعتقاد بما لهذا الواقع من صعوبات وإمكانية تغييرها وكيف يمكنها أن تكون نموذجية » . (1)

ومن هذا المنطلق يرى شريعتي ، أن الأيديولوجيا تتكون من ثلاث مراحل ،المرحلة الأولى : وهي مرحلة تكون النظرة الكونية التي تعتبر الأساس في حياة الإنسان، أما المرحلة الثانية : فهي الإتجاه إلى الواقع وإعطاء تقييم وانتقاد لما هو كائن على أساس تلك النظرة ، ثم تأتي المرحلة الأخيرة ، والتي يقوم فيها الإنسان حامل الأيديولوجيا بإعطاء تقييم أو حلول للمشاكل والقضايا المطروحة في الواقع « إذا فالأيديولوجية تتكون من ثلاث مراحل : الأولى : رؤية كونية الثانية : نوع من التقييم الإنتقادي للمحيط والقضايا ، الثالثة :الإقتراحات وطرق الحل بصورة نموذجية وبعنوان أهداف ، ولما كانت كل أيديولوجية عليها أن تعطي في المرحلة الثالثة ، نماذج عملية ، مثاليات وخطط نموذجية ، فإن لكل صاحب أيديولوجية التزام ومسؤولية تجاه هذه المثاليات التي يعتقد بها ، و يجب عليه تغيير الوضع الموجود وفقا لذلك » . (2)

إذا المرحلة الثالثة من مراحل تكون الأيديولوجيا ، هي العمل من أجل تقديم الحل والعلاج للمشاكل والأمراض التي يعاني منها المجتمع ، وعليه فشريعتي يعتبر أن الإنسان الأيديولوجي خير من الذي يمتلك العلوم والمعارف النظرية « لم يكن الفيلسوف الذي عرف في التاريخ عند شريعتي أيديولوجيا ، ولا العالم ، كما أن الأيدولوجيا ليست هي العلم ولا الفلسفة ، فالأيديولوجيا في فكره وعقيدته ، تتناول جهة ما يجب أن يكون ، أي الجهة التغييرية في المجتمع ، و تلك الإتجاهات الوظيفية - الفيلسوف والعالم - فالثقافة تخلو من ذلك ، كما أنها - الأيديولوجيا - عنـــده - من جهة حامليها - وعي إنساني خاص يتمكن كل شخص من امتلاكه ، العالم أو العامي ، المتعلم وغير المتعلم ، الشريف والوضيع ، كل فرد وفي أية مرحلة من الثقافة ، من العلم من النبوغ ، يمكن أن يكون له وعي أيديولوجي » . (3)

1- المصدر السابق نفسه ، ص 180 .
2- المصدر نفسه ، ص 182
3- عبد الرزاق الجبران ، علي شريعتي و تجديد التفكير الديني ، ص 246.245

وعلى هذا الأساس يرى شريعتي أن ابن سينا [1] رغم احتلاله مكانة عظيمة في العلم ، فهو يعد من جهابذة العلماء على مر العصور ، إلا أنه لم يكن له دور إجتماعي يذكر وعلى هذا الأساس لا يعتبره شريعتي أيديولوجيا.

« فابن سينا كان رجلا فيلسوفا وعالما ، وكان نابغة عظيمة بحيث يعد مفخرة الفلسفة في تاريخ التمدن الإسلامي ، ولكن هذا الإنسان الذي يملك شخصية علمية وأدبية بارزة ، لو نظرنا إلى حياته الإجتماعية ، وموقفه الإجتماعي نجد أنه كان إنسانا غير مسؤول تجاه مجتمعه ، وحتى أنه كان في خدمة السلطة والمنصب ولم يكن له حساسية بالنسبة لمجتمعه ومصير أمته ». [2]

ويعطي شريعتي مثالا آخر هو الحسين بن منصور الحلاج[3]فرغم أنه بلغ مقاما كبيرا في التصوف ، وفي إحراز العلوم والفنون المختلفة إلا أنّه لم يكن له دور إجتماعي يذكر« أما الحلاج الحسين بن منصور ، فهو صوفي ولهان قبله يشتعل ويحترق بنار الشوق والوله والإنسان الذي يحترق لا مسؤولية له طبعا ، إذ هو فقط يحترق بداخله ويصرخ ، ولكن تصوروا مجتمعا يتشكل من 35 مليون حلاج ألا يتحول إلى دار مجانين ؟ يخرج أفراده إلى الشوارع ويصرخون و يصيح كل واحد منهم ، اقتلوني خلصوني ، بسرعة أنقذوني أنا لا طاقة لي ولا أملك شيئا وليس عندي شيء ». [4]

« فهذا النوع من الغرق والإحتراق - من شدة الوجد الصوفي - هو نوع من الجنون المعنوي، فلو أن المجتمع كله أصبح منصورا الحلاج ، أو أصبح ابن سينا ، فإن مصيره يكون إلى الشقاء والهلاك ، ولكن تصوروا مجتمعا فيه حسين واحد ، أو يكون فيه عدة أفراد كأبي ذر فعندئذ تصبح عندنا حياة وحرية ، ويكون عندنا علم وفكر أيضا ، وتصبح عندنا المحبة والقوة

1- أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، فيلسوف و طبيب و عالم طبيعي و شاعر ، عاش في بخارى و ايران ، أنهى حفظ القرآن و اطلع على الكثير من الأدب و هو لم يجاوز العشر سنوات ، درس المنطق والفلسفة ، ثم اشتغل بالطب و في الوقت نفسه كان يناظر الفقهاء، من أهم مؤلفاته الشفاء، النجاة ،عيون الحكمة ، رسالة في الحدود ، عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة،ج 1 ص 40 ،43.

2- علي شريعتي ، منهج التعرف على الاسلام ، تر ، عادل كاظم ، ط1، دار الامير ، لبنان (1426 هـ .2006 م) ، ص 34.

3- الحسين بن منصور الشاعر الصوفي أصله من البيضاء من كورة اصطخر بفارس ، و كان ميلاده سنة 244هـ ، اتهم بالزندقة ، فأمر الخليفة المقتدر بالقبض عليه ، فحوكم و نفى ادعاء الألوهية ، بقي في السجن 9 سنوات وضع فيها أغلب مصنفاته التي بلغ عددها 48كتابا ، و بعد أن أكمل 9 سنوات في السجن أعدم و كان ذلك في السادس و العشرين من ذي القعدة سنة 309 هـ انظر : عبد المنعم الحنفي ، الموسوعة الصوفية ، ط1، دار الرشاد القاهرة . (1412 هـ ، 1992 م) ص 126 ، 131 .

4 - المصدر السابق نفسه ، ص 25.

والصلابة اللازمة لكسر أعداء الله ، وكذلك الحب لله ». [1]

إذا شـريعتي يـرى أن الأيـديولوجيا مـن خـصائص المفكـر الحقيقـي ، المفكـر الـواعي المسئول « و يوجّه شريعتي مساره في مسألة الأيديولوجيا ، تحديدا لوجهها الإصطلاحي بوقوفه على تعريف آخر لها ، لكنه مهم وحسّاس ، وهو أن الأيديولوجيا سمة فئة من فئات المجتمع اسمها المفكرون ، لكنه لا يريد من المفكر ذلك النخبوي البارز في المشهد الثقافي العالمي كاصطلاح وإلا فكثير منهم لا يملكون الأيديولوجيا بأركانها - الإيمان ، المسؤولية ، الاعتراض ، التضحية - كما هي أسس شريعتي ... وإنما أراد المفكر الحقيقي ، الذي سار في طريق التنوير والتثويـــــر والتحرير والأيديولوجيا ، أراد بهم أصحاب الوعي والإلتزام و التضحية ». [2]

ومن هذا المنطق لم يقبل شريعتي الإسلام التقليدي المتوارث ، المحصور في العبادات التي تؤدى وكأنها عادات ، وإنما دعا إلى الإسلام الإيديولوجي « وعلى أساس هذا الإتجاه لم يقبل أي اتجاه للإسلام ... إلا الاتجاه الأيديولوجي ، فلم يرغب بمدرسة العلماء ، ولا سنة العوام ، ولكنه يمم وجهه إلى "ربذة" أبي ذر كونها تمثل عنوانا لذلك الاتجاه الأيديولوجي ، وخط النبوة الذي يأخذ في جعبته الإيمان ، والمسؤولية والصراع ، والتضحية والوعي ....» . [3]

ثالثا : بناء الذات الثورية :

بعد العودة إلى الذات وبناء الايدولوجيا ، تأتي مرحلة بناء الذات الثورية فماذا يقصد شريعتي ببناء الذات الثورية ؟ وما هو الهدف المقصود منها ؟

1- ما المقصود ببناء الذات ؟

« إن بناء الذات ، عبارة عن إعداد الذات ثوريا في صورة أصل وأصالة وهدف أي أن يوهب الجوهر الوجودي للذات تكامله ، وذلك التكامل يتتبع الاشتراك في القدر الشعبي الذي يستوجبه تكاملنا وإنسانيتنا » . [4]

1- المصدر السابق نفسه ، ص 26 .
2- عبد الرزاق الجبران ، علي شريعتي و تجديد التفكير الديني ، ص 246 .
3- المرجع نفسه ، ص 249.
4- علي شريعتي ، بناء الذات الثورية ، ص 16،17 .

يعتقد شريعتي أن بناء الذات يستوجب الاعتراف بعدة أصول وهي :

أ- « إن الإنسان صاحب دور في مسيرته التاريخية ، و في تغيير نظامه الإجتماعي ، وليس هدفنا عبادة الفرد أو عبادة الزعيم ، أو عبادة الشخصية ، فكل ذلك كفر وشرك وآفة ، بل إن ما نقصده هنا هو الإعتقاد بوعي الإنسان وإرادته ، واعتبارهما علة في مسيرة التاريخ الجبرية والتطورات الإجتماعية ، التي تعتمد في حد ذاتها على القواعد العلمية ، وعلى الأسباب والعوامل المادية وهي نفس العلامة القائمة بين الإنسان والطبيعة » . (1)

ب - « إن الإنسان لا يستطيع أن يبقى مخلصا وصادقا في ثورة اجتماعية حتى النهاية ، ووفيا لها إلا إذا كان ثوريا قبلها ومتناسقا معها ، فليس الإنسان الثوري هو الإنسان الذي يشترك في ثورة اجتماعية فحسب ، فما أكثر الإنتهازيين والمغامرين والنفعيين ، الذين يشتركون فيها وهم جرثومة الإنحراف في كل الإنتفاضات ، وفشل كل الإنتفاضات من جرّاء إشتراكهم فيها . لأن الثـوري قبل كل شيء جوهر أعيـدت صياغتـــه ، إنسان جعل ذاته التي بنيت أيديولوجيا خليفة لذاته الموروثة عن التقاليد والغريزة » . (2)

جـ - « إن الإنسان - بالمعنى الفردي و بالمعنى الجماعي - ليس على الدوام وعلى الإطلاق وليد بيئته أو ربيبها ، وأقصد بالبيئة البيئة الطبيعية .... وفي نفس الوقت لا أريد أن أنكر دور كل هذه العوامل المادية والطبقية ، ولكن مع الإعتراف بكل هذه العوامل يمكن القول : بأن الإنسان يستطيع أن يكون شريكا في بناء ذاته ... لكن الإنسان التكاملي الحيوي ، الساعي نحو الحرية يسبق كل هذه العوامل الجبرية والعلمية والمادية ، ويتغير من صورة "معلول" إلى صورة "العلة" بقدر نضج إرادته ووعيه » . (3)

إذا هذه الأصول ضرورية في بناء الذات الإنسانية ، التي يريد شريعتي الوصول إليها وهي امتلاك الوعي ، وبناء الأيدولوجيا التي يجب أن تحل محل الذات الموروثة ، وفي الأخير التخلص من أنواع الجبر التي تحكم مسير الإنسان .

1- المصدر السابق نفسه ، ص 17.
2 - المصدر نفسه ، ص 18.17
3- المصدر نفسه ، ص 19.18

ثم بعد توفر هذه الأصول ، يدعو شريعتي الإنسان الذي يريد بناء ذاته إلى الحذر والحيطة من الوقوع في "الإغتراب عن الذات " وذلك بالتقليد الذي يعني إنكار الذات وإلغائها ، وتغييرها بذات أخرى « إن أول خطوة في طريق بناء الذات ، هي أن نقوم دائما بتقوية هذا الهاجس ، أو الخوف الداخلي في ذواتنا من أن نسقط فريسة "الاغتراب عن الذات" وأعظم مصائب الإغتراب عن الذات عند مفكر ما هو التقليد ، والتقليد يعني أن يسجن المرء في أطر حددت في غيبة منه » . (1)

ولكي يحصّن الإنسان نفسه من السقوط في الإغتراب عن الذات ، و التقليد يقترح عليه شريعتي أن يعود إلى ذاته فيكتشفها ، وهذا ليس بمعنى العجب أو التحجر والتقوقع على النفس ، ولكن يجب أن تكون هذه العودة عودة واعية « وأول خطوة هي كشف الذات والإيمان بظروفها الإنسانية وليس هذا بلا شك بمعنى العجب الجاهل ، بل يعني العودة الواعية إلى القيم الإنسانية التي كانت لدينا وسلبت منا ، ولا جدال أن إنسان الغد ، ذلك الإنسان الذي يفكر ووجهه متجه إلى الغد سوف يكون إنسانا اكتسب جدارة التحرر من كل السجون السابقة والحالية ، أي تلك التي ورثناها ، أو التي أمليت علينا عن طريق الاستعمار » . (2)

خاتمة الفصل:

تمثلت دعوة علي شريعتي بالعودة إلى الذات في النقاط التالية :

«1- تصحيح مفاهيم الدين التي أدخلها التاريخ بكل عقده وتعقيداته ، وتحوله في أغلب قنواته إلى كيان مخدر، بعيدا عن ذلك الكيان المحرك الناهض المغيّر الصانع للإنسان الثوري ، وفي هذا أغلب كتاباته .

2- صنع أيديولوجيا إسلامية تشمل جميع جوانب الحياة ، و هذا ما تشمله أيضا أغلب كتاباته التي رافقت التصحيح المفاهيمي ، فالأيدولوجيا هي الهدف الأسمى لكفاح شريعتي المعرفي .

3- مرحلة بناء الذات الثورية ، استناد على الإسلام الصحيح بمفاهيمه الجديدة وأيديولوجيته الشاملة » . (3)

1- المصدر السابق نفسه ، ص 23

2- المصدر نفسه ، ص 24 .

3- عبد الرزاق الجبران ، علي شريعتي و تجديد التفكير الديني ص 59،60.

خاتمة الدراسة:

احتل موضوع الإنسان ، جانبا كبيرا في مشروع علي شريعتي ، الفكري التجديدي الإصلاحي ، وذلك لقناعته بأنه لن يكون هناك إصلاح أو تغيير على المستوى العلمي أ و التربوي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي إذا لم يبدأ هذا الإصلاح وهذا التغيير من الإنسان نفسه .

ويؤسس شريعتي فلسفته التقويمية للإنسان على مرتكزات عديدة يأتي القرآن الكريم في أولها،حيث يرى أن القرآن الكريم قد أعطى للإنسان مكانة كبيرة، بتفضيله على جميع الكائنات، وبتكليفه بمسؤولية الخلافة في الأرض.

أما المرتكز الثاني فهو اطلاعه على الفلسفة بصفة عامة والفلسفة الغربية المعاصرة ومدارسها، ومن خلال هذا الإطلاع يرى بأن هذه الفلسفة الغربية قد فشلت في إيجاد الحل لهذا الإنسان، بل إنها ساهمت وتساهم في مسخه عن فطرته الإنسانية ، وذلك بسبب اقتناعها بأصالة المادة وبنظرتها المادية للوجود كله بما فيه الإنسان .

أما المرتكز الثالث فهو تخصصه في علم الاجتماع واهتمامه بفلسفة التاريخ اللذين أفاد من دراستهما أن تاريخ البشر على ظهر الأرض تاريخ صراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر، وأنه على طول التاريخ وجدت قوى استعمارية كانت تعمل على استحمار الناس بجميع الطرق والأساليب وذلك كي تستغلهم وتستعبدهم وتستعمرهم .

ولكي يتخلص الإنسان من سيطرة هذه القوى الإستحمارية يجب عليه أن يمتلك الوعي هذا الوعي الذي يعبَر عنه شريعتي بالنباهة الفردية والاجتماعية وعند امتلاكها يصل إلى القرار الذي لابد منه وهو العودة إلى الذات،هذه الذات بالنسبة إلينا نحن المسلمين هي الذات الإسلامية،فيجب أن نعود إليه لا كتقليد متوارث وإنما إلى الإسلام الأيديولوجي الإسلام المحرك الباعث للحياة ، الإسلام الذي جعل من شرذمة من الأعراب رعاة الإبل سادة العالم وقادته وحملة النور إلى العالم بأسره .

وفي الأخير أرى بأن فكر علي شريعتي ، يحتاج إلى دراسة واعتناء من طرف الباحثين والمتخصصين،وذلك لأنه فكر متميز وفيه الجديد ، ولكونه بقي مجهولا ومهمّشا نوعا ما من طرف المفكرين والمثقفين السنة والشيعة

الفهـــــارس

فهـرس المصـادر و المراجـع

فهـــرس المحـتويـات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــــارس

فهـرس المصـادر والمراجـع

فهـــرس المحـتويـات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر و المراجع :

أولا : المصادر :

*القرآن الكريم ، برواية حفص .

* علي شريعتي :

1- الإنسان والإسلام ، ترجمة ،عباس الترجمان، ط١ ، دار الروضة ، لبنان ، (1412ه، 1992م)

2- الإنسان و الإسلام ومدارس الغرب ، ترجمة ، عباس الترجمان ، دط ، دار الصحف للنشر إيران ، دت .

3- الإنسان و التاريخ، ترجمة ، خليل علي ، ط١ ، دار الأمير ، لبنان ،(1427 ، 2006) .

4- بناء الذات الثورية ، ترجمة ، إبراهيم الدسوقي شتا ، ط١ ،دار الأمير لبنان .

5- معرفة الإسلام ، ترجمة ، حيدر مجيد ، ط١ ،دار الأمير ، بيروت ، (1424، 2004) .

6- منهج التعرف على الإسلام ، ترجمة ، عادل كاظم ، دار الأمير ، لبنان ، (1426 ، 2006) .

7- الإمام السجاد أجمل روح عابدة ، ترجمة ، إحسان صوفان ، ط١ ، دار الأمير ، لبنان ، (1425 ، 2004) .

8- تاريخ الحضارة ، ترجمة ، حسين نصيري ، ط١ ، دار الأمير ، لبنان ، (1426 ، 2006).

9- النباهة والإستحمار، ترجمة ، هادي السيد ياسين، ط١، دار الأمير، لبنان ،(1425، 2004).

10- دين ضد الدين ، ترجمة ، حيدر مجيد ، دار الأمير ، لبنان ، (1423 ، 2003) .

11- مسؤولية المرأة ، ترجمة ، خليل الهنداوي ، ط١ ، دار الأمير ،لبنان ، (1426 ،2006).

12- مسؤولية المثقف ، ترجمة ، إبراهيم الدسوقي شتا ، ط١ ، دار الأمير ، لبنان ، (1426 ، 2005) .

13-العودة إلى الذات ، ط١ ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، (1406 ، 1986) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: المراجع :

- أحمد زكي تفاحة .

1- حوار بين الفكر الديني و الفكر المادي ، دط ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت (1417 ، 1996) .

- أحمد عبد الغفور عطار.

2- الشيوعية و الإسلام ، ط3 ، دار الأندلس ، (1400، 1980) .

- أحمد السحمراني .

3- مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، دط ، دار النفائس ، بيروت ،(1988) .

- أحمد ابن تيمية .

4- درء تعارض العقل و النقل ، تحقيق ، محمد رشاد سالم ، ط 2 ، دار المسلم الرياض ، (1411 ، 1991) .

- آمال السبكي .

5- تاريخ إيران السياسي بين ثورتين "1906 ، 1989 " ، ط1 ، عالم المعرفة ، الكويت (1420 ، 1998) .

- البهي الخولي .

6 - الإسلام لا شيوعية و لا رأسمالية ، ط2 ، مكتبة الفلاح ، الكويت ،(1401 1981) .

- عبد الجبار الرفاعي .

7 - جدل التراث و العصر ، ط4 ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، (1422 ، 2001) .

- دونالد ولبر.

8 - إيران ماضيها و حاضرها ، ترجمة ، عبد المنعم حسنين ، ط2 ، دار الكتاب المصري القاهرة ، (1405 ، 1985) .

- عبد الرحمان حبنكة الميداني .

9 - غزو في الصميم ، ط4 ، دار القلم ، دمشق ، (1417 ، 1996).

- عبد الرزاق الجبران .

10 - علي شريعتي و تجديد التفكير الديني ، ط1 ، دار الأمير، لبنان (1422 ، 2002) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- زكريا إبراهيم .

11 - دراسة في الفلسفة المعاصرة ، دط ، دار مصر للطباعة ، مصر ،(1987) ج ١ .

– زكريا عبد الرحمان.

12- أهمية التوحيد و خطر الشرك ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (1417 ، 1996) .

- سعيد الصباغ .

13- تاريخ إيران السياسي ، ط١ ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ،(1421 ،2000).

- سيد قطب :

14 - مقومات التصور الإسلامي ، ط٤ ، دار الشروق القاهرة ، (1408 ، 1988) .

15 - الإسلام و مشكلة الحضارة ، ط٧ ، دار الشروق القاهرة ، (142 ، 1982) .

- عائشة عبد الرحمان. ،

16- مقال في الإنسان ، دط ، دار المعارف ، مصر ، (1969) .

- فاضل رسول .

17 - هكذا تكلم شريعتي ، ط١ ،دار الكلمة، لبنان ن (1982) .

- فهمي هويدي .

17 - إيران من الداخل ، ط٤ ، مركز الأهرام القاهرة ، (1412 ، 1991) .

- عبد الكريم الخطيب .

18 - الله و الإنسان ، دار الفكر العربي ، ، دت .

- محمد إبراهيم الفيومي .

19 - الوجودية فلسفة الوهم الإنساني ، دط ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، القاهرة (1404 ، 1994).

- محمد تقي الأميني .

20 - بين الإنسان الطبيعي و الإنسان الصناعي ، ترجمة ، مقتدى حسين ياسين ، دط ، دار الإعتصام ، مصر ، دت .

- محمد سعيد رمضان البوطي .

21- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، (1902) .

22- نقض أوهام المادية الجدلية ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، (1407 ، 1986) .

- عبد المجيد النجار.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

23- قبسة للنشر، ط1، دار الزيتونة، الرياض، 1417، 1996م.
- محمد شاكر الشريف.
24 - التراث و الحداثة، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، (1991).
- مصطفى محمود.
25 - الماركسية و الإسلام، ط1، دار المعارف القاهرة، دت.
- محمد قطب.
26- الإنسان بين المادية و الإسلام، ط1، المكتبة العصرية، القاهرة، (1976).
27- في النفس و المجتمع، ط1، دار الشروق، القاهرة، (1413، 1993).
- مالك بن نبي.
28- مشكلة الثقافة، ترجمة، عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر، دمشق، (1404 1984).
29- القضايا الكبرى، ط1، دار الفكر المعاصر، لبنان، (1422، 2001).
30- تأملات، دط، دار الفكر، دمشق، (1406، 1986).
31 - الظاهرة القرآنية، ترجمة عن عبد الصبور شاهين، دط، دار الفكر، دمشق، (1986).
- عبد المنعم النمر.
32 - إسلام لا شيوعية، دط، دار الغريب، القاهرة، (1396، 1972).
-وحيد الدين خان.
33 - سقوط الماركسية، ترجمة، ظفر الإسلام خان، ط1، دار الصحوة، القاهرة (1408، 1987).
- أبو الوفا التفتازاني الغنيمي.
34 - الإنسان و الكون في الإسلام، دط، دار الثقافة، (1995).
- أبو اليزيد العجمي.
35- حقيقة الإنسان بين القرآن و تصور العلوم، دط، إدارة الصحف، مكة المكرمة، (1404 1993).
- أبو حامد الغزالي.
36 - إحياء علوم الدين، دط، دار المعرفة، بيروت، دت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- محمد الطاهر بن عاشور .

37 – تفسير التحرير و التنوير ، دط ، الدار التونسية ، تونس ، (1995) .

38- مقاصد الشريعة الإسلامية ، دط ، الدار التونسية ، (1978) .

- طه الدسوقي .

39- عقيدتنا وصلتها بالكون و الإنسان و الحياة ، دط ، دار الهدى للطباعة ، مصر (1408 ، 1987) .

- البهي الخولي .

40- آدم عليه السلام ، ط3 ، دار التراث ، القاهرة ، (1985) .

ثالثا:المعاجم و القواميس :

1- عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ترجمة ، سمير كرم ، دار الطليعة ، بيروت (1987) .

2-رونتال و يودين ، الموسوعة الفلسفية ، ط4 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت (1984) .

3-ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق ، عبد السلام هارون ، دط ، دار الفكر ، (1399، 1979) .

4- ابن منظور ، لسان العرب ، دط ، دار المعارف ، القاهرة ، دت .

5-عبد المنعم الحنفي ، الموسوعة الصوفية ، ط1 ، دار الرشاد ، القاهرة ، (1412، 1992)

6- مجموعة من العلماء ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، ترجمة ، فؤاد كامل ،دط ، دار القلم بيروت ، دت .

7- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، تح ، أحمد شمس الدين ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (1415 ، 1994) .

8- الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، تح ، خليل عياتي، ط4 ، دار المعرفة بيروت (1426 ، 2005) .

9- الشريف علي بن محمد ، الجرجاني ، التعريفات ، ط3 ،دار الكتب العلمية ، لبنان ،(1408 1988)

10- محمد علي الفاروقي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، تح ، لطفي عبد البديع ، دط المؤسسة المصرية ، القاهرة . (1382 ، 1963) .

رابعا : الدوريات :

1- مجلة الكلمة ، العدد 8 ،السنة 2 ، (1416، 1995) . و أعداد أخرى .

2- بصائر المعرفة ، العدد 2 ، سبتمبر (1999) ، مركز الدراسات المعرفية

3- مجلة المسلم المعاصر ، العدد 33، (1403 ، 1985) .

4- مجلة التجديد ، العدد الأول ، الجامعة الإسلامية بماليزيا ، (1417 ، 1997) .

خامسا : شبكة الإنترنت :

1-www.darislam.com

2- www.rezgar.com

3-www.aljazeera.com

4- www.moqatel.com

5- www.fadek.org

6- www.wikipadia.com

7- www.saihat.com

8- www .rasid . com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

الموضوع :	الصفحة .
* المقدمة	أ
- الإشكالية	ب
- أسباب اختيار المضوع	ج
- أهداف الموضوع	ج
- الدراسات السابقة	د
- منهج و خطة البحث	ه
- الصعوبات	و
* فصل تمهيدي : عصر و حياة علي شريعتي	1
* المبحث الأول :عصره	2
- أولا: الحالة السياسية	2
- ثانيا : الحالة الإقتصادية	10
- ثالثا : الحالة الإجتماعية	11
- رابعا : الحالة الدينية	13
* المبحث الثاني : حياة علي شريعتي	15
- أولا : المولد و المسيرة العلمية	15
- ثانيا : نشاطاته و نضاله	18
- ثالثا: مؤلفاته	20
- رابعا: علي شريعتي في آراء المفكرين	21
* الفصل : الأول : عوامل مسخ الإنسان عن فطرته الإنسانية	23
* المبحث الأول : الإنسان كما فطره الله	24
- أولا : الدلالة اللغوية و الإصطلاحية لكلمتي الإنسان و الفطرة ...	24
- ثانيا : الإنسان كائن ذو بعدين	28
- ثالثا : الإنسان و مهمة الإستخلاف	30
- رابعا : وسائل المحافظة على فطرة الإنسان	34

* المبحث الثاني : عوامل مسخ الإنسان : الذاتية و الميتافيزيقية 39
- أولا : العوامل الذاتية 49
- ثانيا: العوامل الميتافيزيقية 44
* المبحث الثالث : المدارس الغربية و مسخها لإنسانية الإنسان 47
- أولا : أصالة الإنسان 49
- ثانيا : الرأسمالية الليبرالية 52
- ثالثا : الماركسية 54
- رابعا : الوجودية 57
* الفصل الثاني : الإنسان بين النباهة و الإستحمار 60
* المبحث الأول : النباهة الفردية و الإجتماعية و أبعادهما الإنسانية و الحضارية . 60
- أولا : النباهة الفردية 60
- ثانيا : النباهة الإجتماعية 63
* المبحث الثاني : مقولة الإستحمار و رباعية ... (الإستغلال ، الإستبداد و الإستعباد) 68
- أولا : الإستحمار القديم 69
- ثانيا : الإستحمار الحديث 75
* المبحث الثالث : المثقف بين النباهة و الإستحمار 84
- أولا : المثقف صاحب النباهة 84
- ثانيا : المثقف المستحمر 85
- ثالثا : مسؤولية المثقف 87
* الفصل الثالث : العودة إلى الذات وبناء الأيديولوجيا..... 92
* المبحث الأول : لماذا العودة إلى الذات ؟ 92
- أولا : الإغتراب عن الذات 92
- ثانيا:سجون الإنسان 96

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* المبحث الثاني : إلى أي ذات نعود ؟ 104
- أولا : هل نعود إلى الذات التاريخية ؟..... 105
- ثانيا : العودة إلى الذات الدينية 107

* المبحث الثالث : النظرة الكونية و بناء الذات الأيديولوجية 111
- أولا : الرؤية الكونية 111
- ثانيا : بناء الأيديولوجيا 113
- ثالثا : بناء الذات الثورية 117
* خاتمة الدراسة 121
* الفهارس
- فهرس المصادر و المراجع ..... 123، 128
- فهرس المحتويات ..... 129، 131

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية